الكتاب الذهبى

دكتور لويس عوض

مذكرات طالب بعثة

عدد ممتاز

دكتور لويس عوض



عدد ممتاز

الكتاب الذهبي

نوفمبر ١٩٦٥



لويس عوض

مقدمة المؤلف

- ١ -

في أوائل شهر مايو ١٩٦٥ فوجئت بكتيب ازرق الغلاف من القطع المتوسط لا تتجاوز صفحاته خمسا وعشرين عددا . يصلني بالبريد من الاسكندرية • وجدته على مكتبي بجريدة « الاهرام » وما ان تصفحته حتى فغرت فمي دهشة فقد اشتمل هذا الكتيب على صفحات من كتاب كنت قد كتبته في ١٩٤٢ ثم ضاعت مني اصوله نحو عشرين عاما . وهذا الكتاب هو « مذكرات طالب بعثة » • وبعد ساعة او نحوها جاءني لطفي الخولي ، وهو يشغل المكتب المجاور لي في «الاهرام» يعلن علي انه تلقى بالبريد نسخة من هذا الكتاب ولم تمض ساعات حتى كنت قد تلقيت نحو عشر مكالمات تليفونية من ادباء معروفين من بينهم توفيق الحكيم وحسين فوزي ، كل منهم يعلن نفس الشيء ويستفسر عن الامر •

وكان مصدر دهشتي ان ناشر هذا الكتاب لم تكن لي به

معرفة سابقة سواء شخصا او اسما . وقرات على صفحة الغلاف ان اسمه « كنارى » ، وهو اسم مستعار كما هو واضح ، ثم قرأت في الصفحة الثانية والثالثة نبذة قدم بها كنارى هذا للكتاب يعتذر فيها عن تصرفه بالنشر فى كتاب من قلم غيره ، مع اشارة تدل على ان هذا الكتيب هو العدد ١٢ من مطبوعات سلسلة تسمى نفسها « رسالة العامل » وتصدر عن دار في الاسكندرية تسمى نفسها « دار النشر للجميع » وتذكر ان اسم رئيس التحرير هو حسنين محمود حسنين ، وان الادارة في ٤ شارع لويجى ستانى ، محرم بك ، اسكندرية . وعدت الى الغلاف من جديد فقرأت « دار النشر للجميع : ابريل ١٩٦٥ » ، وقرأت « كشف وتحقيق كنارى » .

وانتابنى وقتئذ شعوران غريبان : شعور بالغضب ان ارى شخصا لا اعرفه يتصرف في عمل من اعمالى بالنشر دون اذن منى ، وشعور بالفرح لانى تيقنت من ان اصول كتابى الضائع « مذكرات طالب بعثة » لم تضع نهائيا بعد عشرين عاما من افتقادى اياها ، ومن ان هناك نسخة واحدة منه على الاقل فى مكان ما بالاسكندرية مع هذا المجهول الذى يسمى نفسه كنارى . ثم استجد فى نفسى شعور ثالث هو شعور القلق . اذا كان كنارى هذا أو سواه يملك نسخة من اصول الكتاب هذه السنوات الطوال ، فلماذا اختار هذا الوقت بالذات لنشر نموذج منه على الناس ؟ ان الكتاب « تجربة بالعامية » وقد كتب عام ١٩٤٢ ايام ان كانت تؤرقنى مشكلة الازدواج اللغوى فى مصر وعلاقتها بالتعبير الادبى . وقد كان آخر عهدى بهذه المشكلة عام ١٩٤٧ حين كتبت مقدمة ديوانى « بلوتولاند » الذى نشرته فى تلك السنة وهو من انشاء الفترة ١٩٣٧ ــ ١٩٤٠ . ومنذ ١٩٤٧ انصرفت تماما عن التفكير فى مشكلة اللغة وعن بحثها لسببين : احدهما انى اعتقدت ان مهمتى قد انتهت بطرح

القضية على الرأى العام فى مقدمة الديوان ، وكل عود الى الموضوع تزيد لانفع فيه مادمت قد بسطت وجهة نظرى كاملة فى « المقدمة » والسبب الثانى هو ان مشكلة الازدواج اللغوى والتعبير الادبى تؤرق الاديب الخالق اكثر ممـــا تؤرق الاديب الناقد · فكل من يكتب للمسرح أو يكتب الحوار فى الرواية او فى القصة القصيرة عليه ان يجابههذه المشكلة باستمرار ، وعليه ان يتخذ منها «موقفا » عمليا · اما انا فصناعتى الاولى هى صناعة الناقد والاستاذ ، وليس فيما اقوله للناس ناقدا او استاذا ما يتعذر عـــلى اداؤه بالعربية الفصحى · وبالتالى فان هذه المشكلة ليست من مشاكلى الشخصية فى التعبير الادبى · وقد جردت على مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » فى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ حملة مسعورة متصلة كانت المدفعية الثقيلة فيها ستة وعشرين مقالا مسلسلا كتبها عنى الاستاذ محمـــود شـــاكر فى « الرسالة » وكان محور هذه الحملة رأيى بأن المعرى كان مطلعا على تراثاليونان ورأيىبأن اللغة العامية تصلحاداة للتعبيرالادبى · اما نقد نظرياتى فى المعرى فقد كان امرا مفهوما بغض النظر عن شطط الاستاذ الناقد فى التعبيرعن قصده لان بحثى « على هامش الغفران » الذى نشرته فى جريدة الاهرام كان متعاصرا مع مقالات الاستاذ الناقد وغيره من الناقدين ، ولكن الذى عجز الناس عن فهمه هوتركيز نقادى على نظريتى فى اصالة التعبير الادبى العامى ، رغم انى لم اكتب شيئا فى هذا الموضوع منذ ثمانية عشر عاما، وتصويرى فى صورة اداة يحركها المبشرون والمستعمرون للقضاء على اللغة العربية رغم ان آرائى فى العامية والفصحى ليست الا امتدادا لخط طويل يمتد نظريا من ابن خلدون الى رفاعة الطهطاوى الى لطفى السيد وعبد العـــزيز فهمى ويمتد عمليا من شعراء الموشحات الاندلسية والمواليا الى عثمان جلال الى بيرم التونسى الى صلاح جاهين وعشرات من كتاب المسرح المعروفين فى السنوات المائة الاخيرة · وهكذا

بدأت اتصور احتمال ان يكون تصدى حسنين محمود حسنين « كناري » لنشر نموذج من هذه التجربة العامية جزءا من مخطط الحملة الرجعية المجردة على في مجلات وزارة الثقافه بقصد تغذية هذه الحملة بعد أن مجها الناس لتكرار كلامها ولاسفافها لعلها ان تمتد بعملية نقل الدم هذه ستة وعشرين مقالا آخر . ولكن رغم هذا الغضب وهذا القلق فان شعوري بالفرح لظهور الكتاب الضائع كان اقوى من كل شـــعور آخر .

وكانت هناك اسئلة عديدة تملأ راسي لم يكن هناك مناص من الاجابة عنها : من يكون كناري هذا؟ ماذا يريد ؟ وكيف وصلت اصول الكتاب الى يده ومتى ؟ وكيف يمكن استردادها منه ؟ وماذا ينبغي أن يكون موقفي منه بعد ان حجب عني اصول كتابي او بعد ان سمح لنفسه بالتصرف فيها دون اذن مني ؟ وماذا ينبغي ان افعل بالكتاب لو نجحت في استرداده؟

استطعت أن استنتج ان كناري وحسنين محمود حسنين شخص واحد ، وأن أستنتج أيضا انه صحفي من صحفيي الاسكندرية ، ولكن بقي الدليل طبعا . اما : ماذا يريد ؟ فقد بقي سؤالا حائرا في راسي ، ولاسيما وان الطريقة التي نشرت بها هذه الملزمة كانت تدعو للحيرة حقا . فبعد ان قرأت الملزمة تيقنت من انها أمينة كل الامانة فهي لاتشتمل على كلمة واحدة يمكن ان تكون قد دست على . ولم استطع بالطبع ان اقطع ان كانت تمثل النص بحذافيره ، فليس هناك من يدعي انه مستطيع أن يتذكر شـــيئا كتبه قبل ثلاثة وعشرين عاما كلمة بكلمة . وانما المهم انها لم تشتمل على كلمة واحدة لاتدخل بداهة في حدود ذكرياتي وطريقتي في التعبير . كذلك لم تكن هناك اية محاولة لاخفـــاء شيء من الحقائق عن عملية النشر فاسم الناشر معلن وعنوانه معلن وحتى اذا افترضنا ان كناري وحسنين محمود حســـنين شخصان مختلفان ، فعنوان دار النشر كاف لاقتفاء اثر جميع الاطراف المشتركين في العملية . فاذا كانت الامانة متوفرة

واذا كانت العلانية متوفرة فلا بد اذن من افتراض حد ادنى من حسن النية . ولكن بالرغم من بيان الاستاذ المحقق والمكتشف كنارى بانه ينشر هذا النموذج ايمانا منه بان العمل الادبى يدخل فى نطاق الملكية العامة مهما كان راى صاحبه فيه ، فان اختيار هذا الوقت بالذات لنشر الملزمة الاولى ، وهو وقت تعرضى للحملة المفتعلة المسعورة التى سنتها على مجلات وزارة الثقافة الرجعية كان كفيلا بان يدفع الى الريبة، ولا سيما بعد ضياع النص أكثر من عشرين عاما. ثم ان عدم استئذانى فى النشر رغم أنى يسير المنال عن طريق خطاب أو زيارة كان سببا ادعى للاشتباه فى مقاصد هذا الرجل .

والحق أنى لم أعرف كيف ينبغى ان أتصرف ازاء هذا الرجل . فكرت ان اكتب اليه خطابا اشكره فيه على محافظته على اصول الكتاب أو اعرب فيه عن سعادتى لعثوره عليه ولكنى عدلت . لان مثل هذا الخطاب يمكن أن يستخدم حجة تسقط حقى فى مقاضاته لتصرفه فى شىء لايملكه . ولم يكن لهذا الموضوع وجهه المادى فحسب ، بل كان له وجهه الادبى ايضا . فلو انى عثرت شخصيا على اصول «مذكرات طالب بعثة» بين أوراقى القديمة ، فربما كان هناك احتمال قوى ان اقرر حفظه فى درجى اعواما اخرى قبل نشره ، وربما كان هناك احتمال قوى ان أوصى بعدم نشره قبل موتى بعشر سنوات ،فالكتاب مهدى « تادليف برنيه : واهبة السعادة » وهى آنسة فرنسية كنت احبها ايام التلمذة فى انجلترا ، اى قبل ان اتزوج ، الاانى لا ارى ان من اللياقة ان يشهر رجل متزوج غرامياته القديمة على رءوس الاشهاد ، ثم انى بطبعى لا اومن بالسماح لاشباح الماضى ان تتجول فى الحاضر دون حسيب أو رقيب ، ولو اتخذت هذه الاشباح ثياب الفن او الادب . ان « مذكرات طالب بعثة » يمثل تجاربى الشخصية وآرائى بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ ، اى منذ اكثر من ربع قرن . وقد انطوت هذه الحقبة من حياتى بخيرها وشرها ولا ارى ضرورة لاستحضارها ، فضلا عن ان

ربع قرن من النمو والمكابدة قد جعلني اراجع كثيرا من المعتقدات التي كنت اتبناها في شبابي الاول فاعدل عن بعضها وانقح بعضها الآخر ، واعتقد انه لا زال حقا من حقوق الانسان ان يحجب عن الناس معتقداته وانطباعاته الاولى ، ولا سيما اذا كانت لاتمثل معتقداته وانطباعاته في كهولته المتأخرة . فاذا اضفنا الى ذلك ان موقفي من العامية والفصحى قد انتهى نهاية طبيعية في ١٩٤٧ بحيث لم يعد لي منذ ذلك التاريخ موقف من العامية والفصحى ، باعتبار انى اعلنت في مقدمة « بلوتولاند » ان كل جدل « نظرى » حول هذا الموضوع عديم القيمة وان المشكلة لاحل لها سلبا او ايجابا الا بالممارسة ، وصلنا الى نتيجة شبه محققة وهى ان « كنارى » لو كان قد اعاد الى كتابي الضائع عام ١٩٦٥ بدلا من اجترائه على نشر فصل منه لكان الارجح ان اطويه بين ما اطوى من اوراق الماضي فلا يرى النور الا بعد وفاتي . ومن هنا تستطيع ان تفهم مبلغ حيرتي في الاجابة على هذا السؤال: ترى كيف اتصرف ازاء هذا الرجل ؟ ترى كيف اتصرف بهذا الكتاب اذا اتيح لي ان استرده . ان كتابي - ايا كانت قيمته - يعد جزءا لا يتجزأ من تاريخ مصر الثقافي ابان الحرب العالمية الثانية وما قبلها .. أأشكر كنارى اذن لانه أخرج الى النور جزءا من تاريخ مصر الثقافي ام اسبه لانه نبش قبور الموتى واستخرج منها هياكل وجماجم كان ينبغي ان تظل راقدة في بطن الارض ؟ وهكذا وجدتني امسك بالقلم واسطر رسالة لكنارى من قلبي في الاهرام تبدأ هكذا : « سيدى العزيز ، وصلتني نسخة من كتابك .. اقصد من كتابي .. » ثم يتوقف القلم . لم يكن بد من العدول عن الكتابة الى كنارى . ان امثال هذه الامور لاتحل الا باللقاء الشخصي . ولكن متى ؟ ربما بعد شهر . ربما بعد عام . شيء واحد رسخ في ذهني ، وهو ان اسعى الى لقاء كنارى باية طريقة من الطرق لاسترداد الكتاب ، وان اعجل بهذا اللقاء مااستطعت الى ذلكم سبيلا . فظاهر الحال يدل على انه كان ينتوى ان ينشر كتابي كله مسلسلا على دفعات شهرية .

وكنت بيني وبين نفسي انظر في يأس الى هذا اللقـــاء ، فكثرة ابائي في القاهرة جعلتني اشك في لقاء قريب ، وبدات استسلم ليأس غريب . فليفعل كناوي بكتابي ما يشاء ..فلينشره مسلسلا أو دفعة واحدة أو فليقذف به بين امواج البحر المالح . اليس هو مكتشفه وصاحبه ؟ لقــد انفصل الكتاب عني منذ ان ضاع مني نحو عام ١٩٤٥ .وبعد أسبوع واحد .. ثم كان استسلامي قد بلغ تمامه ومداه فكففت عن التفكير في الموضوع .

ثم حدث شيء اليم قلب كل تفكيري رأسا على عقب . فقد مات الدكتور محمد مندور في ١٩ مايو ١٩٦٥ ، أي بعد نحو اسبوعين من وصول المطبوع الى يدي . وجلست اعـد مقالا للاهرام في تأبينه ، فأخذت اراجع كتبه في مكتبتي فوقعت عيني على هذه العبارة في كتابه « النقد والنقـــاد المعاصرون » في معرض الحديث عني وعما كان بيننا من علاقة فكرية صميمةاثناء تعاصرنا في اوروبا ايام الطلب :

« ومن المؤكد ان اهم عوامل التجارب بيني وبين لويس عوض كان الظمأ المشترك للمعرفة ، واحساسنا باننـــا لم نسافر الى اوروبا لنبحث عن هذه المعرفة في بطون الكتب وحدها والا لاستقدمنا الكتب وما احتجنا الى تحمل مشاق الغربة ، ولهذا اذكر انني لم انفق وقتا طويلا في ارشاد لويس عوض الى ماسألني عنه عند زيارته الاولى لباريس عن المراجع الفرنسية التي تدالج موضوع (لغة الشعر) الذي كان يدرسه عندئذ للحصول على درجة جامعية فيه ، بينما انفقت الوقت كله في اشراكه معي في تأمل ودراسة مشاهد الحياة وأساليبها ومعالم الماضي التي خلفتها الحضارة الفرنسية على صفحة باريس ، وامكنة الوحي والالهام منها ، ولقد علمت من لويس ومن بعض الاصدقاء أنه كان قد دون هذه الذكريات في كتاب كبير ولكنه ظل مخطوطا حتى ضاع منه، وكم أسفت لضياعه وكانني فقدت جزءا من نفسي . »

ومان فرغت من قراءة هذه العبارة حتى عضني الم فظيع وتذكرت كل شيء ..كنت قد نسيت محتويات كتابي فذكرتني

هـذه العبارة بفصول كاملة فيـه ، وتذكرت كيف كان مندور يستحثني عاما بعد عام بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ للبحث عن كتابي الضائع بغية نشره · ووصلت الى قرار : ان هذا الكتاب ليس ملكا لي وحدي وانما هو ملك عام كمـا قال كناري في كلمته · انه سجل لفترة من تاريخنا الثقافي . ومن الخطأ ان يطوى هـذا السجل · وأبسط آيات الوفاء لذكرى هذا الصديق العظيم هو ان استرجع هذا الكتاب وان انشره في الناس ، فانشر بنشره صفحات من حياة مندور في اوروبا لايعرفها الا الاقلون · وهكذا قررت ان اسافرالى الاسكندرية باحثا عن كناري فان استحال الاهتداء اليـه فلأبحث عن « دار النشر للجميع » ، وهي الدار التي صدر عنها النموذج المطبوع ·

وبعد يومين أو ثلاثة من وفاة مندور وجدتني في بيته مع السيدة الشاعرة ملك عبدالعزيز ، زوجته ، استعين بها على جمع بعض مقالاته القديمة · وهناك التقيت بالصـديق الفريد فرج ، والذي جاء في مهمة مشابهة ، وكنت اعـلم أنه من الاسكندرية ·· فسألته عرضا عن كناري·وكم كانت دهشتي حينعرفت منه انه يعرفه شخصـيا · وعلمت من ألفريد فرج ان كناري هو حسنين محمود حسنين نفسه ، وان العنوان المنشور على الغلاف هو عنوانه · كذلك عرفت منه انه صحفي اسكندري اصاب من العلم حظا لابأس به ، ولكنه رجل غريب الاطوار · ورجوت الفريد فرج أن ينوب عني في انقاذ الكتاب ، وان يسافر بشخصه الى الاسكندرية فورا لاستنقاذه ، وفوضته في ان يعرض على كناري اىعرض مالي او ادبي يقبله مقابل رد الكتاب ، فقد كان واضحا في ذهني ان نشر هذا الكتابقد اصبح بعض ما ينبغي عمله لاحياء ذكرى منـدور بغض النظر عن اي اعتبار آخر · فوعدني الفريد فرج بان يتكفل بهذه المهمة ··

ومرت ثلاثة أيام او اربعة اكتشفتبعدها ان ألفريد فرج لم يسافر بشخصه الى الاسكندرية وانما لجأ الى سلسلة من المكالمات التليفونية مع اخيه نبيل فرج المقيم على مقربة من

كنارى فى الاسكندرية . وكانت نتائج المفاوضات مع كنارى لاتوحى بالاطمئنان . فقد علمت انه كان يماطل ويراوغ ثم يعد ثم يعدل ، واخيرا رتبت معه مكالمة تليفونية مباشرة فى بيت نبيل فرج فى العاشرة مساء . وكنت فى هذه المكالمة حاسما . اصررت على موعد وحددت يوم الخميس ٢٧ مايو ١٩٦٥ فى داره بالاسكندرية . حاول التسويف متعللا بالحضور الى القاهرة ، ولكنه ادرك من لهجتى فى التليفون ان صبرى قد نفد . وبالفعل ، فى الموعد المحدد كنت أنا والفريد فرج ونبيل فرج فى غرفة استقباله ، وبعد لأى سلمنى الاصول، تسلمتها بعد ساعتين من المراوغة واللف والدوران وادعاء أن الاصول ليست فى حوزته ولكنها لدى طرف ثالث. تسلمتها بعد ان خرجت عن طورى فحدثته بغلظة عن القانون والمحاكم والسجون والغرامات . وكان يحفظ الاصول عند السيدة زوجته فى الغرفة المجاورة ، فزعم انه ماض لاحضارها من مكان ما فى الاسكندرية ، وخرج بالكتاب تحت ابطه وذهب يسير به على غير هدى فى الشوارع وفى الاوتوبيسات والتراموايات لا يعرف كيف يتصرف هكذا ابلغنى فيما بعد . ثم عاد الينا بعد نصف ساعة وقد هداه الله الى الحل القويم فسلم الاصول . وبعد ان سلم الاصول تحول كنارى الى انسان وديع واخذ يتردد على فى فندق المتروبول ، ويحدثنى عن نفسه وماضيه الادبى ومشروعاته . . وعرفت منه أن الكتاب آل اليه منذ عشرين سنة عن طريق قريب او صديق له كان يعمل فى رقابة النشر اثناء سنوات الحرب . كذلك فهمت منه انه لم يكن يتصور اول الامر انى لا املك نسخة من كتابى وان نسخته هى الوحيدة الباقية ، بل كان يحسب انى قد طويت كتابى عامدا متعمدا طول هذه السنوات ، وانه أراد بنشر الملزمة ان يضعنى امام الامر الواقع . وقد ارسل منها نسخا لكل اديب من ادباء مصر بالبريد وانه باع نحو الف نسخة فى اسابيع قليلة فاسترد نفقات الطبع وربما ربح بعض المال . والحق انى وجدت كنارى رجلا معقدا من طراز غير

مألوف ، فهو خليط غريب من المثالية ومن الالتواء . وبعد ان عدت الى القاهرة اتفقت مع دار « روز اليوسف » على نشر « مذكرات طالب بعثة » فى سلسلة الكتاب الذهبى . لقد خرج الامر من يدى منذ ان نشر كنارى قسما من الكتاب على الملأ ولم يبق الا ان ينشر النص كاملا .

— ٢ —

بقيت كلمة عن الكتاب نفسه وكيف جاء الى الوجود . كنت بعد عودتى من كامبريدج فى سبتمبر ١٩٤٠ كثير التفكير فى مشكلة اللغة والتعبير الادبى شعرا ونثرا ، اوما يسمى عادة بمشكلة العامية والفصحى . وقد انتهيت قبل ذلك بسنوات الى امكان قيام شعر بالعامية يتجاور تجاورا شرعيا مع ادب الفصحى دون ان يوجد بالضرورة اى تعارض بينهما . وقد أجريت بالفعل بعض التجارب فى هذا الاتجاه بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ ظلت تتداول بين المثقفين فى جامعة القاهرة وخارج جامعة القاهرة منسوخة على الآلة الكاتبة حتى نشرتها عام ١٩٤٧ فى ديوان « بلوتولاند » والحق انه لم يكن فى كلامى جديد الا الطريقة التى عبرت بها عن آرائى . هذا ما كان من امر الشعر العربى . اما النثر العربى ، فلم تظهر له مشكلة فى تاريخ ادبنا الا حينما تصدينا لكتابة حوار المسرح وحوار القصة . وقد انتصرت العامية فى حوار المسرح فى العشرينات ، واراد توفيق الحكيم فى الثلاثينات ان يتمم مابداه الرواد فى العشرينات وماقبلها ولكن طه حسين وجماعة الفصحى تكاثروا عليه فتراجع عن الحوار العامى فى المسرح والرواية جميعا . ولم يفكر احد ان تجربة التعبير العامى يمكن أن تمتد الى نسيج النثر الفنى باشمل معانيه ، فتمتد الى لغة السرد والوصف والتحليل ، لم يفكر فى ذلك أحد الا بيرم التونسى الذى كتب فى الثلاثينات « السيد ومراته فى باريس » ، وهو وصف فكاهى ساخر لغربته فى المنفى ، كتبه بيرم التونسى بالعامية من الفه الى يائه . وقد التهمت هذا الكتاب التهاما ولم يلبث ان فتح امامى آفاقا فى تجارب اللغة .. كان « مذكرات

طالب بعثة » ثمرتها المباشرة • فقد اوحت الى تجربة بيرم التونسي ان اتمم عمله بعرض الوجه الآخر من الصـــورة • فبيرم التونسي قد جرب بنجاح النثر العامى فى لغة السرد والوصف والتحليل ، ولكن فى حـــدود الفكاهة والباروديا البرليسكة والتعبير الكوميدى بوجه عام ، وهى كلها فنون من الادب يسوغ فيها استعمال العامية لقربها الشديد من الحياة اليومية • وهكذا فكرت فى أن أجرب النثر العامى فى لغة السرد والوصف والتحليل ، ولكن فى حدود الفكر الجاد والعواطف السامية بل والقصد التراجيدى ، وبهذااستكشف امكانيات اللغة العامية عمليا لانظريا وبالتجربة لا بمجـــرد الافتراض والدعوى • فى أغراض استقر فى عرف المثقفين انها لا تصلح لها ، أقول المثقفين لان الادب الشعبى استخدم منذ قرون طويلة العامية الفنية دون حرج ودون تردد ، واستخدمها بنجاح فى فن الحدوتة وفى فن المثل السائر •

ولم يكن بيرم التونسي وحده فى ذهنى عندما جلست فى منزل الاسرة بمدينة المنيا ذات صيف فى عام ١٩٤٢ أدون « مذكرات طالب بعثة » ، ان تقليد تدوين الانطباعات عن الرحلات الكبيرة له تاريخ طويل فى ادبنا الحديث ، واول من وضع اساسه هو رفاعة الطهطاوى فى « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ١٨٣٤ الذى وصف فيه اقامته فى باريس بين ١٨٢٧ و ١٨٣٠ وسجل انطباعاته عن الحضارة الفرنسية فى جيله • ثم تلاه أحمد فارس الشدياق فى « الساق على الساق » ١٨٥٢ وفى كتابه « الواسطة الى معرفة مالطة ١٨٥٤ » وفى كتاب « كشف المخبا فى فنـــون أوروبا » (١٨٥٤) وغير ذلك من ادب الرحلات والمـــذكرات حتى ظهور « الايام » لطه حسين فى العشرينات من هذا القرن ومذكرات زكى مبارك عن فترة اقامته فى باريـــس ، وقد ظهرت فى الثلاثينات من هذا القرن ومذكرات توفيق الحكيم العديدة التى صدرت فى الثلاثينات والاربعينات • ولافرق فى المنهج بين هذه المدونات العظيمة سوى ان بعض اصحابها كتبوا عن اشخاصهم اكثر مما كتبوا عن مشاهداتهـــم اما بعضهم الآخر فقد كتبوا عن مشاهداتهم اكثر مما كتبوا عن اشخاصهم • وقد اوحت الى كل هذه الاعمال ان اتاثرخطى

هؤلاء الرواد فانقل صورة اوروبا وحضـارتها في وجدان شاب مصري زارها بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ . ولكن مستخدما تجربة بيرم التونسي في استكشاف امكانيات اللغة العامية. فعلت ذلك في ١٩٤٢ قبل ان تزول من ذاكرتي الانطباعات العديدة التي تركتها رحلتي الاوروبية في جناني ووجداني وقد راعيت ان ابدأ وصف تجربتي منذ اول يوم غادرت فيه مصر حتى يوم عودتي اليها وقد عدت الى مصر بعـد نشوب الحرب العالميـة الثانية بنحو عام ، وكان ممر جبل طارق مغلقا يومئذ بسبب ظروف الحرب ، ومن هنا اتيح لي ان اعود عن طريق رأس الرجاء الصالح فانتفعت من هـذه التجربة ايما انتفاع .

ثم شرعت في نشر هذا الكتاب وكانت الحرب لاتزال قائمة فقدمته لرقابة النشر في ٢٥ اكتوبر ١٩٤٤ مكتوبا على الآلة الكاتبة ، ولا استبعد اني اودعت في الرقابة ثلاث نسـخ على الاقل وقد كانت لي مع رقابة النشر يومئذ مغامرة تستحق التسجيل . فقد فوجئت بعد شهر من تقديم الكتاب بأن الرقابة لم تراقبه او على الاصح لم تقرأه بقصد اجـازته للنشر . فقصدت الى مدير الرقابة وكان يومئذ اسـتاذي البروفسور ر. ا. فيرنس رئيس قسم اللغـة الانجليزية بكلية الاداب بجامعة القاهرة ، وكان قد انتدب طوال مـدة الحرب من الجامعة الى وزارة الداخلية ليتولى وظيفة الرقيب العام . زرته في مكتبه بوزارة الداخلية لاستفسر عن تأخر مراقبة الكتاب . فقال لي : « بصراحة انا اعطيتـه للرقيب الشيخ فلان ليراقبه (نسيت الآن اسم هذا الرقيب) ، وقد ابلغني انه معترض على صدور الكتاب » . قلت : « وما وجه اعتراضه ؟ » اجاب : « قال ان الكتاب مكتوب بالعاميـة والكتب لاينبغي ان تصدر الا بالفصحى » ، قلت : « هـل يمكن أن أتفاهم مع هذا الرقيب ؟ » أجاب : « نعم » . ثم رفع سماعة التليفون ، وبعد دقيقتين دخل علينا شيخ معمم في منتصف العمر . وجادلته في الامر ، فحاول اقناعي بان اعيد كتابة هذه المذكرات باللغة الفصحى وان اعيد تقديمها الى الرقابة . فاجبته بغلظة بعد ان يئست من التفاهم معه: « ولماذا لاتطلب مصادرة اعمال بيرم التونسي ومسرحيـات الريحاني وكافة القصائد والدواوين التي تظهـر باللغة

العامية ؟ .. ثم اسمح لى ان اذكرك ان كل هذا الحرص على سلامة اللغة العربية يتنافى مع عملك فى خدمة الامبراطوريه البريطانية كرقيب على ما ينشره المصريون فى بلادهم » .
وكان الاستاذ فيرنس يجيد اللغة العربية ، الفصحى منها والعامية ، قراءة وكتابة وكلاما ، بحكم تخصصه فيهـــا وبحكم اقامته المديدة فى مصر اكثر من ثلاثين سنة . ورأى فيرنس انى التهبت فحاول تهدئتى ولكنه انحاز الى جانب الشيخ فقلت : «هل هناك قانون من قوانين الدولة ينص على عدم جواز الكتابة بالعامية ؟ ان كان هناك قانون بهذا المعنى فانى اطلب الاطلاع عليه . انا لا اطـــالب الا بحقــوقى القانونية . » وهنا حدث اشكال . قال الاستاذ فيرنــس متدبرا : «مادام الشيخ فلان يرفض مراقبة كتابك فليس امامى الا أن احيله الى رقيب آخر . هل تقبل هذا الحل ؟ قلت : « هذا شأنكم ، اما انا فأطلب اجازة كتابى للنشر» . ومن جديد رفع سماعة التليفون وهمس فيهـــا ، وبعـــد دقيقتين دخل علينا رقيب آخر ، وكان هذه المرة « افندى » قصير القامة الى درجة ملفتة للنظر يميل الى الســمرة . وقدمه الى الاستاذ فيرنس قائلا : « الاستاذ توفيق صليب . لعلك سمعت عنه » . وصافحت الرجل ، وكنت اسمع عنه سوءا ، لاسوءا شخصيا ، ولكن سوءا سياسيا محوره تعاونه مع الحكومات الدكتاتورية فى مصر . فحملقت فيه وبدا على وجهى التطير ، ثم استأذنت وانصرفت .

وحققت الايام تشاؤمى . فبعد اسبوع وجدت نفسى من جديد فى رقابة النشر اتسلم من الاستاذ توفيق صـــليب نسخة من كتابى ختمت كل صفحة من صفحاتها بختم احمر بيضاوى يقول « حذف بمعرفة الرقيب » ، او شيئا من هذا القبيل ، وقلبت صفحات الكتاب صفحة صفحة فسقط فكى من فرط الدهشة لانى وجدت ان الاستاذ توفيق صليب قد اعمل القلم الازرق بغزارة فى صفحات الكتاب . ولست اذكر الآن كل تفاصيل ما شطب ، ولكن يحضرنى انه ضرب بالقلم الازرق على كل فقرة او صفحة جاء فيها ذكر للحرب او تعريض او زراية بالانجليز او وصف لمشكلة التفــرقه العنصرية فى جنوب افريقيا . واخذت اجادله فيما فعل

ولكن دون جدوى . جدار اصم ولكن فى منتـــهى الادب واللباقة : «انت تنسى ياأستاذ عوض اننا فى حالة حرب» . « انت تنسى ياأستاذ عوض اننا حلفاء انجلترا » . ولكى تعرف سخافة ما شطب فتأمل هذا الحـــوار : « لاداعى لان تقول : الانجليز اللى تعبونا من ســـنة ١٨٨٢ » . « وماذا اقول اذن ؟ » « قل : الانجليز اللى عرفناهم من سنة ١٨٨٢» « ولكنى اقصد ان اقول : اللى تعبونا . » « هذه تعددعاية ضد انجلترا » .او : « كيف تقول ان اولاد اللوردات فى جامعة كامبريدج يسرقون ؟ » . « ولكنهـــم بالفعل كانوا يسرقون . وانا كنت هناك ورأيتهم يسرقون . » « انت تعلم انه ليس كل ما يعرف يقال . » او : « انت تصـــف المصريين وهم يركبون ظهور الانجليز السكارى وهذا يصور الانجليز فى صورة زرية » الخ .. مئات من العبـــارات والسطور والفقرات وعديد من الصفحات الـــكاملة قرئت بعناية وشطبت بعنـاية ومعها فصـل كامل عن رحلتى الى جنوب افريقيا . قال : « الآن تســـتطيع ان تنشر كتابك ياأستاذ عوض . » اجبت : « أنا افضل أن أحرقه بيدى عن ان انشره على هذه الصورة المبتورة . » وكان فى كلامى القاسى مايكفى لان يجعلنـــا نتشـــاتم لولا أدب الرجل ودبلوماسيته الشديدة . وهكذا خرجت من وزارة الداخلية انتفض غيظا ومعى النسخة المختومة من كتابى ، وقـــد انتهيت الى قرار : لن يخرج هذا الكتاب الى النور الا فى صورته الكاملة عندما ترفع الرقابة بعد الحرب باذن الله .

(بين قوسين : مرت سنوات عديدة ثم قرأت فى الصحف نعى المرحوم الاستاذ توفيق صليب واستلفت نظرى ان النعى يصفه بالمجاهد الكبير ، وكنت فى نقابة الصحفيين واثارت هذه العبارة فضولى فاستفسرت من بعض الصحفيين المسنين عن « جهاد » الاستاذ توفيق صليب فاجابنى عاجبا من جهلى: الا تعرف ان الاستاذ توفيق صليب كان فى طليعة الفدائيين فى ثورة ١٩١٩ ، وانه حكم عليه بالاعدام او بالســـجن المؤبد فى قنبلة كذا او فى اغتيال كذا ؟ » وتذكرت كل كلمة دارت بينى وبينه فى مبنى وزارة الداخلية فى خريف

١٩٤٤ ، واطرقت . قالت نفسي : سبحان مغير الاحوال . رحمه الله ورحمنا رحمة واسعة . وتعلمت الا ادين الناس. كلنا خطاءون كما قال الحديث الشريف) .

ثم ضاعت مني اصول الكتاب في ظروف لااذكرها ،وانما المحقق انها ضاعت قبل ربيع ١٩٤٧ ، ففي مقدمة ديواني « بلوتولاند » الذي صدر في تلك الفترة اشارة الى ضياع هذا النص مني ، ضاع بعد ان اطلع عليه عديد من الاصدقاء اذكر منهم الآن الصديق محمد عودة ، ولست اذكر انكان محمد مندور قد اطلع عليه ام لا ولكن الذي لاشك فيه انه كان يعلم بوجود الكتاب . ولكم كنت اتمنى أن أعثر على نسخة من النسخ المختومة في الرقابة ، سواء نسختي الضائعة أو نسخة الرقابة التي تجرى عليها المضاهاة عند النشر ، لان اثبات ما شطبته الرقابة على وجه الدقة يمكن ان يكون مفتاحا في ايدي مؤرخي الفكر والسياسة لحالتنا الفكرية والسياسية ابان الحرب العالمية الثانية .

لقد نبش كناري قبرا من قبور الماضي الدارس بعد ربع قرن من الزمان ، بعد أن تغير وجه مصر وتغير وجه اوروبا وصوح قلب صاحب هذا الكتاب في خريف العمر فلم يعد ابن الثانية والعشرين الذي خرج من مصر غازيا وعاد اليها غازيا وكان خياله يكسو كل شيء ببردة من الاحلام . ولست ادري ان كان كناري قد استخرج لنا من بطن الارض عظمة أو استخرج لنا كنزا كما يسميه . ولكن ايا كان الحكم على هذا الكتاب فهو وثيقة تاريخية نرى منها جانبا من صورة مصر وجانبا من صورة أوروبا وجانبا من صورة فتى مصري متفتح كان يريد أن يجتبي الدنيا في اعطافه بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ .

« لويس عوض »

القاهرة في ٣٠ يوليو ١٩٦٥

كلمة للناشر

ثارت ثائرة بعض اصدقائى الادباء عندما اعلنت اعتزامى نشر رسائل احمد محرم شاعر العروبة والاسلام . وفيهـــا يبتدىء الرجل بأمل عريض ثم ينتهى الى ياس قاتل . وفى هذه الرسائل يختفى الشاعر العملاق وراء ظهر صـــحفى شاب لايتجاوز الثالثة والعشرين . وقال الادباء يومئذ أن نشر تلك الرسائل جريمة ضد الصداقة ، وجريمة ضـــد الامانة وضد الثقة التى وضعها احمد محرم فى شخصى الضعيف . ولكن رسائل محرم لم يكن من حقى ولا فى استطاعتى ان اكتبها واخفيها عن النقاد والدارسين لانهـا جزء من مصادر دراسة هذا الشاعر الكبير ، حتى أن اذاعة البرنامج الثانى من القاهرة يوم ان ارادت اعداد برنامج عن حياة الشاعر لم تجد مرجعا لحياته غير ذلك الكتاب « رسائل احمد محرم » فاذاعت الكتاب باكمله .

واليوم اقدم للادباء والنقاد والدارسين كتابا آخر اكشف فيه عن عمل ادبى قديم لاديب كبير كتبه عام ١٩٤٢ ولم يكن للمؤلف يومئذ من الشهرة والمجد الادبى ما يجعـــل فى كتابه مايغرى الناشرين على تحمل مخاطرة نشره .

وكان النشر فى تلك الحقبة من سنى الحرب العالمية الثانية وما بعدها مجازفة دونها المضاربة فى بورصة الاوراق المالية وبورصة عقود القطن ثم تغير كل شيء • لقد اصبحت دور النشر العربية تنتج كتابا كل ساعة أو بعض ساعة وأصبحت فرص النشر متاحة للكتاب الهواة قبل الكتاب المحترفين الراسخين • وانتقل مؤلفنا من كرسى الجامعة واصبح مشرفا على القسم الادبى فى اكبر صحف الشرق واقدمها جريدة الاهرام • ونشر المؤلف كتبا فى كل مجالات الادب الا هذا الكتاب فلم ينشره ولم يشأ حتى ان يشير اليه ولو اشارة عابرة فى سياق مايكتبه ويسوده من مقالات . وكأن هذا الكتاب قد ضاع أو لكأنه نسى أنه كتب مثل هذا الكتاب أو لكأنه تشكك فى نجاح تجربته وأحس بالوجل من تقديمها للادباء والنقاد بل لعله أحرق تجربته عامدا كما أحرق الدكتور ابراهيم ناجى صحائف ديوانه من قبل ، ولكن هل يملك لويس عوض أن يصادر كتابه بعد أن جرى به قلمه ؟ لقد أراد قبله الدكتور ابراهيم ناجى أن يصادر شعره فاستعصى الامر عليه • ولم تمنع النار تلك الصفحات ان تعود من جديد ليقرأها آلاف القراء ولو كره الشاعر الكبير •

فليس من حق الفنان أن يتحكم فى انتاجه ينشر منه مايشاء ويخفى مايشاء • فكل ورقة فى درج الفنان ملك للادباء الدارسين حتى ولو كانت خطابا الى زوجته او عرضحال لمد مدة الخدمة بعد بلوغ سن التقاعد كقصيدة الشاعر القاضى حفنى بك ناصف الى وزير الحقانية • ولعل صاحب هذا الكتاب هو أدرى الناس بقيمة هذه الآثار فى دراسة حياة أى أديب • لهذا رأيت أن أزيح الستار عن هذا الكتاب وان أدل على مخبئه مئات من الادباء والدارسين لاسمع ماذا يقولون. ولعل رأى المؤلف فى ذلك هو آخر مانطمع فيه •

« كنارى »

(١) ..... رحت قاعد لك على كرسي الاعتـــراف وحطيت قـدامي طقطوقة أروقديم بوهيتها راحت ومصفة حبر.روحي تمل وايدى تكتب مافيش تصـــحيح ولا تنقيح ولا تردد ولا كسوف . اشمعني والتر سكوت كان بيكتب

والمطبعجية بيصفوا ؟ اشمعني بلزاك كان بيكتب تمنتاشر ساعة ع القهوة السودا ؟ رحت ياافندم حاطط لك دبابيس في كرسي الاعتراف عشان روحي ماتعسلش من التعب واشتريت لك كام رطل بن محمصين أقرش فيهم طول الوقت عشان جسمي يبقى دينامو مش ناقص لا جاز ولا تشحيم

قعدت على كرسي الاعتراف وابتديت أكتب، وآدي اللي كتبته :

---

(١) عندما سلم « كتـــاري » الى اصول الكتاب في مايو ١٩٦٥ ، وجدت ان الصفحتين الاوليين ناقصتان . ولا اذكر ان كان الرقيب هو الذي نزعهما في فترة عرض الكتاب على الرقابة عام ١٩٤٤ ، ام انهما نزعتا بفعل فاعل في تاريخ لاحق . وواضح ان الازالة تمت باستخدام الموسى في نزع الصفحتين .



ـ ورقك ماجاش .. فوت بكره .. فوت بعده ..

الحر ومكتب البعثات

ركبت القطر اللى بيقوم من المنيا قبل الفجر وبيوصل الساعة ٨ الصبح • وكنت فى حالة انفعال عجيبة • تصور واحد يلاقى آماله المهمة كلها تتحقق بالسهولة دى ، المنيا مهما كانت بلد صغيره ولما واحد يكون خياله نشيط وأحلامه كتيرة مش ممكن يبقى سـعيد ف علبة السردين دى • أنا عاوز أروح انجلترا عاوز أشوف نهر التيمز ، وستمنستر ، سوهو ، برج لندن ، بيكاديللى ، سانت بول ، البحيرات ، عايز أشوف الكارت بوستال يبقى حقيقة قدامى ، عاوز أعاشر الناس اللى تعبونا فى مصر من سنة ١٨٨٢ • عاوز أعيش ف مرتفعات وذرنج وبطاح يوركشير مع كاثرين وهيثكليف • بلاد الثلج والمطر والضباب البنى اللى ف قصايد مستر اليوت • أنا عمرى ماشفت ثلج غير ف السينما والمطر بتاعنا الدش أجمد منه ، أما الشـابورة (هنا مافيش ضباب) فين هيه بعدما تفوت بتاعت اللبن ؟ الى لندن اذن على بركة الله •

كل الصور دى ملت راسى لدرجة انى نسيت الكرسى الخشب اللى هرا أفخادى وأنا قاعد ف الترسو ، وبعد ساعة الشمس طلعت من ورا المقطم • طلعت بره ف الطرقة اللى بين العربيات

عشان ما أشوف رع اللى أجدادى عبدوه قبل مايسخن ويحرق الخيمة الزرقا ويلهب العشب ويكفر اللى مايكفرش كان فيـــه سحابتين جنب بعض فوق سن الجبل على طول . أما بقية السما أطلس زاهى مفروش أزرء م اللى أنا عارف . لكن دى آخـر مرة حاشـــوف فيها الطبيعة المصرية . لما الواحد يروح يعزى تلاقيه يحضر نفسه للعزا من غير تصنع أحيانا . أنا مش قصدى لبس البدلة الغامقة والطربوش ، انما قصدى ان وش الواحد نفسه تلاقيه يطول من غير مايكون زعلان صحيح ، وان لاحظت كويس تلاقى شىء خفيف من الوجوم يهد الجسم شوية ويكسر العين ويلوى الشفايف . أنا كتير لاحظت الحكاية دى ف نفسى وانا ف ميـــاتم ناس كان المفروض انى أزعـل عليهم . وانـا بطبيعتى ما أقدرش أزعل قدام النـــاس . يمكن وأنا لوحدى أبكى ع الميت لكن مجرد وجودى مع الناس يخلينى شـــخص هادى ، ومع ذلك ب ألاقى نفسى ساعة ما أخش الميتم احط على وشى شوية وجوم وقلبى ف منتهى عدم الاكتراث . ممكن تقدر تسمى دا اســـتعداد للعاطفة . العملية دى بتحصــل ف كل المواقف المؤثرة معايا ، مثلا مرة انتحر واحد من أعز أصحابى(١) وكنت ف جروبى القديم مـع واحد صـــاحبى اسمه سكوت واطسون (٢) . لما قريت الخبر ف الاهرام قريت الخبر كأنه خبر انتداب موظف ف وزارة الزراعة للعمل ف جمع الدودة . طبعا قريت الخبر خمس ست مرات وفهمت معناه المخيف تمام ، ومع ذلك كان قدامى ايس كريم فضلت آكل فيه وأنا مستغرب ازاى طعمه ما اتغيرش ف بقى . كان لازم طعمه يتغير . مش حلمى رفاعى مات ؟ وازاى انا لسه قاعد مع سكوت واطسون ؟ كان لازم اقوم بسرعة وأروح أعمل حاجة . أروح المشرحة اشترك

(١) اسمه حلمى رفاعى . وقد امتدت صداقتنا طوال فترة الطلب فى المنيـــا الثانوية ثم كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الاول يومئذ) وكان متخصصا فى التاريخ ثم اشتغل بالتدريس فى الفنون التطبيقية وانتحر عام ١٩٤٢ .

(٢) كان صحفيا انجليزيا واستاذا للصحافة بجامعة القاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية ثم مات فى حادثة سيارة فى فرنسا سنة ١٩٦٢ أو ١٩٦٣ .

ف دفنه . أشوف أهله وأصحابنا المشتركين ، أنا مستنيءايه ؟ والاغرب من كده اني مش زعلان حقيقي ، انكسفت من نفسى انى مش زعلان كما يجب · واتهمت نفسى بالبلاده والانانية ، بل بالشذوذ ويمكن الجنون · يجب انى أزعل · قمت من سكات حطيت شوية وجوم على وشى · ولكن امتى ؟ بعدما أكلت الايس كريم واتصفحت الجرنال من تانى قال يعنى ب أقرأ الخبر لاول مرة · خفت أحسن سكوت واطسون يستغرب انى عارف ان صاحبى مات وبرضه قاعد آكل أيس كريم ، فتحت الحكاية وسألنى قوم قلت له ففتح البورص وقرا فيها الخبر وتأسف ف كلمتين وقال « معلهش ماتقدرش تعمل حاجة دلوقت » ده كان كلام صحيح · لكن لسه فضلت مكسوف ف نفسى من الجمود بتاعى · خفت أحسن أكون ماكنتش با أحب حلمى رفاعى حقيقى لكن أنا متأكد انىماحبتش واحد فىالدنيا أكتر مماحبيت حلمى ومش اكتر من اتنين تلاته قد ماحبيته · ودا خوفنى اكتر · المهم ، قعدت من الساعة حداشر للساعة اتناشر ونص ف جروبى ، مش زعلان لكن ب استعد للزعل وأخيرا قمت بطبيعة الحال عشان أشوف الحكاية دى · واذا كنت عاوز تعرف قد ايه أنا كنت ب احب حلمى ده ؟ كفاية انى أقول لك انى بعدها قعدت مدة أصطاد أصحابى عشان يسهروا معايه للصبح ، وقعدت خايف من النوم وأشباح النوم حوالى شهر وزيادة ، وهربت منمصر وجيت ع المنيا عند عيلتىعشان ما أدفع الوحده وانسى · كل الاستطراد دا بس عشان اديلك فكرة واضحة عن شعورى وانا فى القطر اللى هايودينى أوربا · الغيمتين اللى كلمتك عنهم فضلوا قدامى تلت ساعة ومش عارف ليه ألوانهم كانت جميلة لدرجة انى فاكرهم لحد دلوقت · الغيمتين كانوا بيخبوا الشمس ، والشمس كانت بتخبى سن الجبل الرمادى ، والشروق أصبح زى الشفق النادر اللى بيحصل مرة كل مدد وتلاقى فيه سيمفونية من الالوان دايما تخلص قبل ماتشبع منها · وأنا ما اعرفش اذا كان الشروق فى الريف دايما جميل ولا لاء · لانى ماعشتش فى الريف وما ب أصحاش قبل الضحى ف الاجازات ولا قبل الصبح العريض ف ايام العمل · الفلاحين يمكن يدروا يقولوا لك · المهم انا فضلتقاعد ع القضيب الافقى

اللى برة عربية الترسو ومتشعبط ف القضيب العمودى ابص مشرق والقطر مبحر ، والارض مبسوطه قدامى أميال والنيل مش باين وف مدى النظر حيطة تقيلة ودى تلال المقطم ، قعدت أتأمل ف الغيطان وأسلاك التليفون طالعة نازلة ، ونخل الريف اللى طالع قطيع قطيع وتحته البيوت الطين ، والتراب ملا أجفانى لكن احتملته ساعتين ف ساعة الوداع • كنت ب أودع الريف المصرى بحرارة • الريف المصرى اللى كنت بحن لـه وعمـرى ماعشت فيه صحيح • كانت عواطفى ف اللحظة دى من نوع العواطف اللى وصفتها • أنا سـايب مصر ، وربما الى الأبد ، فلازم أبص على أرض بلادى وأتملى وآخـذ زاد يكفينى أربع سنين • ما حستش انى زى سايح بيشوف حاجة مش حايشوفها تانى • انما جالى حنين للوطن وأنا لسه ف أرض الوطن • وكان سببه انى استعديت للموقف بكل عواطفى وانا ب احط رجلى فى القطر يعنى حطيت ف وشى حبة فرح زى ماب أحط ف وشى شوية وجوم عند الكوارث وأذكيت العاطفة بالتفكير المستمر ف الموضوع • حتى لما عديت الواسطى ابتديت أبص مغرب عشان أودعهم هرم ، فهرم فهرم ، فهرم •

لكن أنا ماكنتش رايح أركب المـركب ، أنا كنت نازل ف مصر أكشف كشف طبى وكل الانفعال الظاهرى اللى اعترانى فى السكة كان منشؤه انى مش راجع المنيا تانى ولما نزلت مصر ابتديت ألف وادوخ لى كام يوم • أنا مش فاكران كان لى مرة شغلة مع الحكومة وماتعبتش • كل الناس بيقولوا لى كمان انهم بيتعبوا مع الحكومة ودى مسألة خطيرة جدا ح أشرحها بالتفصيل لما ييجى وقتها ، مش بس من باب السرد لكن عشان أعلم الناس انهم مايسكتوش عليها وكمان عشان اثبت ان السياسيين والناس اللى عاملين سياسيين ف مصر لازم يبتدوا من دلوقت يدوروا على طريقة يصلحوا بيها الأداة الحكومية من تحت الارض • المثل العامى بيقول أن يوم الحكومة بسنة • الكلام دا سـمعته وأنا ف الابتدائية ومافهمتش معناه تمام قبل ما اتخرج وابتدى يبقى لى احتكاك رسمى بالحكومة لكن اللى أنا مندهش له هو أن فيه آلاف الناس عارفة الحكاية دى والجرايد طول عمرها تتكلم ف

نفس الموضوع واللى ف ايدهم الحكومة شاعرين بالموقف تمام • ومع ذلك مافيش تغيير بيحصل والحكومة المصرية دلوقت زى ماكانت من أيام مانظمها بوغوص نوبارباشا ف القرن اللى فات •

الشاهد انا مش فاكر كل اللى حصل لى من أغسطس ١٩٣٧ لحد ١٤ اكتوبر ف نفس السنة • فاكر انى سافرت مصر بناء على جواب مستعجل جدا من الوزارة بيقول لى احضر لتوقيع الكشف الطبى عليك تانى لأنك سقطت ف النظر ف الكشف الأولانى • طبعا أنا كنت محتاط للأمر ورحت عملت نضارة جديدة تنجحنى •• رحت الكومسيون قالو بكره بعده ، بكره بعده ، اسمك ماجاش •• انت مين ؟ يوم السبت ياأستاذ •• يادكتور ايه الحكاية ؟ انتم مش كشفتم على قبل كده ؟ لكن ياأستاذ أنا مقيد بورق قدامى روح شوف ف الوزارة سبب التأخير ايه ؟

رحت الوزارة ••• « روح الكومسيون احنا خلاص بعتنا ورقك » •

رحت الكومسيون « مانعرفكش » • الوزارة • الكومسيون • الوزارة • نهايته كشفت ونجحت •

فى الاثناء دى وأنا ب اتردد ع الوزارة كان لازم أقول لهم انى معتذر عن بعثة الوزارة ، وقابل بعثة الجامعة ، فمش فاهم ايه السبب ، كان فيه موظف هناك فى مركز مسئول ف سكرتارية البعثات (١) كان بيحاول طول الوقت يضغط على عشان اعكس المسألة واعتذر عن بعثة الجامعة • دخلت عليه يوم من الايام وقلت « سعيدة يابيه » ، «سعيده مبارك يافندم» ، «أنا اسمى لويس عوض وعايز اعتذر عن بعثة الوزارة » • « ليه كفى الله الشر ؟ »

« أبدا المسألة أن الجامعة طلبانى لكامبردج » يظهر أنه كان عرف حكايتى فانعدل ف كرسيه وحاول انه يكون رقيق معايه • « ماتتفضل تقعد » • قعدت • الراجل كان شوية يتعب ف

---

(١) الكاتب الكوميدى المعروف ابراهيم رمزى ••

وصفه · كان قصير وتخين واسمرانى بس مش قوى · انما كان عليه حتة شنب من اللى ب يقف عليهم الصقر · وما كانش غبى أبدا ، ولا كان حتى يتظاهر بالسلطة ، انما كان راسى وراسخ فى مكتبه ، ويباشر ادارته ف وثوق : مش الوثوق المكتسب من الروتين ، انما وثوق الشخص من انه صاحب كلمة · أنا كنت أسمع عنه كتير ف غير حدود عمله · من قبل مايخلينا الحظ نتقابل · فيه ناس كتير كمان ف مصر يعرفوه ، لانه كاتب معروف ، اشتهر بسبب كوميديا كان ألفها زمان ونجحت (٢) · على أى حال أنا ماقريتهاش وماأعرفش ان كان كتب غيرها والا لأ · المهم · الراجل دا كان مزيج من حاجات كتيره مثلا كان شديد المزاح زى كتير من الناس التخان · ساعة تقول عليه « بون اوم » وساعة تقول عليه « جالان » وساعة تقول عليه « ريجولو » ، قعدت وأنا متهيب وكان فيه بنات طالعة وداخلة ماأعرفهمش من بتوع البعثات طبعا ، أهملنى كام دقيقة وبعدين بص لى وقال « أنت حكايتك لطيفة انما يا ابنى لازم تتروى قبل ماتختار » ، « أنا اترويت خلاص » ، ماتخليك معانا يا ابنى وتسيبك من الجامعة » · « متشكر يابيه ، لكن كامبردج أنسب لى » ، دا احنا نريحك يا ابنى ، بس انت روح اكستر ، وأنا متأكد اننا ح نفهمك كويس لما ترجع ·

استغربت شوية · الراجل بيسمسر للوزارة والا ايه ؟ والا يكونش له غرض أنا مش فاهمه ؟ الحاجه كسفنى وعرقت ، لانه كان مزيج من الحنان الأبوى والنصيحة الخالصة وعدم التكليف ·· لكن دى مسألة خطيرة مافيهاش كسوف طبعا · حاولت انى اقرأ اللى فى مخه مافلحتش · ايه يعنى بس يكون الغرض ؟ سكت شوية قام حاول يضرب على نقطة حساسة · « انت باين عليك يا ابنى من الشباب النابغين واحنا لازم نحتفظ بيك » ·· «العفو ياسعادة البيه · لانبوغ ولاحاجة ، دى كلها مسألة شغل » · صحيح أنا كنت الوحيد اللى أخد البكالوريوس فى الأدب الانجليزى بامتياز ، ودى كانت أول سنة يطبقوا فيها

---

(٢) « دخول الحمام مش زى خروجه » ··

نظام الامتياز . صحيح أنا واخد ٨٦٪ وبيني وبين التانى ٤٨ نمره . صحيح أني كنت ب اعتقد ف نفسى انى نابغ من ساعة ما كان عمرى حداشر سنة . ماتعيبش على . لان فيه ناس كتير كدا ويمكن انت منهم . وكل واحد مريحه عقلـه . لكن دى مساله خطيرة مافيهاش لاكسوف ولا عبط أنا قدامى فرصه لازم ماافوتهاش قلت « أنا متأسف قوى يابيه ، انما انا مصمم على بعثه الجامعة . كان بودى اتعاون معـاكم انمـا الظروف كده والمستقبل ماحدش يعرفه » صمت . نظرف الورقة اللى قدامه . التفات للبنات اللى كانوا قاعدين على حرف الشباك وحرف الكنبة . انصراف كامل عنى . وأنا مستنى . مستنى ولا هو هنا . ابتديت امتعض ، ابتديت افور . وأخينا بالرقة بتاعته اتفرغ للزباين التانيين . واخيرا رســمت على وشى ابتسامة خفيفه ونبهته . « أنا هنا يابيه » التفت لى ، واتأمل كم ثانية وبعدين قال « شوف يا ابنى أنت مش كنت سقطت فى الكشف الطبى ؟ » عرفت أنه دارس ـ الدوسيهات اللى قدامه تمام . « ايوه يابيه . لكن أنا غيرت النضارة وليه فرصة تانية » ، « وان سقطت ؟ » « لية فرصة تالتة » ، « وان سقطت ؟ » ، « يبقى هاردلك يبقى خلاص حظى كده » . ما جبتش أقول أنى ساعتها مثلا أفوت على عميد كليـــة الآداب واشرح له الموقف وهــو كله نظر (١) . ماجبتش أقول له أن كلية الآداب يمكن صحيح تكون عايزانى تقوم تتساهل ف المسألة . ماجبتش أخش فى مناقشة يمكن قبل أوانها . وطبعا أنا مش مغفل أورى كل الكروته اللى فى ايدى لراجل بيكسر مقاديفى . ابتديت أخاف . وبالأخص لأن الناس كانوا قالوا لى أن فلان دا هو الكل فى الكل ف اللجنة الاستشارية للبعثات . قال لى شوف . أنا مستعد أن أقبلك زى ما أنت . عندك ستة على تسعة وستة على اتناشر مش كدا ؟ « أيوه يابيه » وأضفت فى حزم غريب « لكن أنا متأسف يابيه . أنا لازم أمشى ف حكاية الجامعة دى للآخر . وزى ماتيجى . غالبا النضارة الجديدة تجيب ستة على تسعة وستة على تســعة أنا .

---

(١) الدكتور طه حسين ..

عاوز أدرس أدب · أنا عاوز أدرس · اشتغل · مش أروح ألعب سنتين فِ أكستر وأرجع بدبلوم بتاع أجانب ، أنا عاوز أبقى مسئول وعاوز سكة مفتوحة · أنا مع الجامعة الى النهاية » قام بص لى بصة جديدة ، فهمت أن عنده سلاح جديد ونزلت القنبلة « لكن هي فين بعثة الجامعة دي ياأستاذ ؟ احنا مانعرفش حاجة عنها » المسألة قلبت جد · ابتديت انتبه لكل كلمة تنقال قلت له : « مجلس الكلية طلبها ف جلسة كذا ومجلس الجامعة وافق عليها ف جلسة كذا ، تبقى الجامعة هاتبعتنى بعثة ، ولا ايه »؟ ـ « يمكن · لكن لحد دلوقت أنت مالكش عنـــدنا غير بعثة · واحدة ،ودى بتاعت الوزارة ·· يافلان افندى · هات دوسيه سى لويس » · المعروف عن فلان أفندى دا أنه كان ننوس عين البيه اللى أنا بأحكى عنه · دخل فلان أفندى بالدوسيه وحطه ع المكتب · ويظهر أنه كان متتبع المناقشة من أولها لانه اشترك ف الموضوع على طول · ـ « أيوه يابيه · الاستاذ لويس مالوش غير بعثة واحدة » البيه فر الورق · وقال لى بلهجة كريهة معناها ضبطتك ياشاطر · والا ماتقولى يابابا · « لويز حنا خليل عوض أفندى · ايوه ياسيدى · بعثة واحدة مافيش غيرها لاجامعة ولا يحزنون ايه رأيك يابطل ؟ برضه مصــــمم ع الجامعة ؟ أنا : » «طبعا» ، هو : «طيب هات لى يافلان أفندى ريشة وفرخ ورق يعتذر دلوقت أهوه عن بعثة الوزارة » ، أنا(خائفا) «اشمعنى دلوقت اهوه ما أنا باجى كل يوم ! » هو «دلوقت أهو ياتقبل ياتسيبها لغيرك · احنا مش عاوزين نضيع وقت · فيه شبان غيرك كتير يتمنوا أنهم يروحوا اكستر · احنا لازم نبت ف الامر بسرعة لأن التعطيل فيه ضرر · بس أنا ب احذرك · اذا اعتذرت دلوقت يعنى خلاص راحت منك لأننا ح نكون ارتبطنا بغيرك · واضح ؟ » أنا « بديهى » هو « كمان ريشة يافلان افندى » أنا « مرسى ، عندى قلم » ·

ابتديت اكتب ف اعتذار · أهى قلبت غم · أنا خفت صحيح ·· طيب واذا ماجتش التانية ، يبقى ايه العمل ؟ يبقى أمرى الى الله ؟ دى تبقى نكبة وسوء تصرف مش امرى الى الله ؟ لكن ليه يعنى ماتجيش التانية ؟ لازم الورق زمانه فى البوســتة ·

لكن مين يعرف ؟ يمكن ياواد يكون فيه تعصب زى مابيقولوا • مش بعيد • مش معقول دا مش لعب عيال • مش بعيد • يمكن الموظف دا يقف ف وشي لوجه الله ف اللجنة الاستشارية • مش بعيد ، مش معقول ، ايه المناسبة ؟ يمكن المالية (١) تقول ماعنديش فلوس لبعثة أدب • جايز • يمكن واحد يكون عنده واسطة يبوظ الشغلة • مش معقول • يعنى هاياخدوا مين ؟ أول دفعة السنة اللى فاتت أو اللى قبلها أو اللى قبل اللى قبلها ؟ لكن مافيش فايدة • اللى مايغامرش عمره مايكسب • المسألة عاوزه حزم وبت سريع •• اعتذر • ورحت ماضى الاعتذار « اتفضل يابيه » « مع الشكر يابنى ، انت ونصيبك » ••

• قضى الأمر • والله باين ان السبع بدل اللى فصلتهم ف المنيا قبل ما آجى هايبوظوا على • ربنا يسترها • يبقى السموكنج مالوش فايدة وبدلة الجولف أديها لواحد سايس • ومن شدة خوفى فكرت انى أقدم طلب لمعهد التربية أحسن لا أطول عنب الشام ولا تمر اليمن والاقى نفسى السنة الجاية بادرس ف أهلى أو داير أتهلف ف الشوارع • مجرد فكرة عابرة ومافيش طلب اتبعت • الصبر طيب • ومنظر بمخانة المعهد وحياة القشلاقات السخيف اللى فيه باسم النظام أو التربية الاجتماعية اتجسموا ف خيالى وصرفت نظر • الرزق على الله وابقى ساعتها أرجع المنيا أسكن بلاش مع عيلتى وادرس لى بخمسة ستة جنيه ف الاقباط الكبرى بالمنيا زى مابيسموها •

طبعا ساعتها أنا كنت خام ما أعرفش حاجة عن الكتبة اللى فى بدرونات ادارة الجامعة اللى اشى ارشيف ، واشى مستخدمين واشى قلم مراجعة واشى قلم شطب واشى كانى واشى مانى • ماكنتش اعرف حاجة عن الكتبة اللى ف وزارة المعارف العمومية اللى خلونى ف يوم من الايام أفكر جديا ف الانتحار • طبعا كنت أقرا ف الجرايد انتقادات على الروتين الحكومى لكن الحاجات دى مافهمتش معناها الحقيقى الا بعدين بالتدريج •

---

(١) وزارة الخزانة ••

رحت تاني يوم الصبح بسلامة نية لسكرتارية البعثات ، وحتى ابتسمت للموظفين اللى هناك · وأنا فاهم وهم فاهمين انا بابتسم ليه ، عشان أمشي الشغل · قال عامل حويط أو مدردح ماتفهمش : «الجواب وصل ؟ – جواب ايه» – «جواب الجامعه اللى فيه بعثتى » – « لايا افندم · ماتقعد يالويس افندى نجيب لك قهوة » ·

وتاني يوم برضه : « الجواب وصل ؟ » – « ان شاء الله يوصل بالسلامه · ماتتفضل نجيب لك قهوة » · تالت يوم : « ياواد يازين هات فنجان قهوة مضبوط · ياسيدى الجواب لسه » · رابع يوم · مافيش قهوة · مافيش تكليف · مافيش جواب · خامس يوم ، سادس يوم · كفاية عد مافيش فايدة · ف الاثناء دى كانت حصلت حاجات تانية زى نجاحى فى الكشف الطبى مثلا · كمان فلوسى خلصـــــت ، أنا دايما فلوسى بتخلص ، واضطريت انى أدرس كام تلميذ مدة شهر ، واحد كان ف الكفاءة وتلاتة كانوا ف سنة تانية ف كلية الآداب من قسم الانجليزى · وكلهم بالصدفة نجحوا · القصد أهو كله تحايل ع المعايش لحد مايفرجهـا · أتارى الجواب وأنا مش دارى قاعـد ف ادارة الجامعة ، هناك ف قلم تحسين الخطوط بيكتبوا فيه نص يوليو وطول أغسطس ونص سبتمبر بالخط الثلث والنسخ والرقعة والكوفى والبصرى والمكعب والطره ·

وصل الجواب فمافضلش غير موافقة اللجنة الاستشارية ·· لكن اللجنة الاستشارية دى ، زى ما قالوا لى ، ما بتنعقدش غير مرة كل تلات أربع أشهر ·· موت يا حمار طلبوا منى انى أمضى استمارات فيها شروط أهمها أنى أخدم الحكومة سبع سنين ·· أفتكر وانى ما اتجوزش ف أوروبا وأن الحكومة مش مسئولة قانونا عنى بعد ما أرجع ·· شروط مجحفة من غير شك ·

نهايته انا طولت فى الكلام ع البعثات · زى ماقلت لك أنا مضيت ع الاقرارات دى كلها ، مضيت ع الكلام دا وسـبتهم وانا فاكر ان الشغلة خلصت وانى خلاص سافرت بس واقف ع التذاكر · وفات اسبوع ومافيش خبر ع التذاكر · واخير ارحت لسكرتارية البعثات أسأل قام حصل حادث مضحك ·· قابلت

الافندى اللى كنت كلمتك عنه ، مش الموظف الكبير ، الموظف الصغير ..

هو : يا أخى دا انا كنت ب ادور عليك بالحلاوة ـ أنا : ليه خير ان شاء الله .. هو : خير .. انت بس ياسيدى مامضتش زى الاصول ، أنا : ليه ؟ أنا اسمى لويس عوض ومضيت لويس عوض .. مافيش غلط .. هو : فيه .. انت مش اسمك لويس عوض انت اسمك لويس حنا خليل عوض .. زى ماف شهادة الميلاد ..

أنا كنت دايما باتضايق من الجزء الوسطانى من اسمى لأنى كنت دايما حاسس انه طويل وبايخ ، اتغاظت قوى وسألته : هو ضرورى اكتب اسمى الكامل ؟ « ايوه ضرورى » .. رحت كاتب لويس حنا خليل عوض ، ولما قراها رجع تانى يقارف ف ايمانى ، هو : لا ياأستاذ ، انت مش اسمك لويس لكن لويز أنا : لويز ؟ كلام ايه دا ؟ دا لويز اسم بنت « هو » مش مهم شهادة الميلاد بتقول لويز مش لويس ، » أنا : «وأنا ذنبى ايه اذا كان حلاق الصحة اللى حرر الورقة كان جاهل ؟ « هو : أنا ماليش دعوة ، أنا مقيد بأوراق رسمية » أنا : « لا ، أنا اكتب حنا خليل معلهش ، لكن لويز لأ . مش ممكن « هو : انت حر ، يعنى انت متنازل عن البعثة » أنا : «ازاى ؟ مين قال كدا ؟ » هو : ؟ « احنا عاوزين واحد اسمه لويز حنا خليل عوض اذا كان اسم حضرتك لويس حنا خليل عوض فماتكونش حضرتك الشخص اللى احنا عاوزينه » ..

حاجة تنرفز . ورحت مأنث نفسى والامر لله . بأه لما مسجل جامعة كامبريدج يبعت لكم جواب عن مستر عوض تعرفنى ولما أنا أمضى اسمى الكامل لويس حنا خليل عوض ماتعرفونيش؟ وأنا خارج الافندى ميل على يوشوشنى وأفضى لى بسر خطير : « عملت طيب يا استاذ لويس . تعرف لو كنت صممت ع الاسم التانى كانت راحت منك البعثة » .

شفت بقى ؟ أنا ها اسيب الكلام ده من غير تعليق . تعرف بعد التعطيل دا كله أنا أخدت التذاكر يوم كام وسافرت يوم كام ؟ استلمت التذاكر يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٧ وسافرت

يوم ١٤ اكتوبر . ف يوم ١٣ اكتوبر استلمت التذاكر وصرفت شيك بخمستاشر جنيه مصاريف استعداد للسفر كل دا لحد الساعة واحدة بين المعارف والمالية وبعد الضهر طلعت فيزا لانجلترا وفيزا لفرنسا وبعت تلغراف لأهلى أودعهم واشتريت شويةهدوم وضربت تليفون لمستر فيرنس (١) أقول له جودباى

ويوم ١٤ الصبح كنت فى قطر اسكندرية ومعايا أبن عمى بيودعنى واتنين تلاته من أصحابى . والساعة اتناشر كنت ع الكوثر (٢) أبص ع الينا بتتحرك قدامى . والشيالين اللى ف جلاليب وسخةوالعساكر اللى ف بدل بيضا وصناديق البضاعة والونشات اللى منظرها بشع وشوية المودعين المفركشين ع الرصيف البعيد يبعدوا شوية شويه .

---

(١) رئيس قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب (جامعة القاهرة)

(٢) «المحرر» : الكوثر وزمزم والنيل أول بواخر مصرية اشترتها شركة مصر للملاحة حوالى ١٩٣٤ .



في عرض البحر

كل المسافرين اتلموا على جنب المركب اللى يبص ع الميناوكل اللى ع الميناهزوا منادلهم ، والمركب ماتفهم ماشية ولا واقفة والرصيف بيبعد بشكل محسوس . ومن دون الخلق دى كلها أنا وحدى ماليش حد يهزلى منديل . كأنى مقطوع من شجرة . قعدت أدعى سرى على موظف البعثات النطع اللى أخدنى ف دوكة لويس ولويز وضيع على الفرصة انى اشوف اهلى ، وعلى نظام الكتبة الحكوميين اللى يخليك تلات أشهر بورق ومذكرات وف آخر أربعة وعشرين ساعة يعمل كل الحاجات المهمة .

بصيت قدامى وحوالى وقدامى وف كل اتجاه ، لأن دى كانت لحظة دقيقة فى تاريخ حياتى وحسيت انى لازم أتنبه لكل حاجة بتحصل وأحاول افتكرها للمستقبل . زى ماهى عادتى كل ما أمر ف تجربة جديدة . لقيت مصر بعيدة . مصر . الوداع يامصر ، يامجمع حبى ومعقد آمالى ، الوداع يامصر ، أنا قريت كتير ف الروايات والجرايد عن وداع الوطن والأهل والأحباب والموقف مسرحى جاهز ، والباقى على . قمت اتركنت ع الحاجز وأرسلت عينى للمدى واستغرقت ف تأمل حوالين محور واحد الوداع يا وطنى ، وسرحت سرحة نصها تكلف ونصها شعور

صادق • ف الوقت دا كان جنبي على طول بنت من بنات البعثة كانت رايحة فرنسا ، وعنها وأبص ألاقيها لك ف وسط الكلام تشر بالدموع • « الله • الله ماتعمليش كده يافاطمه • انت صغيرةولا ايه ؟ » وراقت فاطمة ، والساحل ، يعني مصر ، لسه ما اختفاش خالص • قعدت زى العادة أحلل شعورى • اشمعنى يعنى البنى آدمين دول كلهم ليهم قلب وأنا ماليش ؟ اشمعنى يعنى أنا مش زعلان • حتى السرحان اللى سرحته بعد التحليل لاقيته أغلبه بوز مصطنع • انت فاكر البوزات العاطفية اللى

كلمتك عنها ف الفصل اللى فات أهي رجعت لى ف الوقت ده • ولقيت نفسي باستعد بعقلى للعاطفة المرغوبة خد عندكمحاورات غريبة مفتعلة بين الرأس والقلب زى ــ الرأس : « الوداع يا مصر » القلب : « الوداع ياوطنى الغالى » الرأس ــ « ازاى ماأزعلش وأنا هاأغيب أربع سنين » •• القلب « معـلوم » (فرصة قلبية) الرأس : « الساحل القديم ده أديله ساعتين بيختفي ولسه » القلب : « وما أصفى سماك يا مصر » (اهىء •• اهىء •• اهىء) ••

وبالرغم من كل المناجيات الداخلية ، مافيش حاجةدخلتعلى بعكس ناس كتير أنا مش من السهل على انى اضحك على نفسى • انا كنت فاهـم ان كلده « مـوقف » لازم تأديته ، لازمزى ماتروح الجامع كل يوم جمعه • عادة الاستبطان عندى من اشنع العادات لأنها بتبوظ طعم الحياة • أحبواحدة أقوم احلل ف شعورى لحد الحب ماينشف « صحيح أنا باحبها ؟ » ، « ليهانا باحبها ؟ » ، « أد ايه انا باحبها ؟ اد ميت جنيه ؟ لأأكتر • اد شهادة الدكتوراه ؟ لأأقل • اد عشر سنين من عمرى ؟ ايوه • اد سنتين سجن ؟ لا ياعم يفتح الله » وهكذا دواليك زى برنس هاملت ، حياتى كلها كده مش كده ؟ آه ، لأ •• ليه ؟ وازاى؟ وامتى ؟ وفين ؟ كمان انا سايب مصر قوم لازم اتأسف بالغصب ولما آخد بالى أن أسفى مفتعل اقعد اشتم ف نفسى ، واسـأل ياترى ليه انا مش زى بقية الناس •

اختفت مصر • وفاطمة فاقت • وانا فقت واتنين وعشرين سنة من الماضى غرقوا فالامواج الباهتةاللى بينى وبينالشاطىء

المسحور ، رحت انتقلت « للاســتاربورد » زى مابيسموه ، يعنى الدك اللى بيطل ع البحر مش ع المينا ، وقعدت أتأمل ف امواج الشاطىء المجهول ، الشاطىء اللى اســتكشفته ألف مرة بخيالى وأنا عيل ، ووأنا يافع ، ووأنا شاب ، الشاطىء اللى ياما

روحي آويت اليه كل ماقريت الصاوى وتوفيق الحكيم كأنه وطنى الحقيقى اللى ماشفتوش من يوم ماخطفونى الفجر وانا لسه رضيع وجابونى مصر · أنا طول عمرى أحن للناحيــة التانية من البحر

الابيض ! ، وسبت الاستار بورد ورحت بوز المركب ، طبعاايه تنتظر من واحد بيدرس أدب زيى ؟ قعدت أفكر ف قصــيدة « الفلاح القديم » بتاعت « كوليريدج » وأحلل فى الســطر المشهور ··

أى واحد ركب مركب ودقق ف حــركة الامواج من ورا لابد لاحظ أن الزبد مابيتبعش السفينة لكن بيجرى بعيد عنها · وكمان المركب لما بتحرت المية لا الطاش ولا الحضان بتجرى ورا المركب لكن بتجرى بعيد عن المركب · وازاى كوليريدج يقول انها كانت بتجرى وراها ؟ أنا عارف ان كوليريدج كان عارف الحــكاية دى لكن ساب السطر زى ماهو عشان الجناس اللى فيه · وعشــان الشعر ماحدش بيدقق فيه ·· شوف شوقى بيقول :

تشكى لبيد لطول الحياة ولو لم تطل لتشكى القصر

طيب واذا أجل لبيد انتهى حايلحق يتشكى فين ؟ ف القبر ؟ نهايته ، بصيت لقيت النظر ف الامواج اتحول لمشكلة ف النقد الادبى · هيه · أد ايه نتساهل مع الشاعر · رحت من سكات بطلت أبص ف الامواج وابتديت أعمل ف رحلة استكشافية الغرض منها المعرفة والمنفعة ، ابتديت أدور أنا ساكن فين ، وبعدين دورت ع العفش بتاعى وبعدين نقلت العفش ف الكابين ، وبعدين خدت حمام وغيرت هدومى ، تعرف لبست ايه ؟ لبست جاكتة نورفولك وبنطلون جولف وطلعت أتمشى ع الدك · دى كان أول مرة ف حياتى ألبس بنطلون جولف ولذلك كنت مكسوف خالص، وخايف أحسن الشراب مثلا مايكونش ماشى مع البنطلون · أنا أبقى أسلم انه لازم فيه ع المركب ناس بيفهمو · كان كل همى انى أتظاهر بعدم الاكتراث كأنى من لابسى البنطلونات الجولف

طول عمرى مع انى مافصلتش البدلة دى الا لان كان عندى فكرة ان الناس ف انجلترا بيلبسوا كده أحيانا ف السفر . ماأعرفش أنا جبت الفكرة دى منين يمكن من الروايات اللى قريتها يمكن من السينما . يمكن واحد قال لى . يمكن شفت واحد انجليزى عامل ف نفسه كده والحكاية جت سليمة لان ماحدش اخد باله أن فيه حاجة غير عادية فى لبسى قمت اتشجعت وابتديت أتحرك . دورت على أصحابى ساكنين فين ، وشفت صالون الاكل ومش فاكر ايه تانى .

دى كانت أول مرة أركب فيها مركب ، وده كان السبب انى كنت باسميها مرحله استكشاف . وأؤكد لك انى تعلمت ف يوم واحد حاجات كتير ماكنتش أعرفها ، لكن كل ما كانت تصادفنى حاجة جديدة كنت أشعر ببرودة تشبه البرودة الناشئة عن الفقر ، والسبب ف كده معروف . احنا ف مصر لما واحد يورى انه مش عارف حاجة معينة ، بالاخص حاجة من الحاجات المتصلة بأسباب المدنية ، يكون رد الفعل الطبيعى عندك انك تضحك عليه وبعد كده تحاول انك تشرح له المسألة بطريقة تخليه يحس طول الوقت بجهله ، أو ان كنت رجل طيب ، على الاقل بعلمك .

خد عندك مثلا حكاية «الجونج» بتاع الاكل ، أنا عمرى ماركبت مركب قبل كده فبديهى انى ماأعرفش انهم بيدقوا طبلة صاج زى بتوع المسحراتية ف رمضان قبل كل أكلة ، ويدوروا بيها ف مماشى المركب عشان ينبهوا الركاب ، كمان أنا جاى من عيلة متوسطة مابتدقش جرس ولا غيره قبل الاكل . يمكن الحاجة الوحيدة اللى تشبه دى وكانت فاتت على ، هى جرس الغدا بتاع مدرسة المنيا الثانوية ، ودى حكاية كنت نسيها آدى ست سنين . ثانيـا دى طبله ماتفهمش صاج والا نحاس والازنك مش جرس يقول تن تن . فلما سمعت الجونج أول مرة كنت متكى ع الحاجز باتفرج ع الموجة ازاى تندمج ف الموجة ، والموجة ازاى تنفصـل من الموجـة ، قوم مافهمتش الحكاية ايه . كل اللى لاحظته بعد كام دقيقة ان كـل الناس اللى حواليه بيتحركوا ف اتجاه واحد . برضه لحد كده مأخدتش بالى . استغربت شوية لكن ماأخدتش بالى . وبعد كام دقيقة كمان ، بصيت لقيت نفسى لوحدى ع الدك . ابتديت أجمع اتنين واتنين زى مابقولوا الانجليز وجت البخـة . راحـوا فين ؟ وبعدين ؟ أروح فين ؟ طيب دا فيه صالونات كتيرة للاكل . أنا

كنت عادتى ان ف الحاجات اللى تمس الكبرياء مأسألش الا الضرورةالقصوى • حتىفالضرورةالقصوىأتحايل ف السؤال بقدر الامكان ، طبعاأنا اتغيرتخالصدلوقت ، لكنساعتها كنت أفضلانى أستنى جاهل أو انىاكتشفالحالة بنفسى ، عنكونى أسأل واحد غالبايعرقنى مقابلماهو بيفهمنى • نزلتالصالون اللى كنتاكتشفته بنفسى قبلكدهولحسن الحظطلعهوه • دخلت لقيت كل الترابيزات مشغولة وأنا ملبوخ ، وعينى زايغة من الكسوف ، ماتفهمش ليه الكسوف ؟ انما ساعتها اتهيأ لى أن كل الناس بتبص لى • الغرض قعدت أتظاهر بأنى بأدور على محل وأنا واقف وأنا مش شايف حاجة أبدا • طبعا كان فيه خمسستمحلات فاضيةمنطره ، لكن أنا منلبختى ماشفتش ، ولما شفت محلين فعــــلا اترددت ، أروح والا ماأروحش •• « يمكن الناسدول كلهم حجزوا وأنا غلطتاللى ماحجزتش » ، أخـــيرا جه المترودوتيل لحد عندى ورطن بالفرنساوى بسرعة •• مافهمتش حاجة طبعا انما عرفت انه عاوز يريحنى ••• مشـــيت وراه وفعـــلا لقيت نفسى قاعد مـع تلاته تانيين ما أعرفهمش خالص •• بعد صعوبة شوية اتعرفنـــا وزال التكليف ف خمس دقايق زى ماهى العادة بينالمصريين • واحد ابتدا ينكت ـ « تعرفوا حكاية الجريجى والالمانى ؟ » ـ « لأ » « مره واحد جريجى وواحد ألمانى ركبوا نفس المركب ومن حظهم انهم قعدوا قدام بعض ف سفره واحده » •

يظهر النكته كويسه • ابتديت أندمج • على الاقل موضوع النكته كان له مناسبه • استمر الافندى ـ « وبعدين الالمانى حب يجامل الجريجى قام قال له (مالتسايت) ، مالتسايت معناها بالالمانى أتمنى لك شهية كويسة ، قام الجريجى افتكره بيعرفه بنفسه فرد عليه « بابا دوبولو » • وف معاد العشا قعدوا قدام بعض قام الالمانى ابتدا « مالتسايت » • الجريجى قال ف عقلـــه يظهر يمـكن الراجل ماسمعش الاسم كويس ف المـــــرة الاولانية ، ورد بأدب « بابا دوبولو » تانى يوم الالمانى برضه ع الاكل قال للجريجى مالتسايت قام الجريجى اتضايق خالص وماردش عليه • وماصدق خلص من الاكل قام راح يشتكى لواحد صاحبه من جاره اللى كل أكلة يهوسه

بمالتسايت ، قام صاحبه فهمه ان مالتسايت دى مش اسم الراجل ، انما معناها انه بيتمناله شـهية كويسه قام الجريجى اتأسف خالص ولما جه العشا راح مالى وشه بالابتسامات وقال للالمانى بأدب كتير « مالتســـايت » قام الالمانى رد عليـــه « بابا دوبولو » آه ..

ضحكنا قوى . لان دى أول نكته مؤدبة كنت سمعتها لمدة سنه.ع المركب اتعرفت بالاستاذ على عيسى المدرس بالمدارس الثانوية ، وبمدام عيسى ، وبسببهم الرحلة هانت قوى على . كمان كان معانا الاستاذ عباس عمار المـــدرس بكلية الآداب والاســـتاذ قدرى المدرس بمعهد التربية والآنســـة زينب شعرانى . الاول بتاع جغرافيا وكان رايح مانشستر والثانى بتاع علم نفس وكان رايح ردنج ، والتالته بتاعت تربيـــة وكانت رايحة بريستول ، أما بعثات فرنسا فكانت كتيرة .. ودول أغلبهم كانوا من اللى اتخرجوا سنتها من قسم الفلسفة ف كلية الآداب بعتتهم الوزارة باريس عشان ياخدوا دبلومه فى تدريس اللغـــة الفرنسوية وبعدين يرجعوا يدرســـوا فرنساوى ف ثانوى .

أنا مش فاكر حاجه أبدا عن ليالى البحر الابيض المتوسط. مش فاكر اذا كانت مقمره والا ســـوده . مش فاكر شكل النجوم ف السما وف الميه وف خيالى اللى بيلون كل حاجه . لكن فاكر الريح اللى قامت واحنا فـبوغاز مسينا واستشاطت الامواج ف ليلة من الليالى . دخلنـــا سالمين وطلعنا سالمين والبحر رجع حصيرة . شفت أنا اللى امباذوقليس وقف عليه بعد ماالبشر نبذوه ف المنفى وشـــاور بعصايته الســـحرية لرياح المضيق فهاجت ، ولسه من يومها هايجه ، واضطربت العناصر الاربعـــة ومن جوف البركان ارتفع لسان من النار اتلقف النبى القـــديم . قريت أغنية كاليكليس عشر مرات ف ديوان ماثيوأرنولد وعينه حايره بين الكتاب وجبل النار ، لحد ماغاب الجبل بسحابه بضبابه ورا الهوا التقيل . ابتديت الكتب اللى كنت قريتها ف الخمس سنين الاخـــيرة يبقى لها معنى ف قلبى . لان السما راح صفوها والبحر انطفا زى

الرخام والهوا رطب جبيني ، لو كنت فاكر القصـــيدة اللى كتبها كريســـتوفر سكيف على أننا جبل الموت كنت نقلتها هنـــا • الفاتحة على روح أنبا ذوقليس النبى الشهيد قبل ارميا واشعيا وعيسى الامين •

وصلنا جنـوه يوم ١٨ أكتـــوبر ســـنة ١٩٣٧ • كل اللى ع المركب نزلوا واتفرجوا ع البلد ، واتقسمنا شلل • شلل • واحنا فايتين على ظباط المينا اللى أشروا على باسبورتاتنا • أنا ماكانش معايا فلوس طليانية ســـاعتها • فرحت غيرت عشره شلن من الاكشاك اللى ف ميدان المينا قالوا لنا روحوا المقبره بتاع جنوه ، رحنا المقبرة بتاع جنوى ، تماثيل ايه ، وفريسكو ايه • ونضافة ايه • وهندسة ايه • يعنى مع المبالغة الكتيره الواحـــد يتمنى يكون من ســـكان جبانة جنوه ذات الجناين المتحدرة والتماثيل ، مافيش رهبة كتيرة لـــكن فيه جمـال ومجهود واضح • يعنى تدى فكره ان الموت نفسه له مباهج • وان الواحد يقدر يمشى من عالم الاحياء لعالم الاموات من غير تكليف ، ومن غير مايشعر بفرق كبير • الناس دول بيحترموا موتاهم • أما احنا • مافيش لزوم للكلام • أنا مش من رواد المقابر لكن مره رحت الامام الشافعى لما مات عبد الحكم الجراحى وعبد المجيد مرسى (١) وشفت التراب اللى مايوحيش بغبار الموت أو جلال الزمن انما يوحى بعفار وابورات سكك حديد الحكومة المصرية لما تبص من الشباك •

اذا كنت عاوز تشوف مقبرة جنوه تعال اتفرج ع الكارت بوستال اللى عنـــدى • كمان عندى صور تانيه عن البياتزا ديلافيتوريا ، يعنى ميدان النصر • البلد نفسها عادية ومليانه حتت وســخه وحوارى ضيقه وبنى آدمين ف منتهى القذاره • الحته اللى جنب المينا مثلا تفكرك بأوسخ أحيـــاء مصر • أما الميادين والشوارع الجميـــلة فمش ممكن تبقى جميـــلة زى اسكندرية ولا حته نص اسكندرية • اشتريت من جنوه جوز

---

(١) المحرر : عبد الحكم طالب الطب، وعبدالمجيد (اسكندرانى) طالب بزراعة استشهدا برصاص الانجليز فى مظاهرات عام ١٩٣٥ التى جرح فيهـــا الرئيس جمال عبد الناصر •

جوانتي بمعرفش كام ليرة واشارب رخيص بحاجه تعادلشلن بس للذكرى • الجوانتي ضـــاع والاشارب أخدته واحـــده ف انجلترا ومابقاش من ذكرى جنوه غير صـــوره لسه حيه ف ذهني • منظر البلد العجيب من البحر وهي ماتعرفش مبنيه على جبل والا ايه ، والجبل نفسه المكسى بالخضرة اللى مافيش انسجام بينها وبين سطوح البيوت المعمولة جمالونه حمرا • ومع ذلك تلاقيها جميله خالص • المنظر دا ماشفتوش بعد كده غير ف فرى تاون عاصمة سيراليون ، وف كيب تاون • البيوت طبعا شفت زيها كتير ، لكن البيوت اللى ع الجبل هى اللى دى اللى مافيش منها كتير ، كل ده حصل ف كام ساعة•لان المركب قامت بينا ف نفس اليوم العصر • وأنا راجـــع المركب كنت باقابل قطعان من الفاشست بقمصان سوده ، اشي شبان واشي بنات واشي عيال سن تسع عشر سنين ، حتى ضباط المينا كانوا لابسين قمصان ملونه • لما وصلت ميدان المينا قابلت واحـــد من السفرجية بتوع الكوثر فسلمت عليه وقعدنا نتكلم وأخيرا اقترح على أنه ياخدنى يفرجنى على جنوه • قلب جنوه • قعد الراجل يتكلم ف مواضيع الستات واللى البحاره بيعملوه لمـا ينزلوا كل مينا وأنا سايبه يتكلم • طبعا الحاجات اللى ذكرها ماكانش فيها حاجه جديده على ، لكن أنا كنت مبسوط من انى أسمع الكلام ده من واحد بحار شخصيا • أنا واحد من الناس على فكره دائما مســـتعد انى أعمل أى عمل ف حدود المعقول عشان ماأتعلم حاجه جديدة ، أو حتى أشوف حاجه جديده • حاله نفسيه ربنا يحميك منها • وكمان حدود المعقول عندى مطاطه قوى لدرجة أن بعض الناس المتصلين بى بيفكروا أحيانا انى مجنون مثلا تبص تلاقينى أحب أسهر للصبح من غير أى غرض • أو أسافر ميتين كيلو لانى عاوز أشوف واحد من غير ماأعرف هوه موجود ف البلد والا مش موجود أو حتى أعرف عنوانه ، أو أبعت تلغراف لانى كسلان أكتب جواب ، أو أقعد ف لندن تلات أسابيع مستنى فيزا لفرنسا أيام باريس ماكانت بتسلم • فماتستغربش أبدا انى قلت للبحار مافيش مانع • لكن نبهت ع البحار قبل مانبتدى الرحلة أنه يمشى بأدبه لما نوصل هناك • بعد ربع ساعة لقينا نفسنا ف وسط شوارع

ضـــيقة وحوالينا ســـتات كتار لابسين لبس خليع • واحنا ماشـــين بقم الســـتات يوقفونا ويسألوني عن بلدى أقول «اجيبشيان» مايفهموش ، أقول «اجيبسيان» برضهمايفهموش وبعدين البحار يلضم معاهم ف كلام ، مع انه نوبى وف الآخر يقولوا بصوت عالى « اجيسيانوا • اجيسيانو » ويشدونى • شعرت بشيء من الندم انى غامرت بالرحلة دى • « نو ، مرسى مدام » ماحدش فاهم « نو ، مدام برضه ماحدش فاهم • أشاور ع المركب وأحاول أفهمهم بالاشارة انى ماشى مافيش فايده • أبص على زميلى • يخرب عقله • اختفى وسابنى لايص • قلت أما فصل مؤلم ، الموقف كان مؤلم مش بس سخيف ، طيب وأنا أعرف أخـــرج ازاى من الحتـه دى ؟ والمركب باقى على ميعادها نص ساعة بس ، خفت أتحرك منمكانى وأبتدى أدور بنفسى ع السكه أتوه زياده • ابتديت أعرق ، وكل ماأتصور نفسى قاعد لوحـــدى ف جنوه بعد المركب ماتسيبنى أعرق زياده • ابتديت أعد الثوانى • الدلع بتاع الستات والنكت اللى مش فاهمها أصبحت ف نظرى مسألة يجب وضـع حـد لها بسرعة•استعملت الخشونة مع اتنين منهم وشتمتهم بالانجليزى فسكتوا • لانى فاهم ولا هم فاهمين انما مظهرى دل على انى مش فاضى للـكلام ده • ابتديت أوقف الرجاله ف الســكه وأسألهم عن طريق المينا ، قلت يمـــكن أعتر ف واحـد راح مدرسة ولو سنتين ف عمره • أسأل بالانجليزى مش نافع • بالفرنساوى مش نافع • ابتسامه،اجابه بالطليانى ثم انصراف ودى وحسه ايه الوحسه دى •• ودى شوره ايه النيله دى •• ابن الكلب مش هايرجع ؟ ابن الكلب راح فين •• باقى عشرين دقيقه (١) •

وأخيرا ابن الكلب جه • واحد غيرى كان غلط وضربه قلمين وشلوت ، لكن أنا كنت بأغلى جوه واتكلفت عـدم الاهتمام • قلت له وأسنانى بتزيق •

---

(١) «كنارى» والىهناك اترك لويسعوض الشاب فى ورطته مع نســاء جلوه ، واترك القراء فى حيرتهم وقلقهمعلى مستقبل لويس عوض • فبهـــذا القدر من الحديث يصل بنا الدكتـــورلويسعوض الى ثلثىالصفحةالثانية =

« مش تفتكر أحسن نرجع ؟ » ..
وافق . ورجعنا . ف السكة ماحدش قال حاجه ، خطر لى أنى أناقشه ف تصرفه لكن عدلت . ايه الفايده . الغلطه غلطتى من الاول انى أفكر ف رحلات من النوع ده . هو مش مسئول. وصلنا المركب وكان لسـه قدامنا خمس دقايق . قلت له « متشكر » وسبته ورحت لأصحابى . كان موضوع الحديث طبعا جنوى ، لكن أنا ماشتركتش ف الحديث ، كان لسـه دمى متغير . كان عندى حكاية ظريفه أقولها لأصحابى ، لكن فضلت انى أسمع بس . وقامت المركب وخرجت من المينا وأنا لسه باأسمع بس .

طبعا ماتنتظرش منى بعد اللى حصل دا انى أديك فكره عن مسـتوى الجمال بين بغايا جنوى ، ولا حتى عن الهدوم اللى كانوا لابسينها ان كانت غالية والا رخيصة أنا مش فاكر حاجة لانى كنت سـاعتها ملخوم . مش فاكر حاجه غـير المغرز اللى أكلته .

ووصلنا مارسيليا على خيرة الله . وبكده انطوى البحر اللى شق البشر شقين . بصيت جنوبا وشفت أفريقيا ف خيالى . بصيت شمالا لقيت أمم من الاقزام والقرود ف غابة صنوبر مالهاش حدود بتشـتغل بتشتغل بتشتغل ماأعرفش ف ايه . وأنا واقف فهمت اللى جاى أكتر من اللى رايح ، فاستنجدت بالله وشديت أعضاء جسمى وابتديت أعمل لى سـكة بين شيالين مارسيليا .

= والعشرين من مذكراته البالغ عددها ثمانى صفحات بعد المائتين ..
على انه فاتنى ان أقرر فى صـدر حديثى أن اسم الكتاب كان «سوفنير» ثم عدله المؤلف بخط يده الى اسـم «مذكرات طالب بعثة ـ تجربة بالعامية» واهداه الى « مادلين برنيه ـ واهبـة السعادة » . والكتاب كتب عـلى الآلة الكاتبة عام ١٩٤٢ وقدم الى الرقابة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٤٤ فى الساعة ٩٫٣٠ صباحا وقيد برقم ٢٥٤٥ وقد حـذفت منه الرقابة الصفحات ١ و ٢ و ٢٠٧ و ٢٠٨ .
وبهذا القدر من الصفحات أشعر بانى قدمت لمحة سريعة عن كتاب هلس أو كنز مدفون يرسم لنا خطوطا عريضـة واضحة للغة التخاطب التى يبحث عنها استاذنا الكبير توفيق الحكيم .



دون کیشوت

زى ما المصريين اللى فالكوثر عملو شلل فى جنوى كمان عملوا شلل ف مرسيليا . أنا مش عاوز أوصف لك البلدانما أكتفى بأنى أقول لك انها بلد وسخه خالص من بره .منظرها من البحر مش ولا بد . منظر جنوى من البحر أجمل منه كتير، وعلى كده تقدر تستنتج ان اسكندرية أجمل مينا أنا شفتها ف البحر الابيض المتوسط . من بره من جوه اسكندرية أجمل مينا ف البحر الابيض المتوسط . وأنا واقف فالمينا بتاعت مارسيليا بقى يفوت على ناس غالبا سوريين ومغاربة ويقولوا لى بالعربى ان عندهم ستات حلوين وسينمات زرقاء فيها أفلام قبيحة وحاجات تانيه أوحش من الستات الحلوين والسينمات الزرقاء . أنا ماكنتش لسه نسيت الفصل اللى حصل لى ف جنوى . ورفضت انى حتى أسمع الكلام اللى بيقولوه وبقيت أطردهم بشدة ، ده يديك فكرة عن الموانى، واللى بيحصل فيها زى ماتلاقى فيها شيالين وعمال جمرك تلاقى فيها سماسرة أعراض .

أخدت اتنين أصحابى ومشينا فالبلد . رحنا قهوه اسمها « كافيه ريش » قالوا لنا انها قهوة المصريين ف مارسيليا .

وفعلا لقينا فيها مصريين • أنا لحد دلوقت مش عارف ليه يكون فيه مصريين في مارسيليا • بصراحة أنا أفتكر ان مافيهاش جامعة ماعرفش ، انما بيتهألي كده • أنا أفهم أن يكون فيه مصريين فمونبيلييه ، فليون ، فتولوز ، مش فمارسيليا • بيتفسحوا ، يمكن • المهم مادام فيه مصريين فبلد ، يعني هايتقابلوا فين طبعا ف قهوه • لكن لازم اعترف ان القهوة دي كان دمها خفيف • كانت فشارع الكانبيير المشهور اللي اتقتل فيه الملك اسكندر بتاع يوغسلافيا أو بطرس الحالي والمسيو بارتو وزير خارجية فرنسا • فاكر • طبعا مكان الحادث ماعرفتوش غير وأنا ف كافيه ريش ، « شايف البناء الغامق اللي ف الصف التاني هناك ده • ده • مش ده • أيوه ده • أهو ده مكان الاغتيال • » أول ماسمعت كده قلت «عن اذنك» وفردت رجلي لحد هناك لاقيت البورصه أفتكر • وقفت قدامها وقعدت أتصور الحادث ازاى حصل • د ى حاجات ليها أثرها ف النفس لأني حسيت طول الوقت اني « بأشوف » التاريخ الشعور دا جالي ف أوروبا بس لكن عمره ماجالي فمصر ، غير لما رجعت وابتديت أدور بنفسي نهايته • رجعت لأصحابي ف القهوه وبعدين جت تلميذه معانا وقالت لي :

ـ تعالى يالويس نشترى جزمه لي •

وراح لويس يشترى جزمة ليها • مش يشترى يشترى : يعني بس يصاحبها وهي تشترى • ف الاول قلت « حاضر » وبعدين ابتديت أستغرب « وليه هي ماتشتريش لوحدها » « وليه هي تاخدش بنت معاها » قبل الرحلة دى أنا كنت عمرى ماكلمت بنت في حياتي غير عن محاضرة أو اسم مرجع حتى كلام عن الجو مافيش ، أو ازى صحتك حتى •

مافهمتش اذا كانت الآنسة دى طلبت مني اني أصاحبها ف المشوار دا لانها خايفة من واحد فرنساوى يعاكسها ف السكة أو لان العرف جرى ان الست دايما تبقى مصحوبة أنا باأذكر الحادث ده على تفاهته عشان أوريلك ازاى شاب عمره اتنين وعشرين سنة ف مصر اختباره مع الستات مش

ضيق بس انما صفر ، المهم خدتني المدموازيل شارع يشبه شارع الموسكي عندنا بس أضيق شويه • يظهر ان ف كل بلد ف العالم فيه شارع زي شارع الموسكي • مشينا ووقفنا ومشينا ووقفنا • كل دا قدام دكاكين الجزم والمانيفاتوره وهيه تطلب وتتفرج وتقلب وترجع • أنا عمري ماشتريت هديه لست • وعمري ماهتميت بلبس الستات • عمري مثلا ماأخدت بالي من تطور مودة الجزم أو الشنط أو الجاكيت عندهم • أهو كله كعب عالي ف نظري • وعمري ماقلت لواحده انت جميله قوي ف الفستان ده • صاحبتنا طبعا ماتفهمشف الحكايه دي • قام قعدت توريني • « دا مش حلو يالويس » أقول ف عقلي « أيوه حلو ياماما بس اخلصي اشتري » وأقول قدامها « أرجوكي ماتسأليني ف المسائل دي • أنا ماأفهمش فيها حاجه أبدا » فعلا • أنا لبسي تمام زي لبس ابراهام لنكولن وجيوبي دايما محشية ورق ف اللي أنا مش واخد بالي من لبسي ازاي هاآخد بالي من لبس الستات سألت خمسة وعشرين دكان واستشارتني خمسة وعشرين مره واعتذرت لها خمسه وعشرين مره • دي حلوه بس غاليه دي حلوه بس فاتحه • دي حلوه بس بطلت • دي حلوه بس ياخساره • بس • بس • بس روحي طلعت • البنت كان دمها خفيف بس مش عاوزه تشتري • « يلا بنا يالويس • كلها ستاشر ساعه ونبقى ف باريس هناك الجزم أحسن » • أنا جايه أتفرج على مارسيليا والا الموسكي يمكن أنا كنت غلطان ف الملل بتاعي • يمكن كان لازم أهتم بملابس الستات عشان ماأبقي انسان متمدن • يمكن هي تعرف اللي فيه الخير والحكاية مش مجرد لكاعه زي ماتهيألي ساعتها • الغرض حسيت ف وقت واحد اني عاوز أضربها قلم واني عاوز أحط راسي على كتفها • ولما كان التنفيذ مستحيل ف الحالتين ، عرضت عليها أننا نفضنا من حسبة الجزم ونروح نتفرج على كنيسة نوتردام دي لاجارد يعني كنيسة ستنا الحارسه يعني ، أفتكر كنيسة ستنا مريم • وفعلا رحنا وبعد كنيسة نوتردام العالية فكرنا نروح جزيرة ايف اللي كتب عنها اسكندر دوماس ان الكونت دي مونت كريستو كان محبوس

فيها ، لكن قالو لنا مافيش وقت • أنا مش هاأقول لك أنا شفت ايه فى نوتردام بتاعت مارسيليا لانى مش فاكر غير المنظر البرانى •

وعنها ورحنا محطة مارسيليا ف آخر النهار عشان نسافر باريس • وداخ محسوبك بين الشنط • خلص الخيال والمغامرات ومافضلش من « الرومانس » وموج البحر وقصر ايف اللى شفته بس بعين خيالى غير شيالين بيتخانقوا مع بعض ودخان سمج وخواجات رايحين جايين • وأنا واقف زى الفرخة الدايخه ، أفكر ف كل كلمه سمعتها وكل حاجه شفتها عشان ماأنساش • قالوا لى دى مارسيليا بلد الفلس، قلت كل الموانى كده •

قالوا لى دى مارسيليا بلد البخل • قالوا دى مارسيليا بلد النكته • قالوا دى مارسيليا بلد الفشر • وأنا أسمع ساكت • كل ماأفتكر روجيه دى ليه رافع ترالتريكولور بايديه الجوز ويغنى « الى السلاح ، أيها المواطنون » أقول بلاش الحاضر وكفايه اللى فات لما الرجاله كانت رجاله • حتى دلوقت تلاقينى أبتسم كل ماأفتكر ماريوس وأوليف ، ماريوس اللى بنى برج ايفل وأوليف اللى قتل البحر الميت • ماريوس وأوليف دول زى جحا وأبو النواس عندنا ، دايما يحكوا عنهم نكت مع بعض ، والاتنين يمقلوا فشر المارسيليين وبديهة أبناء الساحل • ماتستغربش لو قلت لك ان أهل مارسيليا فيهم صفات كتير من الاسكندرانية • الفشر النكته ، البخل ، التعصب الشديد لبلدهم •

لكن دى كلها حاجات مش مهمه • كفايه على مارسيليا المارسيلييز • لما الرجاله كانوا رجاله كتب التاريخ كترت • ومع ذلك سيبك من دا كله ، « القطر الازرق » صفر ف المحطة وكلنا ركبنا ، حتى أساميهم فيها سحر ، احنا نسمى قطر مصر اسكندرية قطر البحر • جبنا ايه من عندنا وهم يخلوا مياه الجنوب وسما الجنوب تترجرج قدام عينيك لحد ماتوصل باريس •



درس خصوصى

المائدة المستديرة

ف القطر الازرق قعدت مع الاستاذ على عيسى ومدام عيسى ٠ نص يوم سفر دا حاجة كتيرة ، القطر دا من المحلات اللى أنا اكرهها بكل جوارحي لان شعور الانسان بالوقت بيشتد لدرجة الاختناق ٠ وان ما كانش معاك حد يلاعبك بوكر طول السكه تغطس ، أنا عمرى ما أنعس ف قطر ، وعمرى ما أقدر أقرأ حاجة ، الأستاذ عيسى كان راجل ف حاله وفكرة الكوتشينة ما طرأتش على أى حال ٠ كل الكلام اللى ف الدنيا خلص ف ساعتين ولسه باقى نص يوم ٠ يعنى بس لو كانت الدنيا نهار كان الواحد يبص من الشباك يتفرج على الريف الفرنساوى أو يشوف الدساكر بتطوى واحده ورا واحده ٠ من الديوان للكوريدور ، من الكوريدور للديوان مافيش تعب انما فيه زهق ، ف المده دى اتعرفت باتنين اشى مصرى واشى فرنساوى، المصرى قال لى انه كان تلميذ فجامعة ستراسبور بيدرس كيميا أو صيدلة ماقالش حاجة مهمة ، الفرنساوى قعد يسأل عنى وعن مصر وعن رأيى ف كل حاجة ، برضه ما استفدتش منه حاجه ٠ رجعت الديوان ادردش مع عيسى ٠ اتكلمنا من جديد عن المرحوم مستر هوكارت استاذ علم الاجتماع ف كلية الاداب

بتاعتنا اللى عيسى كان بيحضر معاه رسالة ماجستير • خليته يحكى من جديد ازاى خطب امرأته وازاى وازاى وازاى ، برضه لسه فاضل نص يوم •

واخيرا نمت • نمنا كلنا • وصحينا ف باريس • الحقيقة اننا ماتمناش ولا صحيناش ف باريس ، انما اذا قعدت أحكى لك عن اللى حصل ف نص يوم هاكتب كلمة «زهق» طول الوقت ، نسيت اقول لك • كان الجماعة اللى رايحين انجلترا وانا منهم متفقين على اننا ننزل مع بعض ف باريس عشان نسافر مع بعض انجلترا ، كنا أربعة ، الآنسة زينب الشعرانى بتاعت تربية ف برستول والاستاذ قدرى بتاع تربية أو علم نفس ف لندن والاستاذ حاجة مندور بتاع البان ف ريدنج والاستاذ عباس عمار بتاع جغرافيا ف مانشيستر وأنا بتاع أدب ف كامبريدج انشانتيه •
وصلنا محطة ليون ، مش ليوم بحق وحقيقى انما محطة ليون اللى ف باريس ، أعمل لها ايه ، اسمها كده ، بيسموها فى باريس جارد ليون عشان الناس بيسافروا منها ليون واللى جايين من ليون نزلوا فيها ، وصلنا محطة ليون ف باريس قوم انفصلت بالغريزة من اليسار ، زى ماكنت باسميهم بأساميهم ع الطريقة الانجليزية يعنى عيسى ومراته وانضميت - برضه بالغريزة - لشلة انجلترا ، ولحسن الحظ كان فيه ناس مستنيين ع المحطة • كان الاستاذ عمار بتاع الجغرافيا مستنيه الاستاذ حسان عوض بتاع الجغرافيا برضه ف باريس ، وكان الاستاذ حاجة مندور مستنيه انسان خطير الشأن جدا ماأعرفش يقرب له ايه ، الا وهو الاستاذ محمد مندور بتاع أدب ف السربون • « كومبينيشن » عجيب ، اتنين بتوع جغرافيا واتنين بتوع أدب واتنين قرايب واتنين اصحاب واتنين بتوع تربية ، خلطة عجيبة ، مين يمشى مع مين ، خلطة عجيبة •• امزجة متضاربه ده ها احكى لك عنه وها اقول لك ازاى الامور حلت نفسها •

احنا وصلنا باريس الصبح ، ما اعرفش الساعه كام • كان اول حاجه عملناها طبعا تاكسى وع اللوكاندة وارمى العفش

وحمام ويالله احنا احرار • اللوكانده اللى نزلنا فيها ـ انا فاكر كويس ـ كانت ف شارع مونج ف الحى اللاتينى • مش فاكر بكام بالضبط انما غالبا حسبه خمسه وعشرين فرنك ف الليله • افتكر عمار بتاع الجغرافيا كان معاه عنوانها من الاول لانى سمعته بيقول ان الدكتور حزين مدرس الجغرافيا بكلية الآداب كان بينزل فيها كل ماكان يفوت ف باريس ، دا دليل على انه كان يعرفها من الاول • الشاهد • انا كنت مضطرب طول الوقت • ف التاكسى عينى كانت زايغه عاوز اشوف كل حاجة ف مدينة النور ف دقيقة واحـــدة ، كمان لانى كنت مضطرب لانى وجدت نفسى فجأة ف الحى اللاتينى اللى ياماقرينا عنه وكنت بحلم بيه ولسه بااحلم بيه • الحى اللاتينى انا ف الحى اللاتينى حاجة تخلى الواحد يضـــطرب • ابص حوالى ماالاقيش حاجة تخلى الواحد يضـــطرب • كل حاجة عادية • برضه ناس لابسين برانيط وشوارع وبنايات ، لكن الفكرة ، آه الفكره • وتعمل ايه ف الفكرة • مجرد الفكره انى ف الحى اللاتينى اللى اتشرد فيه كل ادباء مصر خلتنى ارتعش • امتى ياربى اتشرد ف الحى ده زى زكى مبارك والصـــاوى وتوفيق الحكيم • امتى ياربى اتشرد واكتب زى ماكتبوا •

كمان من أسباب اضطرابى انى ماكنتش أعرف حد ف الشلة اللى انى ماشى معاها لازملائى ولا اللى بيفرجونا ، طلعنـــا من اللوكاندة عشان نغزو مدينة الاحلام ••

خدونا من سكات على محل الديبون اللاتينى قال ايه نفطر، كرواسان • اتنين • كاكاو • مرسيه • مين يدفع هم قال اللى يدفعوا ، حسان قال :

ـ دا يبقى محل الديبون أشهر محل ف الحى اللاتينى ، احنا كتير نجى ناكل هنا •

قام الجدع التانى قال •

ـ دا اسمه ديبون لاتان ديبون دا يبقى اسم راجل صاحب محلات كتيرة كلها قهاوى من النوع دا منتشرة ف كل أحيـاء باريس ، ولاتان دى صـــفه يعنى اللاتينى • ومحل ديبـون اللاتينى يعنى الفرع من محلات ديبون الموجود ف الحى اللاتينى والحى اللاتينى زى ما انتم عارفين دا حى الجامعة ولذلك تلاقوا

المحل دا دايما مليان تلامذه ودا مستعمرة المصريين ف باريس شايفين البنا الغامق اللي قدامنا ع الشمال شوية ف الناحية التانية من الشارع ، دا يبقى السوربون ٠

كفاية بقى ، عرفت ، عرفت بالغريزة انى هاأستفيد من الافندى دا اكتر من حسان ٠ صحيح حسان كان فارق شعره من الوسط بطريقه عجبتنى خالص وحاولت بعدين ف انجلترا انى اعمل زيها انما مافلحتش ٠ لكن هوه دا اللى يقدر يفهمنى كل حاجة انا عاوزها ٠

ميلت على واحد من زملاء الرحلة وسألته ٠٠

ـ مين الافندى دا ؟

ـ دا اسمه محمد مندور ، بعثة كلية الآداب لدراسة الادب ٠٠ قديم هنا تمن سنين ٠٠

تمن سنين يابوى زى مابنقول فى الصعيد لما نستغرب وهو بعينه دا لازم يعرف حجارة باريس ، كل حجر باسمه ٠ قربت من محمد مندور دا وقلت له ، بعنين مليانة عاطفة زى الاطفال ٠

ـ من فضلك انا عاوز اتفرج ع السوربون٠

ـ تعالوا نفرجكوا ع السوربون ٠

واحنا بنعدى الشارع قعدت أتأمل ف مندور دا لاقيتهشاب طويل ف اعتدال مليان أسمرانى شعره أسود قوى زى شعر الهنود وطويل قوى قوى زى شعر الارتيستاتومناخيره واضحه فوشه ، أما ملامحه كلها فتدلعلىانه منأصل رومانى مافيش شك مافهوش مصرى غير سماره ٠ تمثال مترهلشويه ، عينيه كبيره محفوره ، با اقول محفوره مش غايره ٠ طول الوقتيعلق ع الحاجات يعلق وينكت نكت عقليه غير مألوفة ، نكت زى اللى بنقراها ف الكتب ، نكت ماتضحكش قوى انما تشعرك ان قدامك مخ شديد الالتفات ، وكانكل ماينكت يضحك بشويش أو يبتسم وف ركن شفايفه التواء التهكم واضح واللى بتقوله شفايفه بتقوله عينيه ، واحيانا يتهيألك انه بيتهكم بيك ٠

دخلنا السوربون وهات ياشرح وهات ياسؤال ٠ « دىاسمها

سوربون لان الراجل اللى بناها ف العصور الوسطى كان اسمه كونت روبيردى سوربون • السوربون دى تشمل بس كليه الآداب والعلوم والحقوق ، اما بقية الكليات زى الطب فتدخل تحت جامعة باريس • الانفتياتر دا اسمه انفتياتر فولتير على اسم •• الخ البنا اللى جنبنا اسمه الكوليج دى فرانس يمكن سمعت عنه » •

انا ـ ياالله نروح الكوليج دى فرانس •

هو ـ والبنا اللى ورانا من الناحيه التانيه ابوقبه دا ، دا يبقى البانتيون ••

انا ـ ياالله نشوف البانتيون

حركة تذمر من بقية الجماعة ••

الجميع ـ احنا عاوزين نشوف المعرض •

انا ـ الحى اللاتينى قبله •

ورحنا الكوليج دى فرانس ، ورحنا البانتيون ، « الشارع اللى فيه السوربون والكوليج دا اسمه شارع المدارس ، والشارع دا اسمه بولفار سان ميشـــيل • احنا بنســـميه من باب الاختصار بول ميش • دول اهم شــارعين ف الحى اللاتينى • شارع ـ سوفلو دا فيه مطابع كتيره • البانتيون دى كلمه جايه من الاغريقى بان معناها كل زى ماتقول بان جيرمانيك يعنى بتاع الوحدة الالمانية وبان آراب يعنى الوحدة العربية وثيوس معناها آله • يعنى كل الآلهه • يعنى المكان المدفـون فيـه كل الآلهه ، والآلهه دول يعنى العظماء • هنا فولتير مدفون • روسو بعده بشويه • المدخل العام زى ماشفتوا كلاسـيك عواميده مجوز ف العدد كورينثيه ف النوع • »

ـ ياشيخ ياالله نتفرج على باريس •

واحد قال • ابتديت اتنرفز • أمال يعنى احنا بنعمل ايه ؟ انا قلت انه ف الاول حصل لخبطه يمكن سببها انا ومندور • لان بقية الشله كانت زى ماتقول متفقه ف الميول من ناحيـــة الفرجة ، يعنى كلهم زى السياح الامريكان ، هم مالهم ومال فولتير منحوت فين ، هم عاوزين يتفرجـــوا عـــلى « باريس » المعرض الدولى بتاع باريس اول وقبل كل شىء • ابتدت حركة

تنقلات واسعة • كل دقيقتين تلاته يجي واحد يشوف مندور بيهتش بيقول ايه وبعدين يرجع لحسـان • وانا طول الوقت لازق ف مندور • شعرت بحروجة مركزى لانى أولا اجنبى عن الجماعة ثانيا لانى حرمتهم من مندور ثالثا لأنى كنت متعب أسئلتى كتيرة رابعا لانى كنت باسأل عن حاجات ماتهمش حد منهم خد مثلا اخدونا على حى السيتيه • مندور قال « دا تياترو ساره برنار ، ودا الشـاتليه » ، وبعد شوية « دى كاتدرائية نوتردام » ، وابعدين بمزيج من التهكم والبلازانترى « انتو سمعتوا عنها » الابتسامه اياها اللى ف ركن بقه تخليك ماتعرفش تضايق منه والا تضحك ، دا كمان من أسـباب شعورى بحرج مركزى مندور نفسه ماكانش يديك معلومات بالساهل • مش قصدى انه بيتكلم قليل ، انما قصـدى انه مافيش مانع انه يتريأ عليك وعلى جهلك أثنـاء الشرح ، مش ضرورى تريأه صريحه • مثلا هو عرف انى باادرس ادب زيى زيه ومع ذلك كان في سـياق كلامه يشرح تفاصـيل كتيره بسيطه مفروض ان كل واحد يعرفها ودى حاجة احيانا كانت تنرفزنى منه ، مثلا يقول ، سارةبرنار دى كانتأكبر ممثلة ف فرنسا ف أيامها ، وان كانت حاجة عويصـة شوية يقـوم يفهمك طول الوقت انه بيعلمك حاجة جـديدة فى ناس كتير بالشكل دا • مندور دلوقت بقى صاحبى ولسه ما غيرتش رأيى فيه • صحيح بالتدريج عرفتعنه خصال وصفات كتيرهجديده لكن الاثر اللى سابته المقابلة الاولى لسه باقى زى ماهو ويظهر انه صحيح •

وقفنا كتير قدام كاتدرائيـة نوتردام ولفينا كتير حـوالين نوتردام ومشينا كتير جوه نوتردام ومندور يشرح ويشرحوأنا فاتح عقلى وعينى وودانى زى مافتحت عقلى وعينى وودانى يوم ماقريت رواية «عشيق الليدى تشاترلى» شتاعت د • ه لورنس ف العشر سنين الاخيرة قبـل ما ازور باريس ، انا من يومماابتديت أقرا رواية « الفرسان التلاتة » بالعربى لحد ماقريت « لا جارسون » بتاعت فيكتور مارجريت بالفرنسـاوى ، ف الفتره دى رسمت ف عقلى خرط لكل عواصم أوروبا اللى قريت

عنها والبلاد اللى ف الروايات • خرط مفصلة ، يعنى مدن بشوارعها وقصورها وحواريها وعششها ، مثلا أقرا عن ميدان الكونكورد اقوم ارسم له خارطه ف مخي فيها مسله وكوبرى ونور من نور المشاعل معكوس بالليل ع الارض المرشوشة • الحتت اللى ماشفتش ليها كارت بوستال كانت فكرتى عنها تسعين فى الميه غلط ، وياما اتألمت لما كنت اكتشف ان الحقيقة مش ماشيه مع الخيال •

لفينا زى ماقلت لك حوالين نوتردام سبع مرات ولفينا جواها سبعة تانيين ومندور نازل شرح « كل كنيسة مبنية على هندسة صليب من جوه • فيه تلات صلبان • صليب فرعونى دامالوش راس وصليب جرجى ودا اضلاعه متساويه وصليب لاتينى ودا راسه اكبر من جسمه• شوف لو وقفت هنا ف المدخل ووشك للمدبح تقدر تشوف فكرة الصليب •• شوف الاقباء المكسورة فوق دى وجودها عضوى مش للزينة • «طبعا مندور مايقولش كده من سكات انما يبتدى يشرح لى معنى الحاجة العضوية ف الفن والفرق بينها وبين الحاجة اللى الغرض منها الجمال بس • » الحاجة العضوية ف لغة نقاد الفن هى الحاجة اللى بتلعب دور اساسى ف التصميم ، شوف الاقباء المكسورة فوق دى هيه اللى بتسند السقف • ف الواقع السقف معمول من مجموعة اقباء مكسورة•• على العموم كتر خيره «أفادك الله يا أستاذ » « حكاية القبو الناقص دا من قواعد العمارة القوطية الحقيقة ، انما العمارة القوطية التقليد — ودى غالبا جت ف عصر متأخر — تلاقى فيها اقباء مكسوة برضه لكن لغرض الزينة بس ومابتسندش السقف • دى حاجات ضيعنا فيها وقت كتير عشان نعرفها•• أنا مرة أخدت كور كامل ف العمارة عن الاستاذ فلان ، الموسيقى برضه أخدت فيها كور » •• وهلمجرا ، من العبث انى اشرح لك غيبى اللى شفته فى عماير باريس لكن اذا كان الموضوع يهمك تقدر تقابل الاستاذ محمد مندور وعنوانه على كلية الآداب •

زى ماانت شايف الاستاذ مندور وفر على قراية كتابين تلاته

ع الاقل • بلغته هواللى نصها تهكم ونصها بليزانتيرى » من علمنى حرفا صرت له عبدا » • ع الحساب دا انا مش بس ها ابقى عبد له انما ها ابقى عبد لكل واحـــد ف الدنيـــا • للشيخ البشلاوى اللى رقبته قعدت اربع سنين فيها دمامل لانه مره عطانى حصه اضافية ف ثانوى قبل ماكون عبد مثـــلا للاستاذ احمد امين اللى نوبه امتحنى شفهى عربى ف الليسانس وقال لى عن « ذهب المعز » واصله وفصله • مندور قال لى على كل حاجة ف « الكتاب الازرق » ، دليل السياح لمدينة باريس• الحق يتقال ان من غيره انا كنت دخلت فرنسا حمار وطلعت منها حمار • الحق يتقال ان بسببه انا عرفت عن باريس وفرنسا والفرنسيين واللغة الفرنسية حاجات كتيرة ناس عاشـــوا ف فرنسا مايعرفوهاش • طبعا داماحصلش كله ف اليـــوم اللى مضيته ف باريس اول ماسافرت انما حصـــل لما زرت باريس تلات مرات بعد كده لمدد طويلة •

أنا ماأقدرش أوصف لك قد ايه زملائى ف الرحلـة كانوا متضايقين من اهتمامى بالحجارة المصدية اللى بيسموها كنايس ومعالم •

ـ احنا عاوزين نشوف المعرض ••

هم عاوزين يشوفوا المعرض • اذن الى المعـرض • تاكسى ويالله ع المعرض • شفت ميدان الكونكورد والمسلة ف وسطيه ومندور نازل دش ، دا اللوفر ، دى جناين التويليرى دار يفولى دا كوبرى اسكندر السادس • دا الانفاليد • دا التروكاديرو• دا المعرض ستوب ، ورحنا نازلين • مافيش غير كلمه ونص على كل حاجه شفناها ف السكه • مافيش فرصـــه • ســـواق التاكسى عمل بالضبط زى آريل ف آخر رواية « العاصـــفة » بتاع شكسبير لما عمل مائدة سحرية لاعداء سيده الســـاحر بروسبرو وقعد يخايلهم بيها ، كل ما يمدوا ايديهم عليهـــا تختفى • اهى كمان مدينة الاحلام انطوت قدام عينى ف عشر دقائق زى الجزيره السوده ف الف ليلة وليله •

كل واحد شاف معرض باريس الدولى بتـــاع ١٩٣٧ لعن خاشه ، أنا طبعا لمـــا أسافر من مصر والا الولايات المتحـدة

مخصوص عشان اشوف معرض لازم حاسة النقد عندي تنشط غصب عنها ، يمكن دا السبب ، واحد صاحبى انجليزى قال لى ان المعرض كله ماكانش فيه غير الجناح الروسى والجناح الالمانى ، ودول كانوا بيتنافسوا فـالتفاهة وصف طريف ، ان كنت عاوز تعرف ازاى أهى صور قدامك ، أما أنا أقول لك الحق انبسطت خالص لان من الاصل ماكنتش منتظر حاجه ، ولا كنتش حتى عاوز حاجه • بالاخص الليل لما دخل ولاقيت الدنيا حوالى شعله نور • نورف الميه •• ونو ف الهوا ونور ف برج ايفل لما دخلت الجناح المصرى فتحت عينى شوية بس عشان اشوف اهل بلدى عاملين ايه جنب الدول التانيه • انا مش هاخبى عنك حاجه • انا لوكنت ف ايدى سلطه كنت

أوكل محمد محمود خليل بك عيش حاف مدة ٤٨ ساعة عقابا له على مجهوده الضايع ف تنظيم الجناح بتاعنا ، لكن ايه فايدة الكلام اللى حصل حصل •

رجعنا الحى اللاتينى بعد ماهيصنا طول اليوم ومع انه كان ميعاد نوم لقينا الحى سهران زى السيده زينب ف ليالى رمضان • اترمينا ف قهوه وبعدين طلع ف دماغى حكاية غريبه • قال لازم آخد ابسنت • انا كنت قريت كتير عن ازاى شراب الابسنت قتل نص فنانين فرنسا وكل الستات البائسين وكنت ناوى ادور عليه من تحت الارض عشان اشوف ايه هو ، السائل السحرى دا اللى طبق جفون الانام • قعدت أفكر ف فنانين نهاية القرن ــ اللى فات طبعا ــ شلة الفن اللى كانوا دايما ف هياج عصبى وميلانكوليا مالهاش حدود • وانا كمان لى احزان كتيره وعاوز اغرقها ف جرعة النسيان • شفت واحده وشها ناحل وعنيها دبلانه وشفايفها صفرازى الكركم ماشيه بتجرف رجليها ، مشيت وراها من بعيد ، لاقيتها خارجة من شارع سان ميشيل وعند الكوبرى وقفت مدة طويلة تبص ف المية وتبص فـالسما وتبص ع الحى وأهدابها الساقطة بتقول : الوداع ياحبيبى الحبيب ، الوداع يامارسيل ، قلبى ارتجف وقربت منها لحد ماوقفت جنبها ، شفت الفرو على كتافها بيتساقط زى العهن المنفوش ، قلت لها « ماذا تشتكين يا أختاه » بصت لى بصه سهتانه وحتى شفايفها ماتحركتش •

مديت ايدى ف جيب الجاكته وطلعت المحفظة وقدمت لهاالمحفظة من سكات • بحلقت في مده وهزت راسها وشــاورت لى على قلبها • قلت لا اله الا الله ، نفذ قضاء الله • وبعد شويهشفت دمعه واحدة من كل عين ، أنا كنت أفتكر ان العيون اللى زى دى نزفت كل دموعها من سنين • تمتمت «الوداع يا مارسيل» تمتمت انا « الوداع يا اختاه » وســابتنى وراحت فى نهــر السين ، وانا واقف اتفرج عليهــا بتغــالب ف المـوج الخفيف المضطرب لحد مااختفت ، وأول ما شفت الفقاقيع بتنفجر على وش الميه عرفت أن الكتاب اتقفل ، ورجعت الحى ادورعلى كتاب جديد أقرأه • طبعا الحاجات دى ماحصلتش فعلا ، لكن شفتها بعين خيالى • شفت شاعر من الشعراء قاعد ف بار منحوس وشه مكفىع الكاس اللىقدامه ودقنه الطويلة المهوشة مرتاحة ع الترابيزه • طبطبت عـلى كتفـه وقلت له • « مالك يا اخى قاعد مهموم « قال لى » خلاص ما فيش الهام • خلاص • اقعد سلينى • « افتكرت جان اللى كتب عنه توفيق الحكيم ف « أهل الفن » ، قلت اقعد أسامره لمطلع الصبح ، قلت له « ودا ايه اللى قدامك دا ؟ » قال لى « دا اكسير الراحة ، دا حشيشمقطور دا رسول النوم ، دا الفارس الاخضر اللى خطف روحى من بين الضلوع ، دا جرعه من نهر النسيان • شوفوا اخضر ازاى زى عيون البنات اللى جايين من بريتــانى • دا الابســـنت ملك الاحلام • » وسرح بعيد عنى ، سرح سرح ف مساقط الالهام • سبته ودنى خارج لقيت ف وشى واحــد ممثل قديم جمهوره ضاع من زمان ، قلت له «انت لسه عايش ؟» قام مسح نضارته ام شنبر دهب ف الكرافات الوسخه اللى نايمه على صدره زى فراشه هلكانه وحط ايد ف السديرى وفرد الايد التانيه كأنه ع المسرح تمام وقال لى « بس ليه يا ارمان ياولدى تعشق بغى • ليه تلوث شرف العيـــله • انا ابوك دوفال شريف اشراف بروفانس وصهر الدوق دى جيز وحفيد الخــادم الاول للملك الشمس ، اضرع اليك انك تنسى مرغريت ، » قلت ف عقــلى دا لازم استانجلينا ، دا لازم فاكر نفســه لســه على خشــبة الاوديون آدى عشرين سنه • دا لازم نسى •

آه دا لازم نسي ٠٠ نسي؟ آه دا لازم أخد أبسنت، أنا كمان لازم آخد ابسنت عشان انسى الاتنين وعشرين سنه اللى راحو من عمرى بلاش من يوم ما اتولدت ف شارونه مركز مغاغه مديرية المنيا لحد يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٤٧ ، يوم ماقامت بى الكوثر من الاسكندرية، افتكرت بودليروفرلين ورينبو وأوسكار وايلد ولانيل جونسون وجورج موروكل « المنحطين » ف الادب على حد تعبير ماكس نوردو ٠ انا لازم اعيش ولو ساعه ف الجو اللى عاشوا فيه ٠ ازاى اسيب الفرصـه دى ؟ آدى باريس أهى ، ومونمارتربفرنك وتلاتين سنتيم ف المترو ، مش ناقص غير الابسـنت ٠ ان ما اخدتش ابسـنت دلوقت امتى ها اخده لما ارجع مصر ؟ مصر فيها حشيش بس ٠ لما اوصل انجلترا امال هم « أوسكار وايلد وجورج موورولايونيل جونسون طفشوا من انجلترا ليه ؟ انا لازم آخد ابسنت ٠ قلت :

ـ يا مندور ، انا عاوز اشرب ابسنت ٠

ـ ما فيش ابسنت ٠

ـ لازم فيه ٠

ـ حرموه خلاص ٠

حرموه ٠ اذن الحاجات اللى حصلت ف روايات مارى كوريللى صحيحه ٠ تفاحة امنا حوا أحمرت ونضجت قدام عينى ٠ لما لقيت ان ما فيش فايده ف مندور اتحولت عـلى حسـان ٠ استغربت لما لقيت حسان بيفيض حنان اخوى ومفهومية ٠

ـ ابسنت ما فيش دلوقت ٠ لكن انا أعرف صـنف تانى اسمه برنوه صحيح مش ف درجة الابسـنت انما كفاية انه يجيب لك كل الاحلام اللذيذه اللى انت عاوزها ٠ داعباره عن ميه اكسوجينيه ٠ تحب تجرب ؟ ٠

ـ مافيش مانع ٠ عن اذنكو ٠

أخذنى على قهوة ف آخر شارع مونج وقعـدنا مطـرطرين ع التلتوار كأننا قاعدين فى «البول نور» لحد ماجه الجرسون ٠ قلت ف عقلى دا حسان دابابن عليه «شيك تيك» ويحب يخدم الاخوان ٠ أخدت كاس واحد ٠ الميه ليها لون لكن دا مالوش لون الراجل اللى قال « شفت عن كاس حتى لايشابهها لطافة وجفا عن

شكلها الماء » دالازم كان بيشرب برنو · لولابس انه قبل كدا كان قال «صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها» ماكانش يبقى فيه مجال للشك · لكن بالشكل دا ماتفهمش دا كان بيشرب وسكي والا زبيب يظهر انه ماكانش بيشرب خالص ، ويظهر ان عمره ماشرب أنا ماعنديش غير كلمه واحده أوصف لك بيها البرنو كريستال· وهو بيترجرج انكسرت فيه ألف شعاع من أنوار البار ومن أنوار البار اللى جو المرايات ومن أنوار البار اللى قدام البار بتاعنا ·أم عمل زى الزيبق أو الكورا المعـدن اللى يبص لها كتير ينـام دا بالضبط اللى أنا عملته · نمت تنويم مغناطيسى · من كاس واحده لاقيت نفسى بادوخ · أطرافى نملت وراسى لفت حسان قال لى:

ـ جرى ايه ؟ خليك سبع · كاس تانى ياابرينيه ·

كاس تانى أيها القارىء وبقيت ف عرض تاكسى · صرخت

ـ تاكسى ·

لكن ماحدش سمعنى غير حسان · قام قال لى :

ـ تاكسى ايه العبيط دا دى اللوكاندة دقيقة ونص · ومع ذلك انت حالتك عادية خالص· دى بس تهيؤات· كل شوية الزتون دى ·

أكلت شوية الزتون دى · اتوزنت شويه ·

ـ كمان كاس ·

ـ مش ممكن ·

ـ والله كمان كاس ·

ـ لا والله ·

ـ أديك رقت أهو · ياابرينيه، كمان واحد ميه أوكسوجينيه ·

ـ بقى اسمع ياحسـان · انت يظهر انك عاوز تتفـرج على بااطوح ف الشارع ·

ـ أبدا والله ·

ـ طب انت مابتشربش ليه · اشرب وأنا أشرب ، عشـان ماحدش يضحك على حد ·

ـ انت مش قلت انك عاوز تجرب الابسنت ومع ذلك أنا هاآخد واحد ·

واحنا بنتكلم الكلام دا طبوا علينا بقية الاخوان وطب الجرسون بالبنوره اللى بيترجرج جوه بنوره · هزيت راسى عشان أفوق

فدام الجماعه وفعلا صحيت شويه . اذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا . آدى الكاس وآدى حضرة المجرب الاعظم آدى الجمل وآدى الجمال . ياشرب يااتلهى عـــلى عينى وبلاش تلحمة فاضية تانى . يعنى أنا هايقلبونى تلات كاسات برنو شربت الكاس تقريبا فى بلعه واحدة . وانظر ماكان من أمرى أخينا دونكيشوت دى المنيا . لما استقر السائل فى جـــوفى ، أحسست بالقيء فى حلقى وأنفى وقلت ياحســـان ، ياأخلـــص الاخوان ، فلنعد لوهلتنا الى الخان ، فما تردد الصديق ، بل جذبنى الى الطريق ،وأنا أتمايل كالمخمور، والدنيا أمامى تدور، فاتكأت كذلك على مندور ، حتى بلغنا الاوتيل ، فشددت الحبل ورفعت هامتى ونصبت قامتى ، فماأن بلغت غرفنى حتى شهقت على خيبتى وانكفأت على الحوض وصحت ان اعاع . غفرانك يابديع الزمان ، هنا تعجز القوافى عن التبيان . هذا ماكان من أمر أخينا دونكشيوت دى المنيا . مالك ومال الكاسات ، روح وفر واحلق ياعبده .

صحيت تانى يوم الصبح بدرى قوى بصداع أمريكانى أصلى، لاقيت الاولاد كمان صاحيين . على فكره ، احنا كنا تلاته نايمين ف أوده واحده ، لان اللوكاندات كانت مزحومه بسبب المعرض . وهات ياتأليس . « الله يأرفك ياشيخ » . «فضحتنا يااستاذ» . « قوم نضف الحوض قبل ماحد يدرى » مش ضرورى اقرفك بالتفاصيل صدعت بالامر ونضفت الحوض . مش ضرورى تعرف ازاى . ودى كانت خبطه فوقتنى .

بيتنا ف باريس ليله تانيه ، مش عارف ليه ، قعدت ف الاول أعارض ان احنا نبات ف باريس وقاموا كلهم هبوا فى زى كلاب جهنم . سكت ، غلب طبعا ، لانى ماحبتش أسافر وحدى انجلترا . ازاى أسافر وحدى انجلترا وأنا ماأعرفش مخلوق هناك .

عزمنا وحزمنا وف الضهر قمنا من محطة الشمال — اسمها كدا — على بلاد الانجليز .

دى ساعات خطيرة ف تفكير الانسان . انك تحس انك مش عايش انما بتتفرج الدنيا جو سفيره عزيزه . أنا مره مثلا كنت راكب تاكسى ف شارع ابراهيم باشا وشفت بلوند قاعده ف تراس ف الكونتيننتال . دى كانت أجمل مره شفتها ف حياتى، ومع انى

ماأحبش الشقراوات لكن قلبى نبض وغمضت عينى لحد باب الحديد عشان ماأشفش حاجة تانية • أنا كمان شفت باريس بالشكل دا• حرام دا• يمكن المؤلف المسرحى أفيدله انه «يتفرج» ع الناس ، لكن الشاعر الزم له انه «يعيش» مع الناس • أنا مش شاعر ولاحاجه لكن ان كان ولابدفأنا عايش ف برج عاجى مدندش بالصدف الملون والابنوس ، ويفتح ع البحر الكبير ،زى القصر اللى كانت عايشه فيه ليدى شالوت بتاعت تيسون ،والقصر اللى وصفه كيتس ، أبو شبابيك مسحوره •

أنا برضه لما كنت ف كامبردج وطلعت ف حكاية الكتابة بالمصرى عملت قصيدة أولها :

أنا سكنت فى قلعـــة
والقلعة دى مسحـورة
وفيها لمبـــه والعـــه
يشـوفهـا ف الشـبورة
الـــلى تعب والتـــايه
وأبو آمـال مكســـوره
أنا ســكنت ف قلعـــة
تطـــل ع المحيـــط
أبراجهـا مايله تحـــكى
للـــزبد الغـــويـط
يمـــكن بنـــاها جنى
يمـكن بنـاها القـــوط
وعشـت عيشـــة هادية
بكـــره زى الامـــس
وشـفت ألف موجـــه
تغسـل حفافى الشمـس
حيـاه وتـيره واحـده
طـول عمر الحب همـس
والغيمـــه قرمـــزية
والليل سـمير الرمس •

كان المرحوم حلمى رفاعى دايما يألس ع الشـعر بتاعى ، ويعاير نى بالقصيدة دى •

أنا عارف ان شعري وحش انما أنا ماباعملش شعر عشان يعيش لكن عشان «أجرب» وأشجع غيري انه يجرب. ماتنساش اني مدرس أدب وعندي نظريات عاوز أنشرها .

أنا با أذكر الحاجات دي كلها عشان أوري لك ازاي حز في ترك باريس . لكن في شعور أهم من دا كله . شعوري وأنا ف القطر بأني ساعة ماأحط رجلي ف دوفر حياتي الجديدة تبتدي . القطر مريح والهوا جميل والصحبه لطيفه ، وأبص من الشباك أشوف الريف الفرنساوي مكشوف الجمال ، يعني مافهوش جمال . مافيش تراب . أيوه مافيش تراب . كل بلاد الله مافيهاش تراب . اشمعني يعني مصر بس اللي فيها تراب. حاجة تحير . يعني احنا بس اللي عندنا ريف ؟ ماكل العالم فيه ريف. أصل مستر ماكادام كان من أعداء الشرق برضه وعشان كده امتنعت وزارة الاشغال المصرية انها تبلط الطرق . كان فيه مدرس انجليزي ف مدرسه ثانوية عندنا مره سأله تلميذ عن معنى كلمة « ليك » قام قال له دا اللي بيستنى ف شوارع مصر بعد مايخلص المطر . وفيه واحدة فرنسوية مره كتبت كتاب عن مصر قام أفاضت ف ذكر أهمية التراب ف حياتنا الاهلية . تراب ف تراب . كل حاجة هنا فيها تراب . تراب ف دوسيهات الحكومة . تراب ف عيون الناس . تراب ف السكك . تراب وعماص ووساخه رباني . أنا أفهم ليه بيت الفلاح المصري يكون وسخ . الفقر . أنا أفهم ليه جلابية الفلاح المصري تكون وسخه برضه الفقر . لكن ليه الشوارع والطرق عندنا تكون زي ماخلقتها الطبيعة الحكومة المصرية مش فقيرة . الحكومة المصرية بتصرف كل سنة ١٥ مليون جنيه ع الكتبه اللي بيسركوا جوابات ف المصالح وأنا كل مرة أسافر ف مصر من بلد لبلد اتعمي وبدلتي تعدم ولما الناس تاخد رمد صديدي يقولوا لك دا الرمد الصديدي من أمراض المناطق الحاره . أبدا . الرمد الصديدي من أمراض الحكومة المصرية .

نهايته اهواريل شال المائدة بتاعته قبل ماناكل زي ماانت شايف ، وباريس بقت ف عيني ذكرى أغمض عليها الجفون . ودخلنا كاليه ماريتيم ودخلنا المركب اللي هاتعدي بينا المانش . أهي فرنسا كلها أصبحت ف عيني ذكرى أغمض عليها الجفون.

وأنا لسه ف أرضها وأنا لسه على مينها • دا لان تفـكيرى كله أشتغل بالمخاطره الكبرى اللى ورا الميه ، المخاطره التى ابتـدت ساعة ماأصبح المانش « الفتـاة الانجليزية » زى مابيسـموه الانجليز •

الوداع يافرنسا • لاأذكر انني دخلتك أو خرجت منك مره من أبواب الشمال أو من أبواب الجنوب الا لازم لقيت اتنين شيالين بيتخانقو • الوداع يافرنسا اللى حسيت فيكى انى لسه ف مصر • الاهل أهلى والقهاوى ع الرصيف •



ماتيو ارنولد

مافيش حاجه اسمها مصر قطعه من اوربا • اوربا انهيه ؟ فرنسا وايطاليا ، يمكن انجلترا لأ • اقرب الى الصواب انك تقول ان فرنسا قطعه من افريقيا • الطليـانى مش غلطان لما يسمى البحر المتوسط « نوسترا مارى » ،يعنى « بحرنا » ، وطرابلس « نوسترارْيفا » يعنى « الشاطىء بتاعنا » • المصرى كمان لو قال نفس الكلام دا عن ايطاليا يلاقى وجوه كتيره بينا وبين الطلاينه • لو مصر بقت زى اســماعيل باشا ما كان عاوزهـا ـ حتـه من اوربا ـ بالكتير هاتبقى زى ايطاليـا انا مابا اعبش ف ايطاليا • انا مابا اعبش ف حد • لما اقول ان الفرنساوى مختلف عن الانجليزى ما اقصدش ان واحد فيهم أحسن من التانى • كل اللى بااقصده هو انهم مش زى بعض • الفروق اللى بين انجلترا وفرنسا والانجليز والفرنســويين جوهريه اكتر من الفروق اللى بين فرنسا ومصر والفرنسويين والمصريين • يمكن دا الوضع العلمى بتاع الفكره •

اركب المانش نوبه وشوف بنفسك • شوف ازاى الطبيعه نفسها مختلفه بين كاليه ودوفر • مره واحدة تلاقى الســما

اتملت غيوم والبحر الازرق الفاتح بقى لونه زى القصدير • شوف ازاى الريح نفسـها مجراها وسرعتها ووزنها الموجه تتنفس زبد أغبر زى الفضه المطفيه • شوف السهل يضحك ورا ضهرك بالسنا السابغ والدفء العميم والصخر قدامـك ينطح أجواز السما الغامقه • ووقفت أنا وهتلر وماثيو ارنولد وبولس تلميذ المسيح قدام صخور دوفر وصحنا •

فاتصدعت الصخور وأجابت زى الملك لير لكن ف تهكم •

لما وصلنا المينا وقفت ف بوز المركب وافتكرت كلام ادجار لدوق جلوسترف رواية الملك لير •

كل ده شعر عظيم من الدرجه الاولى ، ولكن شعر بس • ماتيو أرنولد كتب قصيدة عن «شاطىء دوفر » شبه الشاطىء فيها بحصى الحياة المكشوف • هى دى الجملة اللى انا بدور عليها وانا ف المركب باأتأمل ف ساحل انجلترا الجنوبى • ايوه حصى الحياة العارى • الحصى العارى مش المدفون • هى دى الجمله اللى دايما باافكر فيها كل ما اسيب عزلتى واندمج ف العالم عشان أكل عيش او عشان اعمل واجب اجتماعى مكتوب على جبينى انى ها اعمله ، لانى ماشى حافى والرمله سخنه تحتى والقحل أصفر فاتح كله ظلط مدبب • كان حلمى رفاعى الله يرحمه دايما يقول ع البنت اللى بيحبها دى واحه ف صحراء الحياه • اناكمان باأدور على واحة • مافيش غير حسانين باشا هو اللى بيلقى واحات ، ويمكن كمان الناس اللى لابسين جزم يقدروا يمشوا ف الرمله اكتر ، اما احنا الحفيانين ماتيوارنولد وانت وانا ، فحقنا ياندور على دير نسكن فيه يانموت ف نوره ناكل الاشواك اليابسة ونصهر الحصى المسـموم • ياريتها رمل أملس ممدود للابدية • كنا ساعتها نقول خيبة الرجا بقت روتين • لـكن دى ظلط عارى • أنا شـفت حاجة أجدب من الرمل ، وذى الظلط القاسى ، البازلت اللى اتعصر بعد الطوفان على طول •

كل دى افكار جت وراحت ف ثانيتين • واسود منها كمان وجه وراح ف ثانيتين وأنا واقف ضهرى لهولندا ووشى لضابط الجمرك • قال لى ع اليمين ، قلت « رايت »



اليوم الأول ..

قبل مانركب قطر السهم الذهبى بين دوفر ولندن فتنا عـلى دكتور الميناً قام كشف على أسناننا واحد واحد ٠ غير كدا ماالقيناش صعوبة ف الجمرك ٠ ان كان معاك خمس شنط يسألك موظف الجمرك ٠ « انت معاك حاجه ممنوعه أو جديدة تقول «لأ» يقوم ينقي شنطه واحده ويخليك تفتحها ويلقى عليها نظره عامه وان مالقاش حاجه ممنوعه أو جديده يأشر على كل الشنط الباقيه من غير مايشوفها قلت ف عقلى شعب عنده معقوليه ٠ المعقوليه دى تحسها لما تقارن الطريقه دى بطريقه الفرنساويين ٠ مافيش مره دخلت فرنسا الا خلونى أفتح كل الشنط ، حتى الآلة الكاتبة اللى كنت دايماً أشيلها معايا ، ويدوبك الحق قطر الجنوب بجهد فظيع ٠ ومع ذلك فرنسا كان نصفها جواسيـس بينما انجلترا ماحدش قال عنها حاجه ٠

ركبنا السهم الذهبى وانطلق بينا فوسط الريف الانجليزى ٠ اذا كنت فاكر رحلات المدارس ف مصر والروح اللى بتسود الجماعه فيها تقدر تعرف حالتى النفسيه وأنا فالقطر ٠ زى ماقلت لك أنا ماكنتش لوحدى ٠ طول الوقت ف قطر كاليه كنت قاعد أضحك وأهرج واتكلم بصوت عالى ٠ كان فيه ناس كتير بيعملوا كده

وماقيش حد واحد باله من حد • حبيت أعمل كده ف قطر لندن
بصيت لقيت العربية كلها ديوان واحد زى ماتقول الديزل مثلا•
بصيت حوالى لقيت خواجات نضاف فكرونى بالمساتر الانجليزى
بتوع الثانوى ، كل واحد قاعد ف حاله ماحدش بيكلم حد • اللى
فارد جرنال ، واللى بيضع بيبه وعينه شارده ف المراعى والغيوم
الغريبه ، واللى مغمض عينيه من غيرماينعس ولا يفكر • وهنا
وهناك كان فيه مره تخينه لابسه بالطو قطن مقلم وبرنيطه
رخيصه بوردة غامقة • كمان كان فيه راجل أو اتنين باين عليهم
بقالين أو كومسيونجيه • وف آخر العربية قعدت بت حلوه قوى
قوى ، ودى أول مره أشوف فيها الجمال السكسونى الاصيل •
اتنفت ورايا لقيت عيله بأولادها ببناتها قاعدين ساكتين يبصوا
لبعض • حاجة تضايق بصيت لعمار قام زغرلى زغره معناها
« اعقل وماتفضحناش » ، بصيت لقدرى لقيت حواجبه بتقول
« أقعد على بعضك ، مش شايف الناس هاديين » مافيش صوت
ف العربية كلها غير صوت العجلات • والنهاية ؟ نهاية الصمت
دا ايه ؟ مديت بصرى من تانى واللى شفته ف الاول شفته من
تانى • طنيت من الشباك لقيت سحاب ورمادى مفضض • لقيت
مراعى منحدرة علينا كأننا ماشيين فوادى من وديان ادجاربو _
الوادى اللى كان بيقابل فيه اليونورا ، والخضره زاهيه ، أزهى من
أى حاجة شفتها ف مصر ، أزهى من لون العلم بتاعنا وأزهى من
الخضره اللى ف أناشيد عبد الوهاب • لادى دف جوردون يمكن
معاها حق لماتقول ان مافيش خضره أخضر من خضرة وادى النيل •
انما اتهيأ لى ساعتها أن مراعى قلعة كنت دى أخضر من الحشيش
المبلول اللى مشى عليه سيدنا آدم قبل مايهوى • وف قمم المنحدرات
فيه بيوت صغيرة حمرا مبعتره سقوفها زى سنام الهجين •
وع المنحدرات شفت خيل حمرا بترعى لونها واضح قوى • بالرغم
من الشمس المحجوبه • وهوا اكتوبر الخفيف المشحون بالندى
يمسح خدى برفق • دى مش المناظر اللى رسمها
تيريز •• تيريز ماشافش لون الا من ورا قزاز مكسى
بالبخار • دى ألوان واضحه زى ألوان روينز ولا
فرمير • دى ألوان واحد مبسوط من الحياه ، واحد
القرينه بتاعته صافيه •• واحد شهوانى طروب بيشرب شاى
ف الخلا ويشم السندس البليل ويرقص كل عصريه مع فلاحين

القريه حوالين داير ويسيب أثر مايروحشيع الحشيش • داكله بره القطر • جوه القطر ابص ألاقى الراجل اللى بيقرأ الجرنال لسه بيقرأ ف نفس الصفحه ويمكن ف نفس الخبر • والبيبه اللى ف بق جارى البعيد ماتخلصشى أبدا بين دوفر ولندن ، والست التخينه لسه تخينه والبنت الجميله لسه جميله وعمار قاعد سهتان وقدرى نايم على روحه وصوت العجلات واضح من الاول والتفعيلة الخالده اللى بتفكرك بشعر برايور هيه هيه طالعه من الكرانك النشيط ومحدش بيكلم حد «حسيت» انى ف انجلترا • تم تى تم، تم ت ت ، تم تت ت تم • فاعلن ، فاعل، فاعل مفعول اذا كنت من دار العلومُ ولا قريت كتاب «الكافى» ، فى علم العروض والقوافى تقدر تفهم العجلات كانت بتقول ايه •• بديهى ان الراجل اللى كان فارد الجرنال ماكانش بيقرا لكن بيحلم • والبيبه اللى بتحملق ف المجهول لازم كانت بتحل مشكلة زى بيبــة شرلوك هولمز • والبنت الجميلة لازم كانت بتفكر فى ايد فرنسوا بتضغط ايدها وهم واقفين بيتفرجوا على فترينات ريفولى • كل الناس باين عليها انها بتفكر • أنا أعرف ان الواحد فينا اذا اضطر انه يقعد ساكت لابد يفكر •

ع القياس دا الانجليز كان لازم يكونوا أكتر شعب بيفكر ، لانهم أكتر شعب يستأنس بالوحده • والسكون • ع القياس دا كان حق الانجليز يكونوا أكبر شعب فلسفى أو مغرم بالتأمل • ومع ذلك فالانجليز مايكرهوش قد الفلسفة والتأمل • الانجليزى مع الاعتذار لكوليريدج — هو الحيوان الوحيد فى صورة آدمية اللى يقدر يقعد ساكت عشر ساعات من غير مايعمل حاجه أو يفكر ف حاجه • افرض ان انت البقال اللى كان راكب معايه ف القطر ومعاك أربع ساعات لحد محطة فكتوريا بشرط انه مافيش كلام • تفكر ف ايه هاتبص من الشباك وتقول ف عقلك « ماأجمل هذه المراعى » الله ع الحصان دا لو كان بتاعى • كل غيمه ولهادا ير فضى • الجو منعش زيادة عن اللزوم • أيوه الله ع الحصان دا لو كان بتاعى » وبعدين تبص جوه العربية وتتصفح كل الوشوش • مافيش حد • الراجل اللى قاعد ف الركن باين عليه سـمج • خلصت الافكار المباشرة • ولسه فاضل السكة كلها الا عشر دقايق • تبدى تفكر ف المسز والبرنيطه اللى اشتريتها الهاياترى مسز بورترومسز ويلكنسون وامرأة القسيس اللى ساكن قدامنا

عايقولوا ايه . ياخساره ع الفلوس اللى ضاعت هدر . مش يمكن المسز هاترضى تلبسها لما توصل دويستون. برضه احنا أحسن من الفرنساويين كتير . احنا محتشمين وهم سايبين . أوه يعنى فيه حاجة أحسن من الروســـبيف واليور ـ كشربودنج قال اسكالوب قال . قال بينت قال . قال بوردو قال . هــو فيه أحسن من بيرة تولى والحلوه مين عندها صدغ تلبس البرانيط بتاعتهم . شوف احنا طوال ازاى وهم قصيرين ازاى . جيمى المغفل ماكنش حقه يسقط السنة دى . أنالازم اطلعهواشغله معايه ف الدكان . ايه فايدة التعليم الكتير ؟ التعليم مابيعلمش رجاله .الرك ع الحياة أيوه مدرسةالحياه اللى أنا وغيرىاتخرجوا منها . أنا مثلا من سن خمستاشر اشتغلت صبى بقال ، وأنا لوقتى صاحب بقاله ف سن خمسه وأربعـــين . ايه يعنى اللى ناقصنى الجرايد وبقراها . أدى لى عشر سنين مافاتنيش عدد من الديلى اكسبريس والمسز كمآن بتقرأ الديلى ميرور . البار وباروحه . الكنيسة وباروحها كل يوم حد، وعمرى ماغشيت حد ايه بعدكده ؟ كل اللى بيعرفونى بيحترمونى ،واللى مابيعرفونيش . أنا عاوز ايه أكتر من كده ؟

مستر تشمبرلن مش قال ان الانجليزى محترم منين مايروح؟ الحمد لله ان الواحد انجليزى. ازاى سعر البطاطس الايرلندية نزل الاسبوع اللى فات . احنا مش قلنا ان الايرلنديين ملاعين ، وهكذا . انت ماتقدرش تسمى دا تفكير . ان كان ولا بد انك تسميه تفكير فهو تفكير بدائى يقدرعليه أى واحد بسيط. .اركب مره ترسو ف سكك حديد الحكومةالمصرية ، تلاقى فلاحين برضه ساكتين بيفكروا . بيفكروا ف المحصول ف شئون البيت ، ف المستقبل القريب ومع ذلك المصرى عشرى . يعنى ساكت صدفه . يعنى لما فلاح جنب فلاح مايعرفوش ويسأله من البـــاب للطاق « الا ياأبو أحمد ، كيلة الدره ف بلدكم بكام» يجوم يجول له «بستاشر جرش الاسبوع دا» ويبتدوا يدردشوا مع بعض كأنهم أصحاب من زمان . الانجليـــز بأه مايعمـــلوش كده . كل واحد فيهم متحصن ورا جرنال أو كتاب أو مغمض عينيه بس عشان ماحدش يعكر عزلته . بالشكل دا يشعر بأنه ملك نفسه طول الوقت ، ودى حاجه مهمة عند الانجليز .

السبب فـالحكايه دى بسيطوهو انالانجليزى خليط عجيب من حاجات كتيره تلاقيه مثلا خليط من الثقة بالنفس وعدمالثقة بالنفس • فـالوقتالى تلاقيهمكبر جداومعتقدتمام انهبشخصه وجنسيته أحسنمنك ومن غيرك ، تلاقيه ف داخليته ماعندوش ثقة كافيهبنفسهتخليه يكشف لك عن شعوره ومعلوماتهوتفكيره قبل مايعرفك معرفة كافية • انجلترا جزيرة وكل واحد انجليزى ف نفسه زى الجزيرة • فيه رابط طبيعى بين الشعورين • اذا كنت انت مكبر صحيح ـ مش بعبط ـ تحاول انك تبعد مش بس عن الناس ، انما عن كل حاجه يمكن تجرح كبرياءك • مناقشة مثلا مع واحد ماتعرفوش فـالقطر جايز تجرح كبرياءكاذا ظهر ان اللى بيناقشك بيفهم أحسن منك • فعلى ايه ؟ ابعد عنالشر وغنى له • طبعا دا مش السبب الوحيد • سبب تانى هو انك اذا تعرفت بواحد بسرعة ودخلت معاه ف كلام هاتضطر بطبيعة الحال انك تكشف له عن نفسك • ويوم ماحد يعرف أفكارك ، وأسرارك بديهى انك تبقى فـقبضة ايده أو عالاقل نص سحرك يزول زى المره تفضل سرطول ماهى مكسيه ويوم ماتقلع الهدوم بقت زيها زيك • داالسبب ف الحكايهالمشهوره عن الانجليزانهم لما يتعرفوا جديد مايتكلموش غير عن الجو والرياضة والحاجات اللى لا تودى ولا تجيب ، والحاجات اللى مالهاش دعوى بشخصية الانسان •

بالمناسبة دى ، مرة كنت راكب القطر من كامبردج للندن ، وكان معايه ف نفسالديوان راجل انجليزى باين عليه من رجال الاعمال متوسط الحال • يومها كان اليوم اللى هتلر دخـل فيه تشيكوسلوفاكيا • يظهر ان الراجل لما لاحظ انى أسمر قال فى عقله ياواد جرب يمكن تتعلم حاجه جديده • طبعا افتكرنى هندى • على فكره ، فـانجلترا كل واحدأسمر هندى لحدمايقول انه مش هندى • بعد تلات دقايقلقينا نفسينا بنتكلم عنالموقف الدولى • ويظهر انالراجل دا نسىشويه انه انجليزى لانه ابتدا يدخل بصراحة فى السياسة •

كل واحد فاكر اللى حصل • وكـل واحـــد كان له رأى ف الموضوع • بالنسبة لى أنا كانمستر تشمبرلين غلطان ودىكانت

فرصة نادرة لاعلان الحرب وسحق ألمانيا قبل ماتستعد وخصوصا انه كان لسه فيه معاهدة هجوميه دفاعيه بين باريس وبراج وموسكو وكان لسه فيه تحالف صغير • كل الناس كانت خايفه من الحرب وصاحبنا دا كان زيه زى بقية الناس المهم أنا قلت له افتكر ان ألمانيا ان ماحقوهاش ساعتها هاتبقى حكايتها حكاية طبعا ماصدقنيش لانه كان من النوع اللى عاوز يشترى السلام بأى ثمن • كمان أضاف لكده انه برضه يؤمن بتفاهم الانجليز مع الالمان على حساب الروس وانه لازم يكون فيه كوردون صحي بين غرب أوروبا وبين البلشفيه الخ الخ • وكل الافكار القديمة العقيمة دى • ماصدقنا وصلنا روبستون ونبص نلاقى تلات عمال دخلوا علينا الديوان وقعدوا معانا ، وعنها وأبص ألاقى الراجل اللى قدامى من سكات سحب جرنال وقعد يتأمل فيه • فهمت أن المناقشة انتهت هنا وسحبت كتاب وقعدت أفكر وراه • السبب الوحيد اللى خلى الراجل يبطل كلام هو وجود أجانب ف الديوان • هو نسى نفسه مره معايا وفتح حديث غويط من غير مايعرفنى ، وأظن انه ماكانش مستعد ينسى نفسه مرة تانيه • أمال ايه يبقى الفرق بينه وبين الراجل الفرنساوى مثلا اللى يحكى لك عن دخله وغرامياته وخصوصياته من أول قعده •

التحفظ دا — قبل مانسى — خصلة من خصال الطبقة المتوسطة وطالع بس ف انجلترا • لان العمال هنـاك مايعرفوش يخبوا حاجه • يكلموك من غير معرفة يكلموك ف كل حاجه • ويكلموك ف أى مكان • ادخل انت بار من بارات العمال تلاقيهم يجروا معاك حديث من انباب للطاق • الستات كمان ماعندهمش تحفظ • يمكن عندهم تحفظ بينهـم وبين بعض ، لكن مـش بينهم وبين الرجاله ، • يوم ماكنت أقعد ف نفس الديوان مع واحده ست احمد ربنا ان مافيش جرنال أو بيبه يفصلونا والرحلة تفوت بسرعة • والسبب واضح طبعا • ف الحالة الاولى الانسان اللى مش متعلم لسه ع الفطره واللى ع الفطره ماعندوش كبرياء ولا حوادث تبعده عن الناس التانيين لان الكبرياء والحواجز دى اجتماعيـة صرف وفى الحالة التانية الدافع الجنسى الخفى اللى بيسيطر على أغلب تصرفاتنا بيكون أقوى من أى نوع اجتماع عرفى •

أنا برضه افتكر أن لى الحق انى أحكم على أخلاق الانجليز لانى

احتكيت بيهم٠٠احتكيت بيهم‌مش بس‌ف‌انجلترا،ف‌القاهرةوف مصر ، وقبل ماأسافر وبعد مارجعت ٠ طبعا أنا ظروفى مختلفة شويةعن ظروف ناس كتير لانى تصادف انى « باشتغل »طول الوقت مع الانجليز وبحكم عملى مضطر أصاحب انجليز يمكن أكتر مما أصاحب‌مصريين ٠ فيه واحدصاحبى كان دايما يشتكى لى من اللى بيسميه برود الانجليز وابتعادهم ، لانه كان بيلاقى صعوبة ف انه يتعرف بيهم ٠ وكان دايما يقول لى ان ســبب الحكاية دى انهم‌بيحتقروا المصريين ٠ دامش‌صحيح ، لان‌الانجليز يحبوا الابتعاد حتى‌مع بعض ٠ أنا فاكرلما كان‌يدحل علينامدرس جديد ف أودة أساتذة قسم اللغة الانجليزية ف كلية الآداب ، كنا مانسألش فيه٠نبقى عارفين انه هو المدرس‌الجديد ومع ذلك نسيبه لوحده زى الفرخه الدايخه لحد مايبجى رئيس القسم، ويقدمه لينا واحد واحد ٠ نفضل بعد كده أســبوع أو اتنين مانكلموش غير ف الشغل والحاجات البسيطه وف بعض‌الحالات الرسميات نفضل نشتغل شهور وشهور ٠ يعنى نستعمل اسم عيلته بدل مانناديه‌باسمه الاول‌ومانكلموش غير عن‌المحاضرات والجداول وما أشبه ٠

مسألة الموضوعات المسموح ان الواحد يتكلم فيها دى مسألة مهمة جدا ٠ أنا فاكر أن نوبه كنت قاعد اقرا كتاب‌ف جنينــه وبعدين طب على‌واحد صاحبى وف ايده واحد صاحبه انجليزى٠ متقدم شويه ف السن ٠ عرفنا ببعض ، وهات ياكـــلام ٠ من موضوع لموضوع ، لحدماابتدينا نتكلم فى الستات ٠ ونسـينا نفسنا واتكلمنا ف‌تفاصيل عن الستات٠كل ده من أول مقابلة وبعد ما انتهيت المناقشة شعرناكل‌واحدفينا ببرودشديدلانها كانت غلطه وكان‌تعليق الانجليزى‌قبل مايستأذن « يظهر أن‌احنا اخترنا موضوع غريب شويه للكلام ، أنا مش عارف جرى‌لنا ايه النهارده ٠ مع السلامة» ضحكنا وقلنا «مع السلامه» ٠ من يومها ماقابلتوش تانى انما أنا متأكد انى لو كنت قابلته يمكن كنت تجاهلته ، أو ع‌الاكتر سلمت عليه ببرود ٠ فيه واحدزميلى انجليزى ف مصر اتعرفت بيه ف‌الاتحاد المصرى‌الانجليزى وكان يوم بطاله عندنا احنا الجوز فسهرنا مع بعض ، انما يظهر اننا سهرنا شويه‌زياده عن اللزوم ٠ من يومهاوكل مانتقابل سعيده

سعيده بس . مافيش أكتر من كده . حسب العـــاده المصرية السهره دى كانت أدعى ان احنا نبقى أصحاب أكتر . لكن انت بتنسى انك اذا اتكشفت قدام واحد ضاع احترامك لنفسك وضـع مركزك عنده . قصدى لحد ماتبقوا أصحاب صحيح يبقى ساعتها مش مهم أى حاجة . ساعتها تبقى الصلة بينكو مبنية ع الحب المتبادل وده يعوض الاحترام اللى ضاع . انما ف المرحلة الاولى مادام الحب لسه ماتوجدش يبقى ضياع الاحترام لوحده كفيل انه يموت العلاقة . فاهم ؟

التحفظ دا له فايده تانيه ، انك تقدر تحتفظ بوحدتك لمـا تكون عاوز . عشان كده أنا كنت ف انجلترا أسعد منى ف فرنسا أو مصر من الوجهه دى . تدخل البيت الانجليزى تلاقى الراجل فاتح كتاب والمره فاتحه جرنال أو بتغزل أو بتحل تمرين هندسه ساعه ، ساعتين ، يمكن أكتر ، وأخيرا تسمع المرة تقول للراجل «تحب أعمل لك فنجان شاى ياعزيزى؟» هنا يبقى مافيش نهاية للثرثرة بتاعتنا . ف فرنسا كمان كل واحد مستعد يكلمك ف أى وقت . دا طبعا له مزايا ، انما أنا أفضل الطريقة الانجليزية .

الاعتراض الوحيد هو أن الانجليزى يمكن يبيالغ واشويه ف التحفظ . يعنى ماتستغربش أبدا اذا اتعرفت النهارده بواحد انجليزى وقابلته بكره قام ماسلمش عليك . دى حاجة منتظره . وكمان ماتسميهاش برود بعد كل الشرح اللى شرحتهولك . خليك انت كمان مستعد انك ماتسلمش عليه لان هو نفسهماينتظرش منك انك تسلم عليه بعد أول مقابله . سيب المسألة للظروف ، وخليك تقيل .

احنا فين دلوقت ؟ الدنيا ضلمت شويه شوية ، والسما مطرت شويه ، وقزاز الشباك اتملا بالبخار والدموع ، والبرد عضنى قمت انتبهت . القطر وقف . أوعى تكون نسيت انى أنا لسه راكب ف السهم الذهبى اللى قايم من دوفر للندن . القطر صفر ووقف . بصيت من الشباك المغبش لقيت ستين يافطه ، اشى مكتوب عليها كولجيت واشى بوفريل واشى بيره سناوت . وعلى يافطه صغيره لقيت اسم المحطه : كرويدون . يعنى خلاص بقينا ف لندن : قالوا لى .

بالمناسبة دى افتكرت نكته عن واحد مصرى راح انجلترا وكان

كل مايقف ف محطه يلاقى يافطه مكتوب عليها «بوفريل» قام استغرب قوى وزغد اللى جنبه وقال له : « ماتآخذنيش ، هى كل المحطات اللى عندكوا اسمها بوفريل ؟ » هأ هأ ٠ ان كنت انت كمان مش عارف ايه هو بوفريل تبقى وقعتك سوده ٠
ودخلنا فكتوريا ٠

ف محطة فكتوريا لقينا واحد مستنينا اسمه عبد الفتاح افندى صاحب من الشله ٠ ودى اول مره اسمع فيها الانجليزى الاصلى ، الانجليزى الكوكنى ، الانجليزى بتاع لامبث وبولاق وباب الشعرية اللى ما حدش يفهمه كان فيه شيالين بينادوا « شيال ، شيال » « بتا ، بتا » دورت ف قاموس معلوماتى مالقيتش كلمه اسمها «بتا»٠ كانوالابسين يونيفورم وبيشيلوا شنط وينادوا « بتا » ، وكان التفسير الوحيد هو انهم شيالين٠ ومع ذلك خفت انده واحد منهم يشيل شـنطتى ٠ مين يعرف ياواد ؟ يمكن تسمع كلمه فارغه ، يمكن يكونوا حاجه تانيه ٠ بس يعنى هايكونوا ايه ؟ وعلى كده وقفت مبلم اصتنت للكلمه تتقال عشرين مره قدامى واحاول اميز حروفها ما فيش فايده٠ نسيت الشنط وبقيت أضرب بولطه ع الرصيف ورا الشيالين عشان أفهم الكلمة اللى بيقولوها ، وحاطط عينى طبعا على بقية الشلة أحسن نتوه من بعض تبقى وقعه سوده ٠ وعنها وابص ألاقى عمار بيزقنى على تاكسى ٠ انحشرنا كلنا ف تاكسى واحد وبعد كام ثانيه قمت مفزوع وصرخت «الشنط» قعدوا يضحكوا على ٠ كتر خيرك يا عبد الفتاح افنـدى ٠ اتارى عبـد الفتاح افندى كان واخد باله من كل حاجه ، والشنط كانت ف ضهر التاكسى ٠

سقنا ف شوارع لندن والمطر كان نازل بشده ٠ « على فين العزم ؟ » « اسكت ساكت » وعبد الفتاح أفندى قعـــد يشرح « اللى فات دا البرلمان الانجليزى ٠ » انا مالى ومال اللى فات٠أنا عاوز اشوف « حاجه » ٠ التاكسى ماشى بسرعه معقوله ، والليل داخل ، والمطر نسخ شوية النهار اللى فاضله ودخان لنـدن الكئيب كسى كل حـاجه صفره كئيبه ٠ انا كنت عاوز كامل التلمسانى والا رمسيس يونان يشوفوا لون لندن ساعتها أقله كان فيه خمس الوان ف الجو ممزوجه ببعض ، دا خلاف ظل

الغيوم المعكوس ع البيوت الحمرا . يئست انى اشوف حاجه ، ومع ذلك قدرت اشوف « فالوس » طويل طويل ومتحزم بمطر وصماد ، قضيب طوله خرافى ف وسط ميدان ، فكرنى بعامود السوارى وهناك ، هناك على سن العامود ، أعلى من أى حاجه شفتها غير برج أيفل فيه تمثال راجل لابس سيفه ، داكن ، مطموس ، رأسه ف السحاب ، ملامحه مش واضحه صرخت ، « دا لازم ميدان الطرف الاغر ، والتمثال دا لازم بتاع نلسون »

الجماعه اندهشوا لان عبد الفتاح افندى قال ان الكلام دا صحيح . « انا عرفته لانى شفت صورته ف القراءة الرشيده لما كنت ف ابتدائى » . التاكسى قرب يلف حوالين الميدان ويفوته . بحلقت بشده ف التمثال يمكن أشوف اذا كان معمول بعين واحده زى صاحبه والا لأ . ما فيش فايده هاتشوف ايه وتخلى ايه . زمناننا بقينا ف اكسفورد ستريت . المتحف البريطانى ف الضلمة . رسل سكوير . ايوع رسل سكوير وبدفورد بليس . وهوب ، فرامل .

دخلنا اللوكانده ـ ميرزهوتيل ـ مبلولين . أبص حوالى الاقى فسحه كبيرة مكسية وف آخرها سلم عريض يطلع ع الدور الأول . أبص حوالى الاقى خدامين لابسين يونيفرم بالتأكيد انضف منى . بقيت مكسوف من نفسى . واحد منهم كان ولد عمره حوالى ١٧ سنة شكله جميل بشكل : العيون النورديه الزرقا اياها وشعر اشقر لاتينى وشفايف خفيفه ناعمه كأنه كيوبيد كبر شويه . كل مره اكلمه اتلجلج . انا جاى منين ؟ حتى ما اعرفش أكلم خدام . الولد كان من ناحيته بيعمل المنتظر منه . « أقدر أساعدك يأسيدى ؟ » « متشكر » رحت مناوله البالطو والبرنيطه . « أقدر أخدك لاودتك ياسيدى ؟ »

رحت مسلمه نفسى يعمل فى ماهو عايز . أخدنى ف دهاليز وطنف وحوادايات وف الاخر لقيت نفسى قاعد ع السرير هلكان ببدلتى المرشوشه . « تقدر تطلع لى بدله ناشفه من الشنطة .. » وكنت على وشك انى أقول «ياسيدى» وبعدين افتكرت انه المفروض ان انا السيد . « تقدر كمان تجهز لى حمام سخن من فضلك . ؟ » .

نزلت الصالون نضيف وحالق وشـيك وقعدت على فوتيل بعيد وقعدت أفكر أنا السيد هنا ، ها ها ها انا مين ؟ واشمعنى مافيش سبب غير أن ف جيبى عشرة شلن لصاحب اللوكانده · آكل منها وانام منها وآخد حمام منها وبيسـهر على خدمتى تلات خدامين جرسونات لابسين سـموكن والمتردوتيل لابس فراك وتبتسم لى الآنسة اللى قاعده ورا المكتب ، ويجى سـيد لابس ملابس التشريفه اصلع وشه بيلمع يفرك ايديه ويقول لى « اتمنى ان سيدى يكون مبسوط » ، ولوكان فرنسـاوى كان يخاف منى لدرجة انه يخاطبنى بضمير الشخص الغائب ·

على ايه دا كله · على عشره شلن ف اليوم · ماأسهل الحياه · مغفل مين اللى ما يقدرش يكسب عشره شـلن ف اليـوم · ياللسخرية ·

غمضت عينى وناديت ف سرى الولد الجميل اللى واقف ف ركن الاوده التانى وقلت له « جيمس » ، انت مغفل كبير لانك مابتقدرش تكسب عشره شلن ف اليوم · انت مغفل كبير لانك واقف تنحنى لكل بأف داخل وكل بأف خارج وبتشتغل ببطنك ·· انت مغفل لانك ماشتغلتش وسيطف نادى ليلى أو جيجولو ف مرقص عشان تكسب تلاتين شلن ف اليوم وأجرك مضمون ع الستات اللى بتخدمهم · بتقول لى واشتغل ازاى شغله مريحه من غير راسمال ؟ راسمال دى كلمه مالهاش وجود · عنـــدك شغله من غير رأسمال · الوساطة مش عاوزه رأسمال البلطجه مش عاوزه راسمال · النصب مش عاوز راسمال · الاكل مش عاوز راسمال · السياسه مش عاوزه راسمال · روح ياجيمس واقف ف هايد بارك بدل ماانت واقف ف ميرز هوتيل وقول ليسقط الالمان ، أو ليحيا العمال ، أو اى حاجـــه · يمكن تتحبس ف الاول ، لكن أؤكد لك انك بعد خمس سنين هاتضمن معاش سنوى اقله الف جنيه · انت مش عاوز راســمال ياجيمس ، انت عاوز قلب · روح لساحر ميونيخ يركب لك قلب · انت مش عاوز راسمال ياجيمس ، انت عاوز صدغ · روح لمستر روبرت تايلور يسلفك صدغه · ايه الفرق بينك وبين روبرت تيلور ؟ هو مش أحلى منك · هو مش ممثل أكتر منك · بس

هو صدغ وانت مغفل · هو يبيع شفايفه عشرين مره ف السنه لمستر صمويل جولدوين ـ الوسـيط الاكبر ـ ، ويبوس له عشرين بوسه يقبض عليهم حفن ، وانت تبيع كرامتك ووقتك وكل جسمك لليهودى الاصلع اللى لابس هدوم التشريفه ووشه بيلمع بس عشان تملا بطنك · روح ياجيمس أنا زعلان منك · »

مين المغفل دا اللى مايقدرش يكسب عشره شلن ف اليوم ؟ فتحت عينى ، وقبلت الامر الواقع · أنا هنا قاعد ع الفوتيل وجيمس هناك واقف ف ركن الاوده · طلعت سـيجاره لقيت جيمس جاى يجرى عشان يولعها لى · قبلت الامر الواقع ·· الامر الواقع · الامر الواقع دلوقت غير الامر الواقع آدى سـنة ٤٥ الامر الواقع السنة الجاية · الامر الواقع حاجه مالهاش دعوى لا بالعدل الاجتماعى ولا بالمنطق ولا بالتفكير السـليم · الامر الواقـع ان دلوقتى لما باأخش على رئيسى دلوقت باجتهد انه يكون على راسى طربوش · مين يعرف ، يمكن جيمس بقى زمانه صاحب اللوكانده اللى كان بيشـتغل فيها · خلينا ف الامر الواقع اللى نعرفه ·

اللى نعرفه هو اننا بعد العشا مباشرة أخدنا عبد الفتاح افندى ونزل بينا تحت الارض عشان نركب الترمواى · كل الترموايات ف لندن وباريس تمشى تحت الارض وعشان كده بيسموها بكل بساطه اندرجراوند الضواحى افتكر لسـه ترموا ياتهـا زى ترموا ياتنا أنا ماأقدرش أوصف لك التأثير العميق اللى سابه الاندرجراوند ف نفسى · نفس الفكرة عجيبة · أنا شخصيا افتكر ان المصريين حقهم يسافروا بره مخصوص عشان يشوفو المترو اللى تحت الارض زى السـياح الامريكان مابييجوا هنا عشان يشوفوا الهرم · يمكن كمان افتكر ان المترو بتاع لندن اهم واعجب من هرم خـوفـو وقصر اللابيرانت والتماثيل اللى بتغنى ف الصبح مع بعض · المده قريبه كنت أنا والاستاذ عبده فـراج المدرس بالمدارس الثانوية بنحكى لبعض عن ذكريات اوروبا قام قال لى انه اول يوم نزل باريس سـأل واحد ازاى يقدر يوصل للحى اللاتينى قام قال له ، « تاخد المترو من هناك » وراح مشاور له على حته من الشارع وسابه · قام صاحبنا مشى

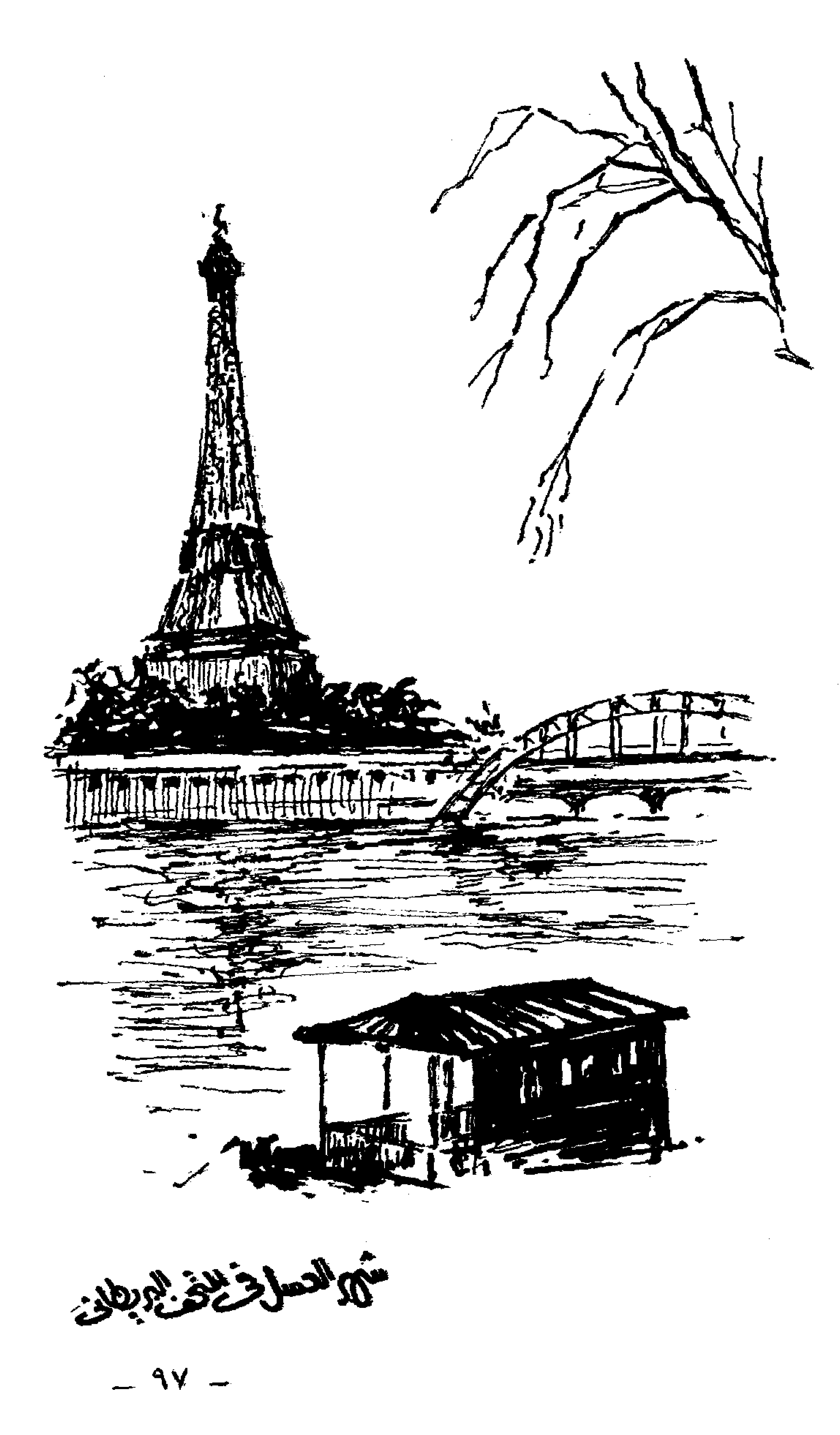
لحد هناك وفعلا لقى يافطه كبيره مكتوب عليها « متروبوليتان » يبص تحته يلاقي سلالم تودى تحت الارض ، قام افتكر ان دى مراحيض زى الكابينيهات اللى عملتهم محافظة مصر تحت الارض ف العتبه الخضرا وميدان الاسماعيليه · يبص ف الشارع يلاقى مافيش شريط · يبص فوقه يلاقى « متروبوليتان » · قال ف عقله يمكن ياواد المترو بتاع باريس مالوش قضبان · يمكن ياواد اتوبيس طويل ومسميينه مترو · ويستنى ويستنى ، ان حاجه تجي مافيش · قال لى انه قعد نص ساعه منتظر لحد ماطلعت روحه وبعدين وقف واحد ف الشارع وسأله « تقدرمن فضلك تقول لى المتروفين » الراجل بص له من فوق لتحت ـ حكم الفرنساويين دول خلقهم ضيق ـ وشاور له ع اليافطه « أمال دى ايه ؟ » أنا أدى لى ساعه مستني والمترو ماجاش،وهو بيجى كل قد ايه ؟ » الراجل أدرك الغلطه ، وفهم انه غريب ، وضحك شويه وسحبه من ايده ونزل بيه تحت الارض وقطع له التذكره وزوده بالمعلومات وسابه ·

يمكن انت تقول طيب دا صاحبك دا لازم كان غبى · اقوم اقول لك ان صاحبى دا كان اول البكالوريا ف القطر كله واغلب مراحل الدراسه بتاعته · على اى حال كان اول على انا ف الجامعة لما كنا ف اعدادى سوا · ان كان دا مش دليل فدا من كتر ذكاؤه اتخصص ف الفلسفة وهضمها أكتر من أى واحد تانى ف عهدنا · ان كان برضه لسه عندك شك فانا اعتقد انه من اذكى الناس اللى قابلتهم ف حياتى ، ويمكن مافيش ميتين منه ف البلد كلها · معنى كده انه اسهل على الانسان اللى ذهنه خالى انه يتصور مترو من غير شريط من انه يتصور مترو يمشى تحت الارض ·

انا كنت دايما با اقول للناس اللى بيسألونى عن لندن ان اهم حاجه فيها الاندرجراوند · اهم يمكن من المتحف البريطانى وبالتأكيد أهم من البرلمان الانجليزى أو من كاتدرائية سانت بول · واهم حاجه ف الاندرجراوند هى الاسكاليتور · الاسكاليتور دا يطلع السلم الميكانيكى · ف باريس ينزلوك تحت الارض غالبا ف اسانسير ، اما ف لندن فحضرتك تدخل

المحطة تلاقي سلم مكشوف منحدر غويط قوى بينزل ببطء تقف عليه يقوم ينزل بيك درجه درجه ان كنت مستعجل تقدر تجرى عليه لتحت . وانت طالع من تحت الارض برضه فيه سلم ميكانيكى يطلع بيك درجه درجه وتقدر ان كنت مستعجل ترمح عليه لفوق . وألذ منظر بقى ف المحطات الكبيره لما يبقوا السلمين موازيين لبعض ونازلين لعمق ستين يارده وتلاقى ناس ثابتين بعضهم طالع وبعضهم نازل .. بيبقى منظر لطيف ، وألطف منه الشعور اللى بيجيلك ساعتها .

أنا لسه عند رأيى ان الاسكاليتور ألذ عندى من الدستور الانجليزى .


شهر العسل في المتحف البريطاني

كان المفروض اننا تانى يوم الصبح نقدم نفسنا لمكتب البعثات .. وفعلا رحنا وستمنستر حوالى الساعة عشرة ... افتكر انه كان يوم سبت لانى فاكر ان تانى يوم البنك كان قافل .. طلعنا ف كلارنس عاوس لقينا اليافطة ، دخلنا ، لقينا تلاتين طالب ف أودة الانتظار .. قالوا لنا رنوا جرس ف الحيطة رنينا جرس ف الحيطة ، اتفتحت كوه وطل منها راجل ، قال « افندم » بالانجليزية طبعا ، قلنا عاوزين نقابل مستر واطسون « مدير مكتب البعثة أيامها » ، قال أملوا الورق دا ، ملينا الورق دا بالاسم والغرض من الزيارة ، أخد الورق وقفل الكوه وبصينا لقينا نفسنا مرة تانية ف وسط الجمهور ..

الحاجة اللى كانت شاغلة تفكيرى ساعتها هى الحصول على مرتبى عشان ادفع الفواتير وازق على كامبريدج تانى يوم .. كل دا والافندية اللى حوالى قاعدين يكلموا كلام غير متصل .

ـ أنا قلت لصاحبتى انى ها أسيب ٢١ كامبريدج تراس .. اذا كنت عاوز تعزل الحق خد محلى قبل مايسكن ..

ـ أنا قلت له انى ماقدرش آخد امتحان يونيو لانى كنت لسه عامل عملية ٠٠ اللى حصل بقى ٠٠

ـ دا تالت مشوار أعمله من مانشستر ، ياأخى مطر ايه دا ٠٠ وغيره وغيره ٠٠ واتفتحت الكوه وبص الراجل من جوه وقال :

ـ دكتور حسام منتظر مستر عوض ٠٠

الكوة اتقفلت ٠٠ وجا شاب انجليزى ومشى قدامى لحد أوده صغيرة واعلن اسمى وانصرف ٠٠ لقيت نفسى قدام دكتور حسام ٠٠ راجل اربعينيش (ولا مؤاخذة قصدى حوالى أربعين سنة) ، برضه ضخم ، شنب أسود غزير ، نضارة برضه تخينة ، فرى كايند ٠٠ يظهر ان مستر واطسون كان مشغول جدا بدرجة أنه ماقدرش يشوفنى ٠٠ قلت بمنتهى الاختصار كأنى باكلم موظف ف شركة شل وقته ثمين ٠٠

ـ أنا اسمى عوض ، وصلت امبارح ، مبعوث كامبريدج ، عاوز أسافر بكره وعاوز الشيك بتاعى قبل البنك مايقفل ٠٠

ـ أهلا وسهلا ، اتفضل ياأستاذ عوض استريح عقبال ماأديك الشيك بتاعك ٠٠ مادمت مستعجل خد دلوقت العشرة جنيه المخصصة للكتب لحد مانحسب حسبتك بالضبط ٠٠ وماكدبش خبر ، راح ساحب دفتر الشيكات وف دقيقة ونص بصيت لقيت نفسى عندى عشرة جنيه ٠٠ وف دقيقة ونص كمان دخل عند مستر واطسون ومضى الشيك ٠٠ وف دقيقة ونص بصيت لقيت نفسى ف تاكسى وياالله على البنك الاهلى المصرى ف كنج وليم ستريت ٠٠

كنت خايف أحسن دكتور حسام يقول لى هات واحد يضمنك أو وريني الباسبور بتاعك لانى نسيت الباسبور ف اللوكانده لكن جت سليمه ٠ وف البنك قدمت الشيك للموظف وقلبى بيرجف انه يرجعنى فاضى ٠ لكن برضه جات سليمه حتى مابصش ف خلقتى ٠ أخد الشيك من سكات وعطانى الفلوس من سكات وحطيتها ف جيبى من سكات وركبت تاكسى من سكات وقعدت أفكر ٠ دى بلد جميلة دى اللى كل واحد فيها بيستأمن التانى ٠

كل دا أخد وقت طبعا • وعقبال ماوصلت تاني مكتب البعثه عشان أتكلم ف مسألة سفرى لكامبريدج لقيت دكتور حسام خارج من الباب مع الاستاذ شفيق حسن •

حسام الدين : احنا شطبنا خلاص ، ابقى تعال يوم الاتنين •

حسن : على فكره ياعوض، احنا وصلنا الجواب من كامبريدج بيقول انك وصلت متأخر يوم واحد على ابتداء الفصل الدراسى فمش ممكن يقبلوك قبل يناير •

وسابونى ومشيوا • ياخبر اسود وبعدين ؟ايه العمل؟مرحب يابوعرب بدونكيشوت الهمام ف وادى الطواحين • تقولشى دراع طاحونه طويل خبطنى ف صدغى • دماغى لفت • فجأة بصيت لقيت نفسى بمفردى ف ماكروكوزم مالوش نهاية •أروح فين ؟ أرجع اللوكانده ؟ أنا جعان ميت من الجوع • لازم أتغدى قبل أى حاجه • تعبت من الوقفه • لازم أمشى • بس ف أى اتجاه ؟أنا شايف وستمنستر آبى من هنا • طيب أروح هناك أعمل ايه؟ الشارع دا مكتوب عليه سانت جيمس ستريت أو حاجه زى كدا• سألت واحد قال لى ان دا يودى لمحطة فيكتوريا•أمشى ٣ دقائق يمين ، ارجع ٣ دقايق شمال• أنا عاوز أعمل ايه بالضبط ؟ أنا عاوز آكل •سورى • اتصصيت ف واحده• وآكل فين ؟ آى بيج بورباردون • كمان واحده • ياسلام ع الخلق اللى كانوا حوالى، تقلش نمل•سبعة مليون نفس فلندن وأنا ماليش صاحب واحد• ف الناحية التانية من الشارع فيه محل مكتوب عليه « غدا » ومرسومه قطه سوده•أروح والا ماأروحش؟«سورى» اتطصيت ف •• عمودنور • كل ماأشوف الناس حوالى كتار يشتد شعورى بالوحدة • نزلت على كآبه شديدة • حسيت انى أتعس مخلوق على وش الارض • لا • مش ممكن أدخل الرستوران دا • أنا أسمر • مين يعرف اذا كانوا بيدخلوا السود • يمكن أسمع كلمه بارده• ع الاقل كل الناس هايبصولى مش ممكن أخش الرستوران دا • الله دا صحيح أنا أسمر ومش بس الرستوران ماادخلوش الشارع كمان مش لازم أقف فيه • أقدر أمشى معلهش ، لكن وقوف لا « • فيه هندى ماشى هناك اذن أنا أقدر أمشى • لكن الهندى ماشى ف حاله ومحدش واخد باله منه•أنا مش لازم أقف• حتى المصرى مش لازم يقف • قصدى احنا سبعتاشر مليون •

اتهيأ لى ان الشاب الطويل اللى جاى على دا بيتفحص فى ابن الكلب دا • أخبى وشى ولا بلاش؟ وأخبيه ازاى؟ فاتت واحده حلوه قوى ـ وبصت لى • لازم بتبص لى لانى أسمر • الراجل لما يبص لما يبحلق ، نقدر عليه لكن العنين الحلوه دى ، واحسرتاه • دب الخدر ف جسمى كأنى شربت رحيق الزعاف • عرقت ، عرقت وجريت أعدى الشارع بين الاتومبيلات لحد مادخلت محطة الاندر ـ جراوند الزرقا • واتسندت على الترابزين •

لازم أروح •

لقيت يافطه مكتوب عليها «شباك تذاكر» وراجل جوه اليافطه ياخد فلوس ويقول « كيو ، كيو » ولقيت طابور ناس فايتين بالترتيب ع الراجل ياخدوا تذاكر ويقولوا «ثانكيو، ثانك يو» • حبيت أختصر السكه جيت ف أول الطابور وقلت للتذكرجى ، أقدر •• « ، راح مزعق فى وقال » تقدر تستنىٰ دورك ف آخر الطابور » • دخت شويه واتراجعت ببطء • وفعلا وقفت ف آخر الطابور • جاء الدور على مديت ايدى بنص كراون وقلت «أقدر أروح رسل سكوير من هنا » • « طبعا تقدر تروح أى حتة انت عاوزها من هنا ، بس غير ف تشيرنج كروس • «ثانك يو•» وخرجت ولقيت ونزلت السلالم وابتديت أسأل الناس، «أنا عاوز أروح تشيرنج كروس • » خد الرصيف دا من الناحية التانيه• » غيره « عاوز أروح الرصيف اللى ع الناحية التانيه من فضلك » • « ماتروح • حد مانعك » وسابنى ومشى • غيره • « ازاى أقدر أوصل الرصيف اللى ف الناحية التانية من فضلك » « خد النفق اللى هناك • هناك • هناك • مش ممكن تتوه •» مشيت ف اتجاه صباعه لآخر الرصيف ، لقيت نفق صحيح • دخلت النفق • لقيت نفق • بيت جحا حيطانه صينى • داسهم بيقول ٣ ، ٤ ، ٥ ودا سهم بيقول ٦ ، ٧ ، ٨ ودا سهم بيقول فيكتوريا ووستمنستر ووترلو وتشيرنج كروس ولستر سكوير وكوفنت جاردن وداسهم ماأعرفش ايه وايه • دا سهم تانى ودا سهم وهكذا • نور أصفر تمشى عليه • نور أخضر تتبعه • حاجه تلخبط والناس ماشيه بسرعه • ماصدقت لقيت يافطه مكتوب عليها تشيرنج كروس رحت داخل ف النفق بتاعها ولقيت نفسى على رصيف وبعدين جوه قطر وبعدين محطة وبعدين محطه وبعدين محطه ومحطه

ومحطه ، وأنا كل مره أبص من الشباك على اسم المحطهمافيش تشيرينج كروس • حتى المحطات اللى قريتها مكتوبه ف النفقلما كنت ف محطة سانت جيمس مافاتش على واحده منها • ارتعبت وسألت واحدجنبي : « انت أخدتالخط الغلط • انزل فالمحطه الجايه وخد القطر اللى بيمشى بالعكس • »

نهايته ماأطولشعليك • نزلت وسألتوركبت ، زىيوليوس قيصر ماجا وشاف وقهر • ونزلت وسألتوركبت • آهياتشيرنج كروس ، لازالت بفؤادى منك غصه • الجوع والغربه وتشيرنج كروس • أنا هاأحلم الليله بالتذكرجى بيقول لى غير فتشيرنج كروس • تلات ساعات أتوه تحتالارض زى الناس اللى بيحكى عنهم هـ • ج • ولز ف رواية « آلة الزمن » لحد مانسيتانىمن سكان هذا الكوكب • أنا حشره جعانه ،أنا فارهلكان فمصيده أنا مورلوك ، أنا غريب مقطوع ، أنا الموكوس اللى ماعرفشياخد تاكسى بدل الشحططه دى كلها • تلات ساعات تحت الارض لحد مااتعودت ع العالمالسفلى • أيوه ، أنا أورثيوس فالعالمالسفلى بيدور على تشيرنج كروس •

بعد تلات ساعات وصلترسل سكوير ، ودخلت الاسانسير مع الناس اللى داخلين وأنا خايف طول الوقت • ازاى هاأقابل لندن الكبيرة ؟ أنا لويس الفار وقفت على عتبة المحطة من جـوه ومديت رقبتى أتفرج ع العالم اللى بره المصيده • لقيت البيوت الحمرا القصيره ف وشى والهوا نفسه « مش السما » دا كن زى ماتقول لسه مامطرتش ، لان الشمس التعبانه اللى كنت سبتها فوستمنستر راحت تنام ورا الافق ماأعرفش والا ورا الغمام آدى لندن وآدينىوآدى تانى طاحونه تضربنى ف راسى ف أول يوم ف حياتى الجديدة •

خرجت من المحطةألهف • أنا كنت عارف اناللوكاندةبتاعتى كانت مسافة دقيقةونصمشى • ومعذلك جريتودخلتفتاكسى واترميت لورا وقلتللسواق ،«ميرزهوتيل ، بدفوردبليـــــس »• الراجل بص لىوبحلق كأنه ببخاطبمعتوه • شاور لىعالحواديه التانيه وقال لى « دى بدفورد بليس يا سيدى ، دى تمشـيها ف دقيقه • » لا ياافندم • لا مش ممكن أنزل • أنا قعدتتلات

ساعات تحت الارض وداكفايه على النهارده . باب اللوكانده . لازم أنزل قدام باب اللوكاندة، لازم أقرا اليافطه بنفسي قبل ماأنزل تعرف لما تقول لي هاأخطي الشارع بس ، لازم أخطيه ف تاكسي . كفايه اللي حصل . قلت له « أنا عارف انها قريبه . سوق مالكش دعوى . انت مش هاتاخد فلوس ؟ سوق . أصل الحكايه ان أنا تعبا ... » التاكسي وقف والسواق نزل وفتح لي الباب وأعلن بصوت عال « ميرزهوتيل ، سير » كملت الجملة وأنا باانزل وأضفت « عايز كام » « ٩ بنس ، يا سيدى » . عطيته شلن وشكرته وشكرني ودخلت بيني واترميت على فوتيل .

بعد مااستريحت قعدت اتبطر . ابن الكلب ٩ بنس ف خطوتين . يعني كام يعني تلاته صاغ وسته مليم . دا لازم قال لي ٩ بنس عشان أديله شلن . بعد كدا طبعا فهمت ان ٩ بنس دى الحد الادني للركوب وتخلص أفتكر بعد أول ميل وبعد كدا فيه تعريفه تانيه أفتكر تلاته بنس عن كل نص ميل . يعني تركب خمس ياردات زى ماتركب أول ميل . بعد كدا طبعا قدرت أفهم الامانة العظيمة اللي ف الشعب الانجليزى اذاقارناه بشعوب كتيره تانيه . لو كان الفصل دا حصل ف باريس كان الشوفير ضحك لك ضحكة عسليه وضحك عليك ضحكه أصليه وقال لك « وى مسييه، وى مسييه » . وطلع بيك من محطة كلوني ع البولنيش ع كورنيش السين ع كوبرى اسكندر التاني وفسحك ع الكونكورد شويه ويمكن وقف بيك شويه قدام أعمدة كنيسة المادلين وقال لك « تأمل ياسيدى شويه معجزة الفن الجميل ، تأمل ياسيدى معبد السيدة الخاطئة » وسيدى يتأمل العداد بيشتغل ، عشره فرنك، ١٢ فرنك ، ١٥ فرنك ، وبعدين راح لافف بك ورا التويليرى واللوفر وهوب شارع سيبا ستبول وراح كاسر بيك ع البولميش من الناحيه التانيه ورابط بك قدام الاوتيل دى فرانس بتاعك ف شارع المدارس .

لكن احنا ف لندن دلوقت ، وأنا السه ع الفوتيل بادعك صدغي مطرح ماضربتنى دراع الطاحونه ، وباشرب الشاى وبابلع الكيك من غير مضغ . ياسلام ع الجوع . صدق اللي قال الجوع كافر . قعدت أفكر ف حوادث اليوم ، وبالاخص ف ضربة الطاحونة

الاولى • بقى المسألة دلوقت ان كامبريدج مش هاتقبلنى قبل يناير يعنى هاأبقى ماليش شغل لحد يناير • شوف النظام يأخى • دخل على عمار وبقية الشله •

ـ أنا مسافر مانشستر بكره • انت كنت فين ؟ اتخضينا عليك •

عمار قال : فيه حاجه ف انجلترا ، ماأعرفش ايه هيه ، تعلمك فضيلة الصمت وقلة الكلام كمان لابد التعب هو اللى منعنى من الشكوى • قلت •

ـ أبدا • رحت صرفت شيك الكتب من البنك الاهلى ولفيت شويه ، وادينى أهو • قول لى • احنا حسابنا ازاى ؟

حكم عمار هو اللى كان بيدفع كل المصاريف المشتركة أثناء السفر ف باريس وف السكه شيالة • شنط • أحيانا شوكولاته • طلع على حسبة عشرة شلن دفعتها •

ـ وانتوا ايه حكايتكو ؟

قدرى : أنا قاعد ف لندن هاأعزل لبانسيون لان اللوكانده غاليه •

مندور • وأنا مسافر ريدنج النهارده الليل •

زينب الشعرانى : وأنا مسافره برستول بكره الضهر •

الله • يعنى ماحدش هايستنى هنا غيرى • حسبت المسألة مع قدرى طلع صحيح ان اللوكانده غاليه قوى • البانسيون المتوسط بخمسة وعشرين شلن نوم وفطور ف الاسبوع يعنى بمتوسط تلاته شلن وستة بنس ف اليوم • اذا كان كده مش ضرورى الواحد يصرف سبعه شلن كمان ف الغدا والعشا • أربعة شلن كفاية قوى • يعنى فيه وفر جنيه تقريبا ف الاسبوع يعنى أربعة جنيه ف الشهر • مش بطالين • أدينا طلعنا السجاير والسينما • مادام أنا مضطر أستنى ف لندن لحد يناير اذن لازم أفكر ف الاستقرار من دلوقت •

ـ تعرفش ياقدرى بيت من البيوت اللى بتحكى عنها ؟

ـ لا والله • انا معايا عنوان واحد بس • ودا ف الضواحى كمان •

المعجزات ف العاده ما بتنزلش غير ف الساعة الحادية عشرة

زى مابيقولوا الانجليز ، فصدى قبل وقوع الكارثة او فوات الوقت بفرصة قليله • كنت على وشك اليأس وعلى غفله الاقى العنوان اللى كنت سمعتهف مكتب البعثات النهارده الصبح يعوم ف مخى زى شطرة شعر اتجمعت كاملة •

ـ أنا قلت لصاحبتى انى هاأسيب ٢١ كامبريدج تراس • اذا كنت عاوز تعزل الحق خد محلى قبل مايسكن •

مش بس صوت الافندى اتردد ف مخى وهـــو بيقول كدا لصاحبه ، انما شكله كمان افتكرت وشه الاصــفر واصــداغه البارزه والغباوه اللى ف عينه والســـماجه اللى ف حركاته • طبعا انا كنت جديد ساعتها وماكنتش عارف ان مسألة السكن دى من اسهل مايمكن • ماكنتش عارف انى اقدر اشترى اى جرنال واشوف الاعلانات اللى فيه واختار السكن اللى يناسبنى • بالمناســبه دى فيه تلامذه كتــار ف البعثات كنت لما اقابلهم واكلمهم استغرب ازاى الحكومه تبعت واحد زى دا بعثه • حتى الذكاء الفطرى ـ سيبك من العلم ـ ماكانش متوفر فيهم •

الذكاء الفطرى اللى بيلمع ف عينين خمسين ف الميــه من الاطفال اللى بيبيعوا يانصيب ف مصر وبيشعبطوا ع الترمواى من الشمال • كان حقهم مش يعملوا لجنه استشاريه للبعثات انما لجنه لتكشف ع ذكاء اعضاء البعثات قبل ما يسافروا • مش كفايه ان واحديتعلم مبادىء الخط المسمارى او يعرف حاجه عن الالواح الاثنى عشر ف مصر يقوموا يبعتوه بعثه عشـــان مافيش غيره ف البلد يعرف الخط المسمارى والالواح الاثنى عشر أنا أعرف عشرات من الدكاتره والمهندسين بعضـــهم نجحوا ف الحصول على درجة يعنى برضــــه شطار ، ومع ذلك كان تفكيرهم خارج عملهم زى الجزمه تمام •

« الحق قبل مايسكن » « الحق قبل مايســـكن » • ابتديت افكر بصوت مسموع ٠٠ « الحق قبل مايسكن » • قدرى سمعنى وقال بتقول ايه ٠٠ ايه اللى يسكن ؟» «أبدا، دا عنوان بيت افتكرته دلوقت وخايف انه يطير منى • » قام ضـــحك بعبث وقال لى « طيب يالله الحق قبل مايسكن » •

ـ جيمس ، تقدر تقول لى كامبريدج تراس فين ؟
ـ برضه بعيد ٠
ـ يعني قد ايه ؟
ـ تلت ساعه بالاوتوبيس ٠

تصوراني ساعتها سألته عن نمره الاوتوبيس وكنت عاوز انزل وابتدى ادورع البيت الجديد ف المغرب بعد تلات ساعات من التوهان تحت الارض ٠ انا لازم مجنون ٠ لكن ف الوقت دا كان عمرى تلاته وعشرين سنه وكنت مليان حيويه ، الحيويه اللى قعدت معايا من سن اربعتاشر لسن خمسه وعشرين ودلوقت باشعر انها سايباني ٠ مسألة الحيوية دي مسألة مهمة جدا واذا كنا بس نتنبه لان الحيوية بتفارق الانسان بعد سن معين كنا نعمل حسابنا اننا مانضيعش دقيقه واحده طول مالسه عندنا نشاط ٠ ف حالتى انا انا لاحظت انه ف الكام شـــهر الاخيره لى ف انجلترا ، بالاخص بين فبراير ويوليو سنة ١٩٤٠ ، انى مش با اقدر اقرا أو ابحث ، وان قريت أو بحثت فبنفس مسدوده ٠ اتعب قوام ، ما اقدرش احصر تفكيرى ، مش سهل على انى ابتدى القرايه ، اتلكك على اى حاجه عشان اسيب الكتاب ، وهكذا ٠ ابتديت أحس انى مش سعيد ٠ المهم انى ف سن خمستاشر كنت بااقرا عن كيتس وازاى مات سن خمسه وعشرين سنه ووليم بت ازاى بقى رئيس وزاره وهوه يدوبك فوق العشرين ومصطفى كامل ٠٠و٠٠و٠٠ فكان طالع ساعتها ف دماغي انى اوصل لاعلى مركز ف سن خمســـه وعشرين وبعد كده اضرب نفسى رصاصه ٠ دا الرومانتيزم بتاع اليفاعه فى العصر الدهبى ٠ ادينى عديت الخمسه وعشرين بسنتين وانا لسه بااشتغل ف كلام فارغ ٠ ولما أقارن شغلى دلوقت بشغلى سنة البكالوريوس او حتى بشغلى ف سنة ٣٨ و ٣٩ ف كامبريدج لازم اعترف انى فقدت نص نشاطى ٠ انا سألت ناس كتير عن مسألة النشاط دى وبعدين قالوا لى ان دى ظاهرة عامة يشترك فيها اغلب الناس قصدى نضوب الحيوية بعد سن خمسه وعشرين ٠

زى ما با اقول لك ، انا فكرت انى اســـيب اللوكانده بعد

الدوخه الجامده دى وادور ادور ع العنوان اللى افتكرته • لكن الجماعه عقلونى لحد تانى يوم • وفعلا تانى يوم صحيت وخرجت وسط المطر الشديد بعد الحصول على كل انتعليمات المطلوبة • صحيت نشيط وقلت ف عقلى ياواد مادام انت ناوى تقعد ف لندن فبلاش تاكسـيهات وتتوه تتوه ، كله اختبـار • قالوا اركب اتوبيس كذا من محطه يونستون • المطر خف شويه • قلعت البرنيطه • لقيت راجل احمر • وشه احمر غريب •

ـ من فضلك محطه بوستون فين ؟
ـ هو هو هو •• انا رايح هناك ، خليك ويايه •
ـ متشكر •
ـ انت هندى ؟
ـ لأ ، مصرى •
ـ هو هو هو ، انا احب مصر قوى •
ـ انت زرت مصر ؟
ـ هوهو هو ، قريت عنها ف المجلات •
ـ لازم تروح يوم م الايام •
ـ اللى يقدر يروح كان راح ، يا أبنى عجزت • عجزت يا ابنى • هو هو هو •
ـ ماتأخذنيش • انت اول انجليزى شفته بيضحك ف لندن •• سألنى امتى جيت • قلت له • سـألنى اذا كنت تلميذ • قلت له • وبعدين قال لى ،
ـ حذر ، انا جنسيتى ايه •
ـ انجليزى طبعا •

الراجل ضحك شويه وزعل شويه •
ـ ازاى تقول عليه انجليزى • بقى انا شكلى انجليزى ؟ بقى أنا طبعى انجليزى ؟
انكسفت •
ـ لأ ، لكن لغتك انجليزية سليمه • انت ايه ؟
ـ مش ها اقول لك ، مادام انت عملت الغلطه دى •
ـ أنا آسف •
ـ انا بلدى جميله ، مش كلها دخان زى دى •

ـ انا آسف ٠
ـ انا بلدى متمدنه ٠ مش بلد استغلال زى دى ٠
ـ انا آسف ٠

ـ احنا نكرم الضيف ٠ مش زى الشعب البخيل دا ٠ تعال كدا عندنا وشوف نحطك على راسنا ولا لأ ٠
ـ انا آسف ٠ متشكر ٠ يمكن تحصل قسمه بس قول لى ايه هيه ٠
ـ لا مش ممكن ٠ ادى محطه بوستون ٠ مع السلامه ٠
ـ مرسى قوى ٠

وادى الاتوبيس بتاعى جاى ٠ راح واقف ودخلت فيـــه ٠ بصيت لقيت الراجل بيقرب على وبيشـــاورلى انى اطلع وراح موشوشنى ف ودنى ٠ « نرويجى » والاتوبيس زق ٠ الاتوبيس كان دورين ٠ رحت قاعد ف اندور التحتانى وولعت ســجاره بصيت لقيت الكمسارى جالى وقال لى « اطلع فوق من فضلك » استغربت لكن قمت طبعا ٠ لازم أعرف السبب ٠ « من فضلك ليه عاوزنى اطلع فوق » « عشان سجارتك بس ٠ » فهمت ٠ الدور التانى للمدخنين ٠ والتحتانى لغير المدخنين ٠ معقول والله ابتديت افكر ف كلام النرويجى ٠ طيب ودا ليه بيشـــتم ف الانجليز ٠ ما أعرفش لازم فيه سبب ٠ دى اول مره اسمع فيها واحد اوروبى يشتم ف الانجليز ماتنساش انى لحد ســاعتها ماكانش عندى اى خبره بالانجليز غير العشرين استاذ انجليزى اللى درست عليهم سواء ف ثانوى أو ف الجامعة ٠ انا سبت مصر كنت فاكر ان كل الناس اللى ف انجلترا زى مســتر ســكيف ومستر فرنس ومستر ديفيز اللى كنت باختلط بيهم ف العمل ٠ ان ماكانش زيهم بالضبط ، اهو بالتقريب ٠ بصيت لجارى لقيته راجل وسخ قوى ، والأنكى من كدا ان شنفايفه فيها قرحه كبيره غالباقرحه سفلس ٠ ابتديت اقرف لكن اتكسفت اغير محلى ٠ وعنها والراجل فتح محدت٠«أنا كنت ف الهند من سنة كذا وسنة كذا ٠ « انا مش هندى » ٠ « انا عارف ، انت مصرى ٠ اناكنت ف مصر من سنة كذا لسنة كذا ، ف جيش الاحتلال »٠ ماورديتش عليه م القرف والمضايقه والكسوف ٠ بالرغم من كده

قعديدش • أنا كل معلوماتيعن الانجليز انهم أعداءنا الطبيعيين ف السياسه وانهم ناس هايلين اخلاقهم متينه • بعد ماقابلت النرويجي ابتديت اتشجع ف التفكير • بعد ماقعدتجنبالرجل ابوقرحه ابتديت احتقر الانجليز لمدة كام دقيقة • بقى هيـــه المسألة كدا ، اولاد الايه دول يبعتوا لنا الناس المثقفين بتوعهم عشان يوهمونا بأنهم احسن شعب وهم ف بلادهم منحطين كدا • كمان ايه الحكايه دى • كل واحد مايقابلنى يقول عليه هندى • اما غباوه • هو مافيش اسمر غير الهنـود • ابتديت اكره الانجليز لانهم بينسوا بلدى خالص واكره الهنود لانهم بيخلوا الانجليز يغلطوا ف المصريين • حكاية انت هندىدى حصلت لى مليون مره ف التلات سنين اللى قعدتهم ف انجلترا ، وكل مره اسمعها دمى يفور • الشعور دا بيشترك فيــه اغلب المصريين اللى ف انجلترا • بل أوكد لك ان احنـا فات علينـا وقت كنا نعتبرالغلطه دى اهانه ، وف أكتر من مره اســتعملنا لغـة ف منتهى الجفاف مـع النـــاس اللى غلطوا فينا • ابتديت أشعر بالالوان شعور ايجابى•أخيرا الاتوبيس وصل محطتى • بعد مانزلت وسألت طلع انى تايه ف حته بعيده قوى عن الحته اللى بابحث عنها • لكن المطر شديد قوى • مش دا يبرر تاكسى أنا أى حاجه عنـدى تبرر تاكسى دلوقت • رحت داخل تاكسى وزاقق • وصلت العنوان اللى معايه • ضربت الجرس • طلعت لى مره لابســه فوطه • « انا عايز اسـكن » • « اتفضل » حصل اتفاق على ٢٥ شلن ف الاسبوع نوم وفطار • عملت لى شـاى ونشفت لى هدومى قدام الدفايه • رجعت اللوكانده ف تاكسى رجعت بشنطى ف تاكسى ، استحميت واســتريحت وبعدين لبست وقمت استكشف •

فيه فرق بين الراجل اللى بتحصل له حاجات والراجل اللى مابتحصــلش •• كمان فيـــه فرق بين الراجل اللى بتحصل حاجات ويستفيد منها وبين الحمار اللى مابيســـــتفيدش من التجارب بتاعته • انا مثلا كنت اقعد بالاربع سنين ماتحصـــل ليش حاجه مهمه وف شهر واحد ف لنـدن ابص الاقى نفسى مربوط ف عشرين مشكلة ، وباتعلم وباتعلم •

بعد ما سكنت اسبوع ف كامبريدج تراس اكتشفت بالصدفة أن الجهه دى مستعمرة الستات البطالين • فيه زيها كتير ف لندن • اتغظت جدا لما عرفت الحكاية دى وصممت انى اعزل اولا وانى اقول لمدير البعثة انه ينبه ع المصريين اللى جايين جديد انهم ياخدوا بالهم • العزال عزلت • وادينى اهوه بعد أربع سنين باقول لمدير البعثة اذا كان بيقرا الكلام دا • لما سكنت ف البنسيون الاولانى دا لقيت اتنين مصريين قدام ع البعثه ساكنين فيه قبلى واحد مهندس وواحد نص مهندس (قصدى من الفنون والصنايع) • شبان مش أغبيا ولا أذكيا قوى يمكن كانوا شغالين ما أعرفش ، لكن بالتأكيد مايفهموش العمى بره شغلهم وضرورات الحياه اليوميه • ذكاء عملى عادى وكل اللى ساكنين ف البيت بيزنقوا على ألما الخدامه بت مسكينه تطلع عشرين سنه ، قصيره قوى ، لطيفه شويه، اميه تكتب تراس ب آ ر واحده وبوردب أو آر دى ، من النوع اللى مالوش شكل معين ولا هو حلو ولا هو وحش عندها فرو مقطع ، ومالهاش اطماع الا انها تتجوز جيمى البحار النيوزيلاندى اللى وعدهاادى سنتين انه هايتجوزها ع العيد •

اطلع من البيت بالليل الاقى مره رايحه جايه • أقرب منها تقول لى « كم ويدمى دارلنج » أقوم أتربك وأتمتم « ثانكيس » وأخاف وأمد • أوصل ادجوير رود ألاقى تاكسيهات واقفه وعسكرى بوليس دايما هناك وراجل وسخ بعربه كنتين وسخه يبيع فيها شاى وكيك وعيش وزبده وسجق وساندوتشات وجنبهم اتنين بنات غالبا شكلهم وحش منتظرين • يسألونى عن الوقت ويبتسموا ـ المفروض باغراءات اقوم اهرول واخش الشارع مستعجل • الحكايه دى حصلت لى تلات مرات ف اسبوعين ، انما الشارع كان مرشق بنات دايما • دايما ف الانتظار • لما رجعت سألت الافندية عن الحكايه،قام قالوا لى ان اهمية الشارع مش ف البنات اللى بتقف فيه لكن ف البنات اللى بييجوا من الاحياء التانيه مصحوبين ويأجروا اوده لمدة ليلة باجره مضاعفه ويختفوا تانى يوم الصبح • ناديت ألما وسألتها قام قالت• بيقولوا ،لكن البيت بتاعنا نضيف ومس

مولينو ـ صاحبة البيت ـ ست مستقيمه ماترضاش بحاجات زى كده ٠ »

صممت انى اعزل وعطيت خبر ٠ اتصاحبت مع المهندستين وعلمونى هويست ـ دى تطلع لعبه كوتشينه ٠ اهم من كدا بقم ياخدونى الدكاكين ويعلمونى ازاى اشترى اللحمه المحفوظه واللحمه البارده والبيض والطماطم والزبده والتفاح والموز ٠ بالاخص التفاح والموز من الفكهانى اللى قدام سينما اوديون ف ادجويررود ٠ فهمونى كمان ازاى اختصر ف المصاريف وايه فايدة ان الواحد يشترى عيشه ومربته ٠ عشان اديك فكره ازاى انا راجل خيبان من الناحية العمليه ، تتصور انى بعد ماعزلت من الحته لحى تانى بقيت ارجع مخصوص لنفس البقال ونفس الفاكهانى واضيع ساعه ركوب واربعة بنس مواصلات ٠ كنت اخاف ادخل الدكاكين ٠ على اى حال هم اللى جرأونى وعطونى فكره عن اثمان الحاجات ٠ مثلا قالوا لى على رستورانات ايه بى سى وجيمى ليونز ٠ وورونى ازاى اعرف اتغدا بشلن وسته بنس وعلمونى ازاى اروح النادى المصرى الملكى ماشى ٠ كمان شرحوا لى على قد ادراكهم ومعلوماتهم حاجات عن عوايد الانجليز وطباعهم ٠ والبنات الانجليز ٠

آه البنات الانجليز ٠ دى مهمه قوى ٠ ياما حكوا لى واحنا بنلعب هويست ف البيت عن مغامراتهم وفتوحاتهم وأنا رايح مش عارف أصدق ولا ماأصدقش ٠ فكرونى بالشبان المصريين ف مصر ٠ فكرونى بالموظفين اللى كنت اقابلهم ف بوفيه السيده زينب وتلامذة الجامعة اللى كنت باشوفهم ف نادى الجامعه قبل مايتقفل ، لما الواحد فيهم يقعد ف وسط عشر تنفار ويفضل يسرد بأقذر لغة واعلى حس حكايته الجنسية ٠ النهارده الصبح قابلنى واحد صاحبى قدام اوريكو ماكنتش شفته من يوم ما رجعت من انجلترا ٠ بعد السلامات والطيبات ورجعت امتى ، تعرف أول سؤال سألهولى ايه ؟ « احكى لنا بقى عن مغامراتك المشهوره اياها » « انت عارف انى انا مش بتاع حاجات زى كده » « اطلع يانمس » « مره تانيه بقى لان عندى معاد الساعه عشره » ٠ مساكين الشبان المصريين ٠ ماتعرفش تزعل منهم

ولاترثى ليهم • نورستانيا • جنسيه بتنخز ف عقولناوبتطفح
ع الجلد زى الدمامل • شوفوا الكبت عمل فينا ايه ياما حكى
سلامه وياما عاد صبرى جرجس ف المجله الجديده وغـيـرها
ومصر برضه هيه مصر • تشوفه ف الراحه اللى ف عيـــون
الناس وهيه خارجه من السينما كانهم كلهم باسوا ماى‌وست
وحضنوا اليس فاى • تشوفه ف روايات الجيب اللى بيقروها
الايفاع ومجلات بارى وفينوس وسكس‌ابيل وبرافان‌والمجموعه
الفرنساويه الوسخه اللى اسمها « الكوليكسيون جولواز » •
تشوفه ف الفشر الجنسى اللى بتسمعه من اصحابك‌وانت‌نفسك
بتشترك فيه بحسن نيه • آه بحسن نيه • تشوفه ف الحقـد
الهمجى اللى بيحمله كل شاب لاى واحد يشوفه مـع بنت •
تشوفه ف الشارع وف الترمواى وعلى كوبرى قصر النيل
وف الجامعه لما واحد يكلم واحده تفترسه نظرات الناس‌ويقولوا
له سيب النعجه ياخروف وانا اشوفه كل ما اكلم تلميـــذ او
تلميذه من تلامذتى واتمعن ف خدودهم الصفرا واقرا فيهـــا
الحرمان ، أو اتحسر على ذكاءهم اللى طفاه الجوع القديم• اشوفه
كل ما اشـــوف الحيـــاء الشـــديد أو الرقاعه المجوجـه •
اوعى تفتكر ان الرقاعه دى دردحه • اوعى تحسد واحد رقيع
وتفتكره ناجح مع الستات • قلة الحيا زى الحيا تمام كلهـــا
كبت جنسى بس يقلده مع الشخص الحسيس بكسوف ومـع
الشخص البليد بعنف • كما انى أقدر أشوفه ف الكســـل
الفكرى الملازم لاكتر المتعلمين وف القلق اللى اتملك الناس ،
وف التفكير غير المنظم عند اغلب الشبان ، وف النكت‌القبيحه
اللى بتتكون منها مادة فكاهتنا • كمان اشـــوفه ف الملـــل
والكآبة ، واشوفه ف الحماس اللى يركد ف ســـاعتها • انتو
نايمين ولا ايه • طبقة الافنديه ف مصر دى‌مش طبقـــه ، دى
مجموعة من العقد النفسيه اللى مافيش امل فيها الا بتوجيــه
جنسى جديد اساسه الحريه المعتدله والاطلاق اللى مبنى عـــلى
فهم صحيح • يامين يحللنى •

من الاختبارات الجميلة اللى فاتت عليه كمان أول أسبوع •
رحت مكتبة البعثة وأخدت جواب توصيه للمتحف البريطانى
عشان مايدونى كارت ادخل به صالة المطالعةباستمرار وكارت

تانى عشان قسم المخطوطات . خرجت من بيتى ووصلت ادجوير رود ف دقيقه وسألت « فين هو المتحف البريطانى ؟» « ها اركب ولا ماشى ؟ » فكرت شويه « ماشى » « تمشى على طول لحد ماتلاقى القوس الرخام ف وسط ميدان ، اكسر شمال ودغرى ف اكسفورد ستريت لحد الآخر تلاقى المتحف . مش ممكن تتوه فيه » غريب . كل واحد انجليزى يوصفلك مكان يقول لك « مش ممكن تتوه فيه »

اشمعنى يعنى انا دايما باتوه . مشيت حسب التعليمات وفعلا لقيت القوس والميدان .. وقفت اتفرج عليهم لكن انا لقيت حاجه تانيه اهم من القوس والميدان . لقيت جنينه كبيره على ايدى اليمين « ايه دى من فضلك » « دى هايد بارك » . هايد بارك خيرا . خطر لى اننى أخش وأسيبنى من المتحف ، لكن الاراده كانت قويه ، رحت كاسر شمال ومشيت ف اكسفورد ستريت سينمات ايه وزحمة ايه وفترينات ايه ونشاط ايه . الناس رايحين معايه وجايين ضدى الساعه تسعه الصبح وعليهم حيويه الحياه نفسها فين العواطليه اللى بيقعدوا ع البول نور ومارتينى والامريكين الساعة عشره الصبح أيوه فين القهاوى هناك مافيش حاجه من داكله . هناك مافيش غير رجاله ماشيين وستات ماشيين وأتومبيلات ماشية وأتوبيسات ماشيه . البلد كلها ماشيه . تحس انك ف نهر والنهر فيه تيار بيصب فين دى مسأله تانيه مش تحس انك ف مستنقع ووجود ثابت قديم . انا اقترح ان الحكومه اللى عاوزه تصلح بلدنا حقيقى حقها تبتدى بتأليف فرقه من اصحاب الكرابيج الغيورين ، يفوتوا ع القهاوى كل يوم الصبح وكل واحد يلاقوه قاعد مالوش عمل يمسكوه يضربوه على أفخاذه ف وسط الشارع ، وكل واحد ببدله يلاقوه بيتف ف الشارع او بيناكف ف كمسارى الاتوبيس المزحوم ويعطل خلق الله او بيلكلك ورق ويرميه ف الشارع والسبت جنبه برضه يعملوا فيه نفس العمليه . نهايته فترينات ايه ايه اللى ف اكسفورد ستريت . دا اسمه جون ليويس ودا اسمه سيلفريدج يتهيألك ان كل بوصه مكعبه فى الشارع دا تساوى تقلها دهب . دهب العالم لموه ورموه ف الشارع .

قال شملا قال هأ • مشيت والبلد كلها مشيت معايه • وكل عشر دقايق الاقي شحات واقف بكمنجه حاطط برنيطـــته ع الارض • وقفت ف الزحمه دى عشان اسمع • الله • دابيضرب آفن ماريا • ارتجفت شفتاى ورفعت وجهى الى السماء وقال فؤادى « بل السلام عليك يا مريم يا ام الملاك المحترق الشهيد ولتنم ف مثواك طيب النفس ياشوبرت وانت ياسيدى السائل، لو ان الام الحزينة الجاثيه عند سفح الصليب ســـمعت لحنك لأرسلت فيك من دموعها بعض ماأرسلته فى السيدالمسيح » وقفت افكر دقيقه تكون ايه المدينه دىهم شحاتينهم ارتيستات واحنا ارتيستاتنا شحاتين • دى مسألة مفروغ منها دلوقت • لكن بأى حق يسمحوا هم بعد المدنية دى كلها أن راجل يعزف موسيقى كده يدور يشحت ف الشوارع • يمكن الراجل نفسه فيه عيوب خلقيه خليته كدا • يمكن • يمكن سكرى ولا قبيح ولا مهمل يمكن • مشيت عشر دقايق لقيت راجل تانى ايديه فاضيه واقف يشوح ف الشـــارع ويغنى •• اوبرا • يا اله العرش • يعنى دا كمان سكرى ومهمل وقبيح يمكن وغـــيره بيلعب فالسات خفيفه وموسيقى غجر وغيره بيقرا فصول من الكتاب المقدس ، وكل واحد فيهم برنيطته جنبه والمحسنين كل واحد يرمى بنس إتنين على قد ماتجود نفسه ويسمح جيبهوبعد كده عرفت ان القانون ف انجلترا بيمنع الشحـــاته ، يعنى قوله حسنة للهيامحسنين ، وان الجماعة دول بيحتالوا ع القانون بأنهم يغنوا أو يلعبوا ألعاب بهلوانية ف الشارع مش عشـــان يبسطوا المارة لكن عشان يثبتوا للبوليس انهم مش شحاتين انهم من أرباب الحرف ، مش تسولوا البنسات اللى ف البرنيطه ، انما كسبوها بعرق جبينهم • بعد كدا عرفت ان الشحات اللى كنت دايما أشوفه بيتسكع قدام كوبنزهول جنب محطة الاذاعة البريطانية كان كمنجاتى ف أوركسترا عالمى وبعدين حصل له عطب ف دراعه قام فصلوه ومن يومها عاطل لانه صرف شبابه ورجولته ف المزيكه وما يفهمش ف حاجه غير المزيكة • بعد كدا عرفت أن المجتمع الاوروبى فيه قسوة تفكرك بآكلة لحوم البشر • بعد كده عرفت حاجات كتيره هاحكيها لك لما ييجى أوانها •

احكى عن البنات كمان ولا بلاش ؟ ف اكسفورد ســـتريت امشى ف حقل من الغانيات مادور راسى يمين وشمال ماشوفش

غير جمال ف جمال • من عجبي ابتديت اعد : دي حلوه ، دي وحشه ، دي وحشه ، دي حلوه ، دي حلوه ••• الخ • طلعت نسبة الجمال حوالى تمانين ف الميه • لكن للاسف ، جمـــال وشباب ، لكن اتهيألى انهم عاملين زى تماثيل الشمع ، لا فيها نفس ولا حراره • من شدة اعجابى وعجبى قررت انى اول ما أرجع البيت ابتدى قصيدة اسمها « فى متحف الشمع » أوصف فيها سوق التماثيل اللى كنت باجوس فيها طول الصبحيه • تمانين ف الميه يخدوا سته على عشرة وطالع • قعدت برضـــه أفكر ف مصر وبنات مصر • كليوباترا ونفرتيتى ، فيـــه أجمل من كدا ، العالم كله يعرف ان مصر العاجزة ســــحرت روما الباطشه وجابتها لورا بجـمال العيون وفتنة القدود •

واخير وصلت المتحف البريطانى • اخذت رخصه دخـول لصـــاله المطالعة ولأودة المخطوطات وجرى ع الــكتالوجات • ابتديت الم مراجع للرسالة • ضاع اليوم كله قبل ما افهـــم ازاى استعمل الكتالوجات • سألت ، قالوالى • دخت وعدمت وكل تلت ساعه اقريف اقوم اطلع اشرب سجاره وانا باتمشى بين الاعمده الكورنثيه المهببه اللى دايما مبلـــوله ، وادرس الناس اللى قاعدين ع البسطه الواســعه ، اللى بيشرب واللى بيدخن واللى قاعد على دكه خشب مزيج غريب من الفلاسفه والعواطليه والباحثين والمعتوهين الناس داخله طالعــه رجاله وستات ، اللى بدقن زى دقن رسكن واللى بدقن زى دقن شاول الثانى واللى ببيريه باسك وكرافات موشوار والنضاره الدهب والعصايه العاج • خرجت ف العصر وف سكتى حييت الحرس ووقفت عند السور اتأمل • هنا كارل ماركس كان بيــجى

يلتمس الدفء لانه كان بلا مأوى ، وهنا سطر الانجيـــل الجديد وسماه « رأس المال » هنا درس دكتور جونسون العظيم بعد قرنين من الزمان طاح فيهم الشعر المستعار وقامت الثــوره الفرنسوية ، وحكمت الطبقة المتوسطة وانهـــارت ، والنـــاس غنوا الانترناسيونال ،والاله أصبحت اله ، والمتحف البريطانى لسه زى ماهوه بيتردد عليه الصــعاليك زى اللى ترددوا عليه ايام الشاعر سافيدج • بصيت للمتحف تانى وافتكرت كلمة

ت . س . اليوت ان شكسبير استفاد من تراجم بلوتارك اكثر مما استفاد أى مخلوق من مكتبة المتحف البريطانى كلهـا . ادى الحكم ولا بلاش .

ادى الكـلام الموزون . هزيت كتـافي باســتخفاف وقلت للمتحف « الى الغد ياخزانة الفكر . اتركك ف حفظ توت كاتب الآلهه » ثم توليت عنه باحثا عن بار .

تانى يوم الصبح جبيت اعمل نفس العمليه ، يعنى اروح المتحف ماشي من ادجوير رود . وهات يامشى . عبال ماوصلت هايدبارك كانت رجلى اتكسرت . الله ؟ ايه الحكايه ؟ انا مشيت المسافة كلها امبارح بمنتهى الســهولة . لكن امبارح مش زى النهارده امبارح كنت ســايح مشــغول ف الفترينات وتصفح الوجوه ، قام ماحسيتش بتعــب . النهاردة أنا راجل لندنى عارف سكتى وغرضى . نطيت ف اتوبيس طلع هو . هناك الاتوبيسات على فكره بيمشوا ع الشمال . وصــلت المتحف وكان البروجرام بتاعى فحص مخطوط لقصيدة من قصــايد بليك . وفعلا مشــيت فيها شوية ونقلت جزء منها ضاع منى دلوقت . الفكره فى كل دا انى كنت باوجه نفسى بنفسى . مافيش استاذ يرشد اعمل ايه قدامى مكتبه فيها ما اعرفش كام مليون كتاب وانا عامل زى الطفل اللى ضاع ف متروبوليس ولا الراجل اللى تاه ف قصر اللبرنت . لازم ابتدى من نقطه عندى موضوع وعندى فكره عامه عن الموضوع . « لغة الشعر » كانت موضوع رسالتى . ابسط طريقه هو انى ابتدى بطريقه عمليه ، وانسى كل اللى كتبوه النقاد عن الشعر ، وبالاخص انى زى ماقلت لك زمان كنت متأثر ايامها جدا بالتكتيـــك الريكاردى ـ يعنى طريقة دكتور ريتشاردز ـ ف دراسة الادب ف المعمل اذا امكن . قلت ف عقلى خد واحد زى بليك اتكلم كتير عن الشعر وازاى نزل عليه الوحى من السما ، وتشوف المسوده بتقول ايه والنص الأخرانى بيقول ايه وفكر ف الكلام المشطوب وف الكلام اللى حل محله ليه حل محله . ابص الاقى صاحبنا اللى دوش دماغنا بنظرية الالهام ونبوة الشاعر مليان شطب . اللى يشوف الشطب الكتير ف مخطوطات بليك يحتار

صحيح · اذا كان دا كله الهام ، أمال الصـــناعه تبقى ايه الغرض · انا مش ناوى احكى لك عن شغلى ف الجامعـه لانه يصدع الدماغ ·

ف المتحف اتعرفت بكام واحد وواحده · وبره المتـــحف اتعرفت بواحد بس ، واحد بس ، انما كان شـــخص غريب جدا · مش فاكر اصطادنى ازاى · افتكر كنت باضرب بلطه بين العواميد وبادخن سيجاره قام صـــاحبنا جالى وقال لى انه كومسيونجى بتاع مكتبه اسمها الفينيكس (يعنى العنقـاء) وعرض عليه أنى أشترى كتب لحد عشرين جنيه وأسددهم على أقساط شهرية بسيطة · فكره هايلة · قعد ينصحنى أشترى ايه وما اشتريش ايه لقيتها كلها كتب حره خارجه عن دراستى وأنا شخص نفعى جدا ، ان ماكانش كتاب عن لغة الشعر أوعلى الاكثر لغة النشر ماأدفعش فيه نـكله · البيع مانفعش انمـا نشأت بيننا صداقة غريبة من كتر ماكنـا نتقابل ف المتحف ونتكلم · الراجل كان طـــويل وعريض وغامق ويهـــودى وشيوعى وعقله مريض واسمه دافيد سيرمير · لكن انا وجدته ساعتها مفيد · كان كل يوم يصطادنى ونمضى كام ســـاعه كلام · يدوبك اقرا كام صفحه ف كتاب ريدلى عن كيتس مثلا واطلع اشرب لى سجاره وعنها ونص ساعه طارت ف الكلام عن لندن ، عن ماركس ، عن الأفلام · عن الـكتب · عن الستـات عن الانجليز · فيه ألف موضوع بيفتحوا نفســهم بس اللى له غرض · ادخل اكمل قرايه واطلع ، نفس العباره · وصاحبنا باسط ذراعيه بالوسيد قدام باب المتحف الجوانى كأنه حارس المتحف أو كلب ولف رابض عند بوابة سيده أو كبش حجـر على باب معبد · ولما ييجى معاد الشاى نخرج سوا ويشرح لى احيانا جغرافية لندن · واحيانا مبادىء الماركسيه ، مهوشـــه طبعا · حد فاهم ؟ اهو دش وبس · عمل زى ماتقول دليـــل أو ترجمان وباعتبار ان انا اللى كنت باستفيد بديهى وجدت من الانصاف انى ادفع الحساب كله كل مره ، ان كان شـــاى ولا لقمه ناكلها ولا فيلم نشوفه ولا اتوبيس ناخده · كان كلامه عن الاشتراكيه لاينتهى ، وحقده ع الطبقه المتوسطه لايحد ·

لحد كدا مفهوم ومعقول • فيه ناس كتير افاضل برضه كده • لكن صاحبنا كان تفكيره مسموم لدرجة ان نوبه دخلنا رستوران وحبيت اطلب كريمه احلى بيها قام قاللى • « احـــسن لك ماتاكلش كريمه ، دى طبق بورجوازى » عجيبه • كل الحاجات كانت بتنقسم ف مخه بشكل اتوماتيكى الى حاجات بورجوازيه وحاجات بتاعت الكتلة العاملة • كـل دا معقـول • لكن لما توصل لدرجة ان طبق كريمه برىء لاناقه له ف السياســة ولا جمل يقاطع بتهمة انه طعام الفئة المستغله ف المجتمع ، دا يكون الحد زى مابيقولوا الانجليز • ابتديت اشعر انه بيضيع وقتى صحيح •

ـ مانعطلكش ياسى دافيد• انا عندى عنوانك ، واذااحتجت لكتب هاابعت لك جواب • مع السلامه •

واشتريت وقتى بقليل من الشجاعه الادبيه •



دولسينا في الجنينة

دولسينا ، ان كنت ماتعرفش ، ، دى صاحبة دون كيشوت
وانا زى ماقلتلك اول مادخلت لندن برضه اقتحمتهــا زى
دون كيشوت ماكان بيقتحم طواحين الهوا الكبيره وهو فاكرانها
عمالقه تقوم تخبطه ف رأسه يقع ويفوق • انا كمان وصفت
لك ازاى حبيت اقتحم باريس زى الفــارس قام خبطــتنى
طواحينها ف راسى •اللى حصل ف باريس حصل ف لندن كل
عاصمه فيها طواحينها • اول طاحونه كانت الجدع اليهودى
اللى كان بيصطادنى فالمتحف البريطانىويضيع وقتى • تانى
طاحونه كانت أكبر شوية من الجدع اليهودى لانها أخدت منى
شهر كامل قبل ما أفوق من خبطتها •

نزلت يوم حد العصرية أتفســح ف هايدبارك ، هايدبارك
اللى جابتشهرة للندنزىالبرلمانالانجليزى والمتحفالبريطانى
أنا كنت أريت عن الناس اللى بيجتمعوا هنا بالميات ويخطبوا
ف السياسه ويقولوا أى كلام يعجبهم ضد الوزارة وضدالملكية
وضد الاديان اذا حبوا كمان • قريت ازاى ان الانجليزكل ما
يفتخروا بحرية الرأى عندهم يفتخروا بهايدبارك منبر الرأى
العام ف انجلترا • صحيح هايدبارك مالهاش مثيل فالدنيا •

مافيش حته فى الدنيا الناس تتلم فيها على كيفهم ويقولوا كل اللى فصدرهم ، اللهم الا حرم الجامعة بتاعتنا • لقيت ف الماشى اتفرج ••لقيت من بعيدشلل كتيره متنتره فالجنينه •

قلت لازم أسمع بيقـولوا ايه •• ومشـيت أمد وأنا قلبى بيدق من الحماس افتكرت انى هاسمع بيزعقوا وبيهتفوا « تحيا الثورة » أو « ليسقط تشمبرلن» • رحت لقيت راجل واقف على سلم خشب مجوز وف ايده كتاب ، عجوز مبهدل ف لبسه ، بالتأكيد فقير ، وحواليه حوالى عشرين راجل ومره • سمعته يقول :

ـ الكنيسه الانجيليه بتمد ايديها للابناء البرره الجـداد ، والسيد المسيح بيبص من فوق وعينيه مرغرغه بدموع الفرح كل ما يشوف واحد من الضالين دخل بيت الله •• ياالله نصلى ونرتل • ترتيله ٥٢٠

وراح فاتح الكتاب اللى ف ايده وابتدا يرتل والناس وراه رحت منسحب من سكات احسن حد يسألنى مابترتلش ليه • مشيت كام خطوه لقيت شباب ماحلقش دقنه ادى اسبوع ، باين عليه عامل ، واقف على منصه بيخطب بصوت مبحـــوح وفوق راسه العلم الشيوعى بيرفرف • سمعته بينتقد سياسه الحكومه بالنسبة للحرب الاهليه ف اسبانيا وبيطلب من الناس انهم يبعتوا اكل ولبن للجمهوريين • قلت دا الكلام الجـــد ولا بلاش بالاخص لان انا نفسى كنت اكره فرانكو عمى وافتكر انه زى كل الفاشست اللى ف الدنيا خاين لبلده • بصـــيت حوالى اعد الناس لقيتهم مايزيدوش عن خمسين ، عشره منهم بيتتريقوا ع الراجل بصـوت واطى وعشره زوار زى حالاتى ، سـمعوا لهم دقيقتين وزقوا ، وعشره باين عليهم تقل والباقين صحيح مندمجين مع الخطيب • وشفت عسكرى بوليس على بعد عشر ياردات رايح جاى بس عشان حفظ النظام ف حـــالة ما يحصل شغب • مشيت لحد اللمه التالته لقيت مره صغيره مش بطاله ، فكرتنى بميجور باربارا بتاعة برنارد شو ، قاعـــده توعظ ف الروح القدس وقدامها على طول راجل قاعد يسـب

ف الاسرة المالكة الانجليزية واحد واحد • زهقت أخدت بعضي ومشيت •

انا يظهر كنت مخدوع ف هايد بارك • عرفت ان دول حبة مجانين قاعدين يهلوسـوا والحكومة سايباهم ف حالهم لان مافيهمش خطر • ومكانهم الحقيقي مستشفى امراض عقليه مش السجن • اكتر من كده • عرفت ان بعضهم حافظ الخطبـه بتاعته صم وبيروح يسمعها كل يوم حد على ناس جـداد • عرفت ان اغلب الناس اللي بيخطبوا ف هايد بارك « حالات عقليه » زي ما بيقولوا الانجليز يعني من الجماعه المشتبه ف عقلهم ويظهر ان جنونهـم من نوع خطـابي فبيروحـوا ينفسـوا عن نفسهم • انا افتكر ان احنا ف مصر عندنا حته واحده فيهـا حرية الكلام مقدسه ودي لاهي كليه الآداب ولاهي كلية الحقوق لكن الحتة اللي بين كلية الآداب وكلية الحقوق • انا شـفت التلامذه بيتلموا فيها ايام الاضرابات وبيهتفوا العن هتافات خلقها ربنا والبوليس واقف بحكم القانون بره سور الجامعه ومش قادر يدخل لهم • يوم ماتختـفي الحريه من جو مصر ها يفتكر التلامذه ان كان عندهم حرم جامعي ، وانهم كانوا بيعبروا بصراحه عن شعورهم ف الحرم ده • انا لوكنت تلميذ كنت اموت عشان ادافع عن التقليد دا • انا لوكنت اقدر اعمل حاجه كنت اطالب الحكومه انها تدى حصانه برلمانيه ، زي الحصانه البرلمانيه ، للطالب قبل الاستاذ طول ماهم بين اسوار الجامعة ، وانها ترفع المسئولية الجنائية عن كل جرائم الفـكر والنشر مهما كان نوعها كل ماهي محصـورة داخل الحرم الجامعي وانها تحط الحصانه دي ف ايد مجلس الجامعة لوحده • لو كان عندنا نظام زي دا ماكانش طه حسين جرجروه للمحكمة عشان رأي علمي شرحه ولا الطلبه حبسوهم عشان قالوا يحيا الدستور ••

سيبك انت من الهايدبارك • الناس اللي بيقولو لك ان رمز حرية الكلام ف انجلترا دول جرنالجيه هواشين • حرية الرأي ف انجلترا تلاقيها ف اساتذة الجامعات لما يهاجموا النظـام القائم بأوضح عبارات ، تلاقيها ف الصحافه لما تقول ان ملك

انجلترا مايسافرش امريكا ع « الريبالس » البارجه الكبيره ، لكن يشوف له مركب حربيه صغيره عشان كان فيه خطر حرب كمان تبان ف المناظرات والمحاضرات السياسيه زى ماحصل مره ان اتحاد جامعة اكسفورد عمل مناظره ايام ازمة ميونيخ موضوعها انه « لايجوز الدفاع عن الملك والـوطن » ، وزى ما حصل ان اتحاد جامعة كامبريدج عمل مناظره موضـــوعها ان « الامبراطورية البريطانيه خطر دائم على سلام العالم » ، وف الحالتين الجانب الثورى كسب اغلب الاصوات واتنشرف الجرايد.

لكن دلوقتى خلينـا ف هايد بارك « الجنينـه » مش المنبر » .

مافيش فايده انك تقارن هايد بارك واللوكسمبورج . زى الكوكت الفرنسويه المدندشه ، اشى تماثيل واشى فساقى . لكن هايدبارك عامله زى ست انجليزيه سبور دا جمـــال ودا جمال . وبلاش تحيز . درت الف ف الجنينـــــه لحد ماقربت اوصل آخرها من ناحية النصب بتاع البرت أو فيكتوريالقيت اتنين عمال عواطليه قاعدين يعاكسـوا ف بت غلبـانه . زى شغل مصر تمام ، ودى حاجه نادر تلاقيها ف انجلتـــرا .

والحقيقة أنا وصلت ف آخر الحكاية وماشفتش غير الجدعان ماشين يتسكعوا لبعيد والبنت واقفه تبرطم . « مغفلـــين » « ايوه مغفلين » .

جيت جنبها وقلت بفضول :

ـ كانوا بيضايقوكى ولا ايه ؟

ـ ايوه . متشكره .

ف الاول ما فهمتش متشكره على ايه . اتاريها افتكرت انى جاى انقذها منهم وحسبتها شهامه منى آجى استفهم . شوف يا اخى الدنيا ماشيه ازاى .

المتنبى مره قال « ويختلف الاسمان والفعل واحد ، الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا » . اقول لك الحقيقة انا اتكسفت من نفسى . هيــه بتفتكرنى فارس من غير حصـــان جاى اطلع سيده من محنتها وانا عارف تمام انى ما سألتش السؤال بتاعى الا من باب التعارف . لو كانت دى بنت مصرية يمكن كانت

قالت لى «ياسم ، يادم ، وانت مالك ، وانت ايه حشرك ٠روح يا افندى شوف لك شغله اعملها بدل ما انت داير تلقح جتتك على بنات الناس » ٠ ويمكن ساعتها اكون انا مسكين صحيح عاوز اساعدها ٠

أوعى تفتكرنى انى متحامل من غير مناسبه ٠ أنا قلت ف أكثر من مناسبة ان جيل واحد من التربية الصالحة ف ظروف اقتصادية صالحة كافى انه يغير عقليـة المرأة المصرية من صف الجوارى لصف الاحرار ٠

مشينا مع بعض ٠ حكت لى حكاية الجدعان اللى بيعاكسوها وقالوا لها ايه وقالت لهم ايه ٠ مش مهمه ٠ قالت لى ان اسمها باميلادنى ، وانها كانت لحد كام شـهر ف مدرسـة أوف دير مش فاكر ، وان فيها دم اسـبانى عن طريق ابوها وانها مابتشتغلش وانها عاوزه تبقى ممرضـه وان امها قلبها قاسى عليها من يوم ابوهـا ما مات واتجوزت غيره وانهـا ما حبتش تصرف عليها قام بعتتها الدير وانها مقيدة حريتها لآخر درجة

ومش مخلياها تسهر بره بعد الساعه عشره وحاجات كتيره مش فاكرها دلوقت ٠ وانا كمان قلت لها حاجات كتيره عن نفسى والحاجات المهمهطبعا ولما اتغوطنا شويهفهمتها ان أعضاء البعثة بترفدوا اذا أجوزو أجانب ٠ يعنى افهمى الامر وما فيه ٠ طبعا الحاجات دى كلها ما قلتهاش ف خمس دقايق ٠ بالعكس دى يمكن اخدت ايام ٠ انا بس بااحكيها لك ورا بعض عشـان اخلص منها وانتبه لحاجات اهم منها ٠

بعدما مشينا سوا ربع ساعه وصلنا بحيرة أو نهـر أو ما افهمش ايه برضه جوا هايد ـ بارك ٠ قالت لى :
ـ دا السير بنتايم ٠

قعدت كام دقيقة أتأمل فيه ٠ انا شفت السير بنتايم ميت مرة لكن من ناحية واحدة ، من ناحيـة البوفيـه اللى ف الجنينة وعمرى ماعرفت آخره فين ٠ وكل مرة أشوفه ألاقيه واحـد من حاجتين ٠ ف الايام الصافية أبيض املس زى النيل ف أيام التحاريق بيلمع ف حتت وف حتت لأ ، وف الايام الغايمه شكله

زى الرصاص السايح من حراره طبعا • سرحت دقيقتين وبعدين رفعت رأسي وقلت من غير ماآخذ بالى •

ـ تعرفى • هنا هارييت وستبروك انتحرت آدى ميه وخمسين سنه تقريبا •

ـ مين هارييت وسمت بروك ؟

ـ ماتعرفيش هارييت وستبروك دي امرأة شيلى الأولانيه كان ابوها فاتح هوتيل وبعدين الشاعر حبها واتجوزها •

ـ وانتحرت ليه ؟

ـ عشان سابها بولد اظن وهرب مع مارى جودوين بنت أستاذه الفيلسوف وليم جودوين وراح ايطاليا • فيه كمان بنت تانيه من عيلة جودوين انتحرت ف ليدز عشان كانت بتحبه • مش دى كانت أيام غريبه ؟ نابليون ، بيتهوفن •• جيته • شلى بايرون ، كيتس • شتوبران ، دى فينى ، دى موسيه • شليجن ، مدام دى ستايل • مش دى كانت ايام غريبه ؟ التريكولور والجيش ، اللى ماشى على بطنه • مش دى كانت ايام غريبه ؟ •

انا لما كنت بسأل ماكانش قصدى ان باميلا ترد • انا كنت باأكلم نفسى •

ـ شلى كمان مات غرقان • القاتل يقتل ولو بعد حين • يموت بالميه برضه • مش دى مصادفات غريبه ؟ « ناميسيس » ، على رأى اليونان •• ولو كنت ف طرف المعموره • خرافات • اعترف ان دى كلها خرافات لكن فيها عزاء • انا عارف ان الهة الانتقام سواعى كتيره بتنام وعشان كدة افتكر لازم يكون فيه جنة ونار •

انا كنت عارف لندن حته حته قبل ما اسافر من مصر • بس عن طريق الكتب والروايات كنت ارسم ف خيالى خرط لوستمنستر وبيكاديللى وسوهو وجهة هايدبارك • شوف لما تحلم بحاجه واحده كل ليله وتصحى يوم تلاقيها قدام عنيك ، تضطرب والا ما تضطربش ؟ انا كمان لما شفت السير بنتايم اتحركت شجونى • دا مش فرح مع انى ف الواقع اكتشفت

الاكتشاف دازى ماتشوف حاجه الزمن ماتلفهاش • يمكن عشان كدا فكرة الابد بتزعجنا • أنا حياتى غنيه بالمواقف الغنية لان مخى متمرن على تداعى المعانى • ودى مش لازم ساعات سعاده انما بالتأكيد ساعات تأمل عميق • والبنت اللى جنبى اللى كل املها فى الحياة انها تعمل ممرضه ، تعرف ايه دى عن شلى وهاربيت وست بروك • رخره بصيت لى وأنا سهتان بااحكى لها عن التاريخ المنسى والتاريخ المحفوظ وعنيها واسعه زى الفنجان بتقول • طيب والرجل الاسمر دا ايش عرفه باللى حصل ف السيربنتايم ادى ميت سنة وخمسين • قلت ف عقلى •• الرجل الاسمر دا يعرف حاجات كتيره ياباميلا ، بس صبرك عليه •

لما كنت ف ثانوى كان فيه مجلات مصرية كتير تسألك سؤال مش معقول • اذا كنت مش مولود ف القرن العشرين كنت تحب تتولد فى أنهى عصر ساعتها كنت أفتكر انى كنت أحب أعيش ف عصر الثورة الفرنساوية عشان أقرأ روسو وهو لسه سخن وأشوف مارى انطوانيت بتاكل البقلاوه بتاعتها وأسمع ميرابو بيزأر ويجلجل ف الجمعية التشريعية وف ملعب التنس واكتب بنفسى على حيطان التويلرى بالطباشير • الحرية والأخاء والمساواة ، وأدخل مع شارلوت كورداى على مارا الحمام بتاعه وف النهاية اتفرج ع المغامر الكورسيكى من أول ماطلع من نادى اليعاقبه لحد ما مس حافة السما براسه واشوفه كمان بيهوى زى الشهاب • برضه وانا واقف جنب باميلا على شط السيربنتايم لو كنت سألتنى نفس السؤال كنت جاوبتك نفس الجواب • لان مرأى البحيره فكرنى بالعهد الحافل وفكرنى بالبحيره الكبيره والبحيره الصغيره اللى غنى جنبهم شعراء الخيال وفكرنى باللعنة اللى شردت قلب القلوب وبطل مسولونجى والشاعر المسلول • لكن لو تسألنى نفس السؤال دا لوقت اقول لك انى غيرت رأيى ،وانى برضه احب اتولد ف القرن العشرين • انا دلوقت بس حسيت ان احنا ف اخطر عصر فاتت فيه الانسانية ، وان احنا بنشاهد اكبر سباق بين المدنية والكارثة الكبرى فات على جنسنا من يوم الانسان ما اكتشف

نفسه ، واناحنا بنقرر مين اللى هايسودالارض دى • العقل ولا العاطفــة ولا المخلوق المرعب الجديد اللى بيغزل ويطبع ويبنى ويودينا لحافة البسيطه ف سبع ت ايام •

بعد شويه كان لازم أخد شاى • قلت لباميلا تاخد شــاى معايه جت • وشويه شويه اخدنا على بعض لدرجة انى ابتديت اداعبهــا بنكت أدبيه ــ زى كل حــاجه بااكتبها ــ عايزه شرح وتعليق • قلت لها تغير اسمها قام استغربت •

ــ أنا ماأحبش اســمك لانه بيفــكرنى بباميـــلا بتاعت ريتشارد سون •

ــ ومين باميلا ومين ريتشارد سون •

ــ ريتشارد سون دا روائى انجليزى عاش ف النص الاول من القرن الثامن عشر وكتب رواية اسمها « باميلا » ،أوجزائر الفضيله • » موضوعها ركيك و « سنتيمنتال » • ف كلمتين قال ايه باميلا بنت خدامه عند واحد لورد خدامه جميلهطبعا لكن عفيفه • حب سيدها يضحك عليهــا ماقدرش قام اقتنع بطهارتها ، وعشان يكافىء الفضيله راح متجوزها وعاشوا ف تبات ونبات وولد وصبيان وبنات • الحكاية ســخيفة لكن مكتوبه كويس ، مش كده تعرفى ، كان فيه واحد روائى تانى اسمه فيلدنج عايش ف نفس الوقت حب يضحك الناس على ريتشارد سون وبعدين فكر يعمل روايه اسمها « شــاميلا » يعنى باميلا مزيفة ويعكس فيها الموضوع ويورى ان ماحدش بيكافىء الفضيلة وبعدين خلق عقده لطيفه واشــخاص لطاف والمسألة خرجت مــن ايده قام لغى المشروع الاولانى وســمى الروايه « جوزيف اندروز » وف الروايه جوزيف اندروز كان خدام عند ليدى بوبى وبعدين ليدى بوبى استحليته وقعدت تراوضه مده طويله ، لكنجوزيف ، زى باميلا ، وزى ــ سيدنا يوسف مأ عمل مع مراة فوطيفار عزيز مصر ، رفض واستمسك بأذيال الفضيلة تعرفى النتيجة كانت ايه ؟ ليدى بوبى مش اتجوزت جوزيف روز لكن طردته ودار يطلطم من مكان لمكان،

أهو المهم قعدت أسليها بكلام زى دا يوم بعد يوم وقعدناعلى كدا شهر كامل • لكن فـالشهر دا حصلتحاجات أوعلىالاصح

ماحصلتش حاجات • بعدما كان بيحصل ان كل يوم الصبح كنت اروح المتحف البريطاني لقيت نفسي باانام لحد الساعة عشره واحداشر ، ومن يوم ما عرفتها دا مابقاش يحصل • لقيت نفسي داير اتفسح ف لندن مع باميلا مرة سينما مره تياترو مره جنينه ، مره صرمحه ف الشــوارع لكن فاكر تمـام ان أجمل أوقات كنت أمضيها كانت واحنا بنجرى ورا بعض زى العيال ع السلم الميكانيكى اللى يوصـــل للمترو تحت الارض وكانت كمان ف ســوهو واحنــا بنتعشى تقريبا كل ليله • سوهوزى ماانت عارف حى غريب له جاذبية شـديده ومليان اسرار • ف الاول اسراره هى اللى جذبتنى لكن بعد اسـبوع بقيت أحب الحى بذاته • كنت أقرأ ف روايات الجيب عن أسرار ســوهو الرهيبة ، ســوهو حى الجريمة • وأول ليلــة رحت سوهو • ولازم اقول لك ع الحقيقة • اول ليله رحت ســوهو كان مالى خيالى صور ناس صغيرين من الصين شــعرهم واقع وعنيهم ضيقه ووشهم أصفر وأشنابهم خفيفه ونازلة لتحت ـ دى صوره نموذجيـه طبعـا ناس من دول كـامنين ف زوايا الشــوارع المظلمه ، شــايلين خناجـر بين أسنانهم ومستنيين الفريسه • يمكن أنا ، يمكن انت ماأعرفش • أو شلله من أوباش الطلاينه بكسكتات ومناديل حمرا وسخه معقوده حوالين رقبتهم وجزم مخروقه بيمضـغوا تبغ ويتفوا ع الارض من غير حرج دايرين يضربوا بولطه تحت صدر الليــل الكئيب • اوستات بطالين من حثالة كل الشعوب يقعدوا جنبك ف الروســتوران ويساوموك على حتة افيون • كنت اســمع ف وسط الليل الساكن صرخه شنيعه وبعديها انه مكتومه ، وأشوف من الشباك المتهدم الوســخ اللى بيدى نور خافت خـرقه معلقـه وراجـل مشنوق • كل التهيؤات دى كانت تجى لى قبـل ما أدخـل سوهو • ولازم اقول لك ع الحقيقة • اول ليله رحت ســوهو كان قلبى بيترجف ويمكن اقول لك انى شــفت فعـلا عينين بتبرق ف الضلمه من بعيد • طبعا ماحصلش حاجة بعد كده أخدت ع الحته وابتديت أدور بنفسى ع الاسرار اللى بيحكوا عنها مالقيتش حاجة وبعد أسبوع بقيت أكتفي بالعشا الهادى والنبيت اللطيف • لكن لازم أعترف ان الحى يخوف القلب الحديد • الشوارع

الملفلفه اللى تتقفل على غفلة والانوار الواطية الطويلة اللى أطول من ظلالها والحوارى الداكنة اللى تحود من غير انذار • أنا ماشفتش حد ف سوهو شكله عادى أبدا • جرسونات وزباين وناس فايتين، كلهم ف حاجة ف وشهم ماتتفسرش ، ان كان معنى غير مألوف بيطل بين حواجبهم أو فك اجرامى او مراره واضحه فار كان الشفايف ، اوبيبه قديمه عمرك ما شفت زيها • المهم فيه حاجة والسلام ، وان كان ضرورى تحل اللغز ، افرض بس ان كل واحد عايش ف سوهو لازم له ماضى كثيف •

شهر كامل ضاع منى ما عملتش فيه أى شغل • طبعا ضميرى ماقعدش نايم طول الوقت زى ماانت فاهم • بالعكس • كنت باعمل مجهودات تذكر عشان اخلص كتاب وابتدى كتاب تانى • لكن دا مش نوع الشغل بتاع واحد زيى كان بيسهر صباحى بمعدل ليلتين ف الاسبوع مدة تلات أربع سنين عشـــان يعلم نفسه • قلت لا • الكلام دا ما ينفعش ، انا لازم اشوف لى حل اللى خوفنى كمان _ مش لازم اخبى عليك _ ان باميلا ابتدت تتشعبط فى • لاحظت مثلا انها ابتدت تكسر عشانى قانون الساعه عشره اللى امها قالت لها انه حد الســهر • وكنت انا جنتلمان بشكل كافى انى افكرهــا ف الوقت المناســب تقوم تقول لى انها مش هاتسأل ف كلام أمها • طبعـــا أنا وظيفتى انتهت لحد هنا • ما تقدرش تنتظر منى انى اديها نصائح اخويه ف طاعة الامهات • المسألة ابتدت تبقى خطيره • اقول لك ازاى كبرت • يوم من الايام كنا عندى ف البيت ، وف وسط ما احنا قاعدين ف أمان جنب الدفايه باميلاجت وقعدت جنبى ولفت دراعها حوالى ورمت راسها على كتفى وقالت بصوت واطى •

_ انا باحبك •

بلعت ريقى ومعرفتش اقول ايه • وبعد ما جمعت افكارى حاولت انى اصرف الموضوع بذوق • قلت لها •

_ انت عمرك كام سنه ؟

_ تمنتاشر •

_ انتى لسه صغيره • انت مش عارفه بتقولى ايه •

_ لا • انا عارفه انى باحبك •

ساعتها لقيت ان من الحكمه انى اطنش وأخلى المسألة تعدى. حكم المناقشة ف المواضـيع دى من اسـمج ما يمكن . لولا البنت كانت طيبه قوى كنت افتكرت انها بتشتغل على . عشان كده كنت مضطرب طول الوقت . انا اتحاشيت بالعامد انى أوصف لك باميلادى . أوسكاروايلد كان عنده تقسيم الطيف للستات . عنده الستات نوعين . ست بسيطه وست مدهونه. باميلا كانت بنت بسيطه على حسب تعريف اوسكاروايلد ، اخلاقها عاديه ، ما تنساش تنضف اسنانها مرتين كل يوم لكن تستحمى مرة واحدة ف الاسبوع ، معلوماتها معلومات تلميذ ف تانيه ثانوى وذكاءها على قد معلوماتها . صحيح مافيهاش ولا حاجه واحده وحشه لكن مافيهاش ولا حاجه تنحب .

ابتديت أحس بالخطر جتى من بعيـد ، حب ايه وبتـاع ايه هو انا بتاع حب ، انا جى اشـتغل . وبالاخص بعد الازمة النفسيه اللى كنت فيها سنة ١٩٣٤ كنت تقطع ودانى وماأسلمش نفسى لعواطفى تانى . وبما انى ساعتها ما كانش عندى عواطف لا من ناحية باميلا ولا غيرها صممت انى انهى المسألة بأسرع وقت ممكن . رحت مكتب البعثه واشتكيت اننى مش عارف اشتغل ف لندن وطلبت انهم يسمحولى انى ابتدى شغلى ف كامبريدج على طول . مدير البعثه قال لى .

ـ اذا كنت مش عارف تشتغل ف لندن مش مهم استريح. الحسبه كلها شهر والفصل الدراسى التانى يبتدى وتسـافر سفر طبيعى .

برضه ما اقتنعتش . لقيت ديسمبر داخل رحت من سكات مسافر كامبريدج عشان اجس النبض وقابلت كل الناس اللى انا عاوز اقابلهم وتانى يوم رجعت لندن مبسوط لان الكلية بتاعتى سمحت لى انى ابتدى بحث ف اجازة الكريسماس . يوم ٤ ديسمبر بالذات هاابتدى حياتى الجديدة ، حياة الاطلاع اللى أعديت لها شخصيتى طول العمر . لكن مشكلة واحدة بس. باميلا . ازاى افهمها من غير ما اجرح شعورها . ؟ .

أخدتها تتعشى فى بكاديللى بدل سوهو ، عشان بيكاديللى نوره

اكتر من نور سوهو والنور زى النهــار بيبدد الاوهــام ويدى الحقيقة شكل ولون . بعد ماشبعنا قلت لها .

ـ أنا اتفقت مع أساتذتى انى أعزل كامبريدج بعــد بكره . يعنى ماقدمناش غير يومين .

وجوم شــديد . عرفت ان ماليش حق أفتح موضوع زى دا ف رستوران احترمت صمتها وقمت انا بالكلام .

ـ وانت أحسن تبتدى تتعلمى تمريض بمجرد ماأسافر أنا..

برضه وجوم . احترمت صمتها تانى واستمريت ف الكلام

ـ انا متأكد انى ها اشتاق لك .

ماردتش . ولما شفتها مصرة ع السكات ومطاطيه راســها رحت انا كمان ساكت ومطاطى راسى وطلعت ورقه من جيبى وقعدت اقطع فيها حتت حتت ، اطبقها واقطعها ، اطبقها واقطعها ولما خلصت ابتديت امضغها باسنانى . بعد كام دقيقة ابتدت هى تتكلم . ياريتها ما اتكلمت شفت عينيها مرغرغه شويه .

ـ ماتقدرش تستنى اكتر من كده ف لندن ؟

ـ طبعا « اقدر » لكن انت عارفه انى لازم اكون ف كامبريدج بعد شهر لما يبتدى الفصل الجديد .

ـ انا فاهمه دى من الاول .

ـ ومادام ها اضطر اسيب لندن يوم من الايام مافيش فرق انى اسيبها بعد يومين وانى اسيبها بعد شهر ويومين . لازم الواحد يبقى دايما مستعد عشان يواجه اى مشكلة .

ـ عندك انت مافيش فرق ، لكن عندى انا فيه فرق كبير .

أدى قلم أخدته . رجعت هى وقالت .

ـ انت زعلان عشان مش عارف تشــتغل . لك حق تزعل لكن استنى معايه الشهر دا وانا اساعدك ع الشغل .

ـ انا آسف خالص . انا وعدت اساتذتى ف كامبريدج انى جى . ثانيا انا ثبت لى انى ضعيف ولندن قويه . أنا طول ما أنا هنا هاتبلعنى المدينة الكبيرة دى . فيه حاجه ضــاعت منى من يوم ماجيت لندن دى ومش عارف استردها ابدا . شخصيتى ضــاعت منى . وقتى مش عــارف انظمه . مجهودى مش قادر

احصره ، وأهم من دا ودا انا مش حاسس بنفسي ف التيـــار الجامد دا • باعمل ميت حاجه ف اليوم ومش لاقي ساعه واحده افكر فيها • انا مش متعود ع الحيـــاه دي • انا كنت ف مصر ساكن ورا الجامعة وكان يفوت عليه بالاسبوعين ما انزلش البلد • أنا لازم أهرب من لندن • أنا لازم أبقي سيد وقتي وسيد ظروفي وسيد نفسي اما ال ايه فايدة الارادة اذا كان الواحد مايستعملهاش ف مواقف زي دي ؟ يلا نروح •

طول السكه ماقلناش حاجه • واحنـــا نازلين ع الســـلم الميكانيكي ف محطة بيكاديلي نزلنا وقفين وشـويه تعبانين • قلت ف عقلي ادى حاجه هاتروح مني لما اسيب لندن • حياتي الجديدة مافهاش سلم ميكانيكي ، ومجرد التفكير ف الموضوع زعلني • تعرف الاطفال ازاي يحبوا البون بون والجيلاتي ، اهو السلم الميكانيكي كان بيديني لذه زي لذة الاطفال من مص البون بون ولحس الآيس كريم • السلم الميكانيكي صحيح من أفراح الحياه ، لكن زي بعضه ، الحياه فيها افراح كتيره تانيه •

أول ما دخلنا الاوده صاحبتنا اترمت ع السرير وقعدت تبكي ••

ـ الله ، الله مش لازم تعملي كدا •

ورحت لها اهون عليها وف قلبي مزيج من الالم والغيظ • أنا كنت متغاظ لانها بتكبر فيَ الحكايه من غير ســبب • قلت لنفسي • « بمنتهى النزاهه والمعقوليـــة احكم • ايه يعني اللي هايحصل لها اذا مشيت انا • ولا حاجه • برضه هاتلاقي واحد تاني زيي أو احسن مني يسليها ويملا فراغها ويسمعها كلمات الحنان • انا مش فاهم ليه هيه بتعمل كدا • » بعد كدا فهمت ان في حياة الانسان أمور النزاهة والمعقولية مابتتدخلش فيها • طبعا أنا كنت عارف كدا طول عمري لكن الحقيقة العظيمة دي غابت عن عقلي ساعتها لان عواطفي كانت بارده ، وما افتكرتهاش غير لما سخنت تاني بعد سنه وزياده • لما لقيت الســـياسه مافهاش فايده مع باميلا جربت أسـلحه تانيه مش مشروعة سبتها راقده ع السرير ومشيت لحد الدفايه واتكيت ع الحاجز بتاعها وعطيتها ضهري وقعدت أفكر • بعد خمس دقايق قلت

بصوت هادي مليان تصميم من غير ما أغير مكاني ووشي ف النار .
ـ باميلا .
ـ ييس دارلنج .
بلعت ريقي . واستمريت من غير لجلجة . أنا لازم أطمئن
ـ انتي فاكره الكلام اللي قلتهولك ف محل اللبن تاني يوم عرفنا بعض ؟
ـ أيوه فاكراه انت قلت الحكومه بتاعتك تفصلك اذا اتجوزت من هنا .
ـ تعرفي ليه انا قلت الكلام دا ؟
ـ طبعا . دا كان تلميح ليه وانا فهمته .
ـ انتي مش تفتكرى ان موقفي سليم ؟
ـ بالتأكيد . في منتهى النبل كمان ..
ـ سيبك من النبل . دا كان مجرد واجب وآنا دايما باعمل الواجب . أنا عمرى ماغشيت حد الا اذا كنت مضطر . طب وما دام انتي عارفه ان فكرة الجواز بره الموضوع خالص يبقى مافيش داعي للعواطف الشديده دى . والا ايه ؟
ـ انا عمرى مافكرت ف الجواز .
اطمأنيت .
ـ امال ازاى تتصورى علاقتنا ف المستقبل .
ماردتش . فهمت اني اسأل اسئلة كتيره سخيفة وفيهـا قسوة على واحدة أعصابها مهدودة .. كان حقي أفهم من نفسي لكن دى مش غلطتي .. دى غلطة الوسط اللي اتربيت فيه لانه مامرنيش ع الاحساسات الدقيقة دى كلها .. السنين ف انجلترا طبعا غيرتني ، بدرجة اني دلوقتي قادر احس بكل المرارة بتاعت الموقف على بعد خمس سنين .. لكن ف الوقت نفسه لازم اعتذر عن نفسي لاني ف الاخر حليت المشكلة بتضحية كبيرة . خطر لي ساعتها ان باميلا ياإما بنت عيله بتروح سينما كتير ومش فاهمة هيه بتقول ايه ، يا اما انها صحيح بتتكلم جد عن شعور جد ف جد ..
وف الحالة التانية دى مش من مصلحتها ان أنا أمشي من لندن ساعتها أو بعد شهر ـ وهي تقعد تنتظر من غير فايده . يوم

تجيلي كامبريدج ويوم اجي لها لندن ٠وبعدكام سنة واناراجع مصر تلاقي نفسها ف نفس الموقف الاولانى ٠٠ وتبتدى تبحث عن صداقة جديدة ٠٠ شيء كتير من الحزم كان لازم ٠٠٠ فلما مانفعش فيها المحاولات قلت ان الطريقة الوحيدة هي انيازعلها منى ٠٠ اقول لها كلام يوريها ان انا شخص اخلاقه ضعيفة وقد كان ٠٠ قلتلها كلام كتير فمنتهى القسوة عليهاوفمنتهى الظلم لنفسى ٠٠ لازم اكون وحش معاها ٠ مافيش غيرالمهندس اللى كان ساكنمعايه ف كامبريدجتراس وعلمنىلعبةالهويست هو اللى كان عارف التفاصيل قلت لها انى ماباحبهاش وداكان صحيح لكن ماكانش ضرورى يتقال ٠٠ قلت لها ان انا عمرى ما اهتميت بها ولا عمرى ها اهتم بيها ف المستقبل ٠ ودا ماكانش صحيح لكن الحكاية نجحت أو تهيألى انها نجحت طبعا أناماأعرفش هيهكانت بتفكرفايه وهيهبتسمع الرصاص نازل عليها منكل حته ٠٠لكن علىأى حال أنا طعنتها فكبريائهاودا كفاية ٠٠أطعنأى واحدكريمفىكبرياؤهتلاقيه يعملكلالحاجات اللىانت مشعاوزهيعملها ٠ولماخلصت كلاملبست الجاكتةوقلت بأسف صحيح ٠٠

ـ أنا لازم أوصلك بيتك دلوقت ٠٠ دلوقت أهو ٠٠

قالت وأهدابها مرخية ٠٠

ـ دى أحسن حاجة قلتها النهاردة ٠

الحمد لله ٠٠ فاتت الزوبعة ٠٠ فاتت ومعاها رجولتى كلها ٠٠ لكن زى بعضه

وقدام باب بيتها بوستها مرتين ٠ ورجعت ارتب عواطفى ٠



كامبريدج من بعيد

فيه حاجات كتير ، ماتقدرش تفهمها الا اذا شفتها من بعيد ٠ بعض صور سيزان مثلا ٠ كنيسة الساكوكير ف باريس ٠ بعض المناظر الطبيعية اللى فيها اختلاف كتير عشان تفهم جمالها لازم ترجع لورانص ميل ٠ الريف المصرى عشان تحس بالفكرة اللى فيه لازم تشوفه من شباك قطر ٠٠ وفيه حاجات زى الهرم متلا مالهاش معنى الا اذا امتحنتها وانت واقف على حجارتها ٠ وفيه حاجات قليله تسحرك من قريب ومن بعيد ٠ كامبريدج واحدة من دول ٠ لكن كامبريدج بقى ماتقدرش تفهم جاذبيتها الحقيقية الا اذا عشت فيها مدة ، وعشت تلميذ ، مش موظف أو سايح أو بقال ٠ هاتعرف بعدين ان الموظف والسايح والبقال مافيش فرق عندهم بين كامبريدج وأى بلد عدد سكانها تمانين ألف ٠ لكن قبل ماأخليك تحب كامبريدج زى ماأنا حبتها هاأخليك تحبها زى ماتحب الاقصر واطلال الرعامسه ٠ دى نعمه كبيره من عند ربنا انى أقدر أستحضر التأثيرات الاولى، لان مافيش ناس كتير يقدروا يفتكروا الشبح بعد مايملاه الجسم ٠

أول يوم رحت كامبريدج ف حياتى كان ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٧ ٠ اليوم ابتدا بضباب وطول ماكنت ف القطر كانت

بتمطر ف كامبريدج زعبالماوصلت البلدلقينها مبلوله وحيطانها بتشر ميه · السماكمان كانت لسه بتنشف نفسها ف الغيوم وكل ما أمشي خطوتين ف شارع المحطة تلسعني نقطة مطر ف خدى أو تديني شعور غريب فشعري أشبه بالزغزغه ·سألت عن تلية الملك دلوني عليها ، والبيوت الحمرا القصيرة عن يميني وعن شمالى بقت حمرا زياده بعد ماغسـلها المطر والمبانى الرمادى زى كلية بمبروك والبوستة العمومية ساح عليها الهباب وانحدر لتحت ·

أنا وصلت الساعة اتناشر وعبال ماهتديت لمستر بيفيس المؤدب بتاع كليتي واتفقت معاه انى أروح أقدم نفسى لمسجل الجامعة كانت المكاتب قفلت · « تعال له بكره الساعة عشرة »، « رايت » · كان فيه مشكلة صغيرة طبعا · أنا جيت بتذكـرة سفر شهرية · أرجع لندن والا أبات ف كامبريدج ؟ قررت أني أبات ، قالو عشان أوفر · رحت حاجز أوده ف بولز هوتيل طلعت بتمانية شلن وستة بنس نوم بس ولما اتعشيت وفطرت الفاتورة وصلت جنيه بالضبط · مش عارف ليه ·

درت ألف طول العصرية وأنا مش فاهم حاجه · دا ايه ودا ايه ، مافيش حد يقول لى من شكل المبانى الكبير والصـغير ، والقديم وابوابراج والاحمر واللى زى القشلاق والمـدور كان واضح عندى ان فيه حاجات كتير عايزة شرح ، لكن مين يشرح · طبعا انت ماتقدرش تلف باستمرار وانت مش فاهم حاجه حتى ف باريس أكتر من تلات ساعات ، وعلى أى حال ماكانش فيه فايده من اللف لان الليل كان دخل والساعه كانت قربت على خمسه · ليل تقيل الساعه خمسه · وف وسط الشتا ليـل تقيل الساعة أربعة ونص · دى انجلترا ، ان كان ماعندكش خبر · ان كنت سمعت عن الليالى البيض ، اسـمع كمان عن الايام السود ·

رجعت الهوتيل واتعشيت ودخنت ف الصـالون ودخلت أنام · شديت الجزمة شد وبعدين افتكرت حاجة مهمة ·افتكرت ان ماعنديش بيجاما · دا ليلتها كان حتة مقلب اتلخمت دقيقتين وبعدين ابتديت أفكر بسرعة قوى · أنام بالفلانلا واللباس يوم ٣٠ نوفمبر وآخد نزلة أونفلونزا والا أجيب بيجـاما من تحت

الارض ؟ لا ياافندم بيجاما من تحت الارض . لكن أنا ماأعرفش جنس حد ف كامبريدج ايه العمل ؟ فلت ف دماغي اسم اتنين مصريين واحد اسمه سيد حسنين وواحد اسمه ابرهيم صفوت . أنا عمري ماقابلتهم انما كان حصل اني قابلت الدكتور يحيى العلايلي وهو بيستعد للرجوع لمصرف النادي المصري الملكي بتاع لندن بعدها خلص دراسته في كامبريدج ، ولما عرف اني رايح كامبريدج عطاني عنوان الاتنين دول وقال أزورهم عشان يساعدوني . عصرت ذاكرتي عصر وف النهاية . افتكرت واحد بس . أنا مش عارف ازاي افتكرته وأنا ذاكرتي نيله . أنا متأكد ان ف الظروف العادية كان مستحيل اني أفتكره ، لكن الروص ريصه ياحبيبي تفوق أنيل ذاكره . ماصدقت العنوان ضرب في مخي رحت لابس الجزمه ونازل جري وأنا باأقول لنفسي ٦ شارع سانت لوك ، شارع سانت لوك ، خايف أحسن أنساها وماصدقت دخلت ف تاكسي رحت زاعق ف السواق . ٦ شارع سانت لوك من فضلك ، واتنفست الصعداء .

الموقف كان من أبوخ مايمكن . اتصور واحد ماتعرفوش تخبط عليه الساعة تسعة بالليل عشان تستلف منه بيجاما . عمرها ماحصلت دي . أنا نزلت ف الشارع الضلمه كانت ضلمه طبيعية مش ضلمة غارات ــ ونبهت ع التاكسي يستنى ودخلت أحسس من لبوابة الحديد القصيره بتاعت الجنينه اللي خبطني آخرها لفوقاني في بطني مرتين . وف مكان الجرس حسست كمان قام طلعت لي مره وسألتني بمنتهى الجفاف .

ــ عاوز ايه .

ــ عاوز مستر حسنين اذا كان ساكن هنا .

ــ أدخل .

وشاورت ع الباب بتاع أودته عند سفح السلم الخشب . خبطت وأنا خايف ومكسوف .

ــ أدخل .

شفت شاب أسمر صغير زي البليه . برضه لحد دلوقت خفت مايطلعش هو ويطلع تلميذ هندي والا حاجه . سألته بالانجليزي .

ــ انت مستر حسنين .

ـ أيوه ٠

ـ أنا اسمي عوض ٠ أنا مصرى وهاادخل كامبريدج بعد شهر ، حصل لى فصل باردالنهارده ، كنت بااعمل مقابلات مع سلطات بتاعت الجامعه ومضطرأبات لبكره ٠ الفصل البارد هو انى ماعنديش بيجاما ٠ تقدر تسلفنى واحدة ؟ أنا العلايلى هو اللى عطانى عنوانك وقال انك تقدر تساعدنى ٠

كل الحاجات دى اتقالت بالانجليزى وباضطراب شديد ٠ زى ماتقول ان كل كلمة أقولها زيادة كان الغرض منها انى أزيل شكوكه ٠ وهو من ناحيته ماقالش كلمة واحدة تشجع قام لبخنى زياده ٠ واحد زيى ف موقف زى دا كان عايزابتسامة أو كلمة اتفضل أو خد سيجارة تضيع لخمته لكن صاحبنا ماعملش حاجه من دا كله ٠ كان رسمى خالص معايا ودخل ف الموضوع على طول ٠

ـ أنا ماعنديش بيجامات شتوى ٠ كلها ف الغسيل ٠ اذا كنت تقبل بيجاما صيفى أقدر أسلفك واحده ٠

ـ أنا ممنون خالص ٠ بكره أول حاجه أعملها أرجعهالك ٠

ـ معلهش ٠

أخدت البيجاماوشكرته وكنت ف التاكسى ف لحظة والازمة فاتت ، نمت ليلتها نوم مش بطال ٠

وتانى يوم الصبح عملت كل الزيارات الرسمية وحوالى الضهر لقيت نفسى فاضى رحت شارع سانت لوك بالبيجاما لقيت صاحبنا ومعاه واحد تانى حجمه قده مرتين حسنين قال ٠

ـ دا عوض ٠ دا بدر الدين ٠

ـ اتشرفنا ياافندم ٠ اتشرفنا ياافندم ٠

بعد خمس دقايق كنت ف الشارع تانى لكن معايه بدرالدين ٠ بدر الدين كان لطيف قوى ومشانى على كوبرى الشلال ، وقعد يشرح لى طول الوقت الحاجات اللى بتحصل ف البلد ٠ لكن لسوء الحظ كان لازم أسيبه وارجع لندن ، عشان كده مالحقتش أتفرج على حاجة ٠

دى كانت أول زيارة لكامبريدج ، وكانت مليانه مطر ومفاجآت لكن جابت نتيجة ودا كان عزاء ٠ طول ماكنت ف لندن كنت

باسمع حكايات غريبه عن كامبريدج • اللى يقول لى دى بلد السلفلس واللى يقول لى دى بلد الغراميات اللى مش مكتوبه واللى يقول لى دى « زبدة المجتمع » ، يعنى فيها أحسن طبقه ف انجلترا ،واللى يقول لى دى هيه أكبر حاجة مسئولة عن تأخر الانجليز السياسى • كل الحاجات دى ماتقدرش تحققها غير لما تعيش ف البلد لكن أنا ساعتها كان مالى مخى حاجات مالهاش دعوى بكل دا • كنت باأفكر ف الحوارى الضيقة الملفلفة اللى مافهمتش معناها غير بعدين • كنت باافكر ف الحيطان اللى غسلها المطر والتلامذة اللى راكبين بسكلتات ولابسين روبات طايره ف الهوا • وكوفيات طويلة طويله صبغتها زاهية وعلى كل لون • كنت بافكر ف الحرب الاهلية بتاعت انجلترا وازاى كامبرديج نصرت كرومويل – والجمهوريين بينما اكسفورد نصرت شارل الاول والملكيين • فكرت ف البرولوج بتاع « ابراهام لنكولن » بتاع مستر درنك وتر • مستر ديفيز كمان فكرت فيه ومستر حسنين وتذكرة الرجوع اللى ضاعت منى ف اللوكانده والكلام اللى هاأقوله لمكتب البعثات ولباميلا • كل دا فكرت فيه ف القطر • لكن من الحاجات اللى شفتها ماكانش عندى شك انى كنت على حافة اختبار غامض كبير يمكن يتناول حياتى كلها بالتغيير •

خلى الاختبار الغامض على جنب دلوقت ، وخلينا ف الامور اللى تقدر تفهمها من بعيد • أنا حتى دلوقت مش عارف أكتب بأنهى أسلوب • اذا قلت لك دخلت متحف فنزويلم ولقيت كيت وكيت ابقى زى الرحالة محمد ثابت ويبقى أحسن لك ميت مرة انك تقرا الكتاب الازرق بتاع السواح • وان قلت الحقيقة اللى ف قلبى هاسمعك دق النواقيس وأرسم لك الابراج اللى سكنت صدرى وملته بالاحلام • وبعدها تقول الاحلام أحلامك واحنا هنا راضيين • اهتم بالتعبير ، اهتم بالتأثير ، اهتم بالرمز والايحاء مش عارف أعمل يه أهى دى خواطر بتجول ف رأسى وباحبسها ف الالفاظ •

كامبريدج أول ماشفتها من بعيد هى كامبريدج زى ماأنا شايفها دلوقت من بعيد مش ف التفاصيل لكن ف الجو والابعاد

والظل والالوان • بيني وبينها بحرين لكن لسه فاكر التلج اللى قعد فيها تلات سنين والصحو اللى قعد فيها تلات سنين ، والكنايس اللىماغيرتش مكانهاسنينوسنين • القلب مايعرفش مأساة الفصول ولا الروتين بتاع الهدم والبنا ف الكون •كنت أمشي ورا الكليات وأغرز جزمتي لحد الشراب ف أرض يناير البيضا وأسيب ورايا أثر محفور طويل زى نصالمسافة منهنا للأفق وأشوفالصنوبر بعدالصنوبر وكلشويه شجرةداردار كلهم طارحين ورق أبيض ماعكروش حتى خيال الغيم •وأكتب ف عقلى جواب لمستر فرنس أشرح فيه له الحاجات اللى شافها كيتس فهامستيد هيت شفتها آنا عند باب مكتبة الجامعة • وأفكر ف نينيدقيقتين وف الماضي وفالامل أبص ألاقى أوراق قلبي اللى كانت بتقع واحدة واحدة ع التلج الناصع اخضرت وثبتت فيها براعم الحب والحياه ، وأبقى عامل زى الروضه بين القبور أو ألواحه ف صحراء الوجود • ومن قلبى يبتسمالربيع ويشع الرضا والحنان على الطبيعة المسجاد ف التلج المغزول، أحس أن أناالحى اللى بيوهبغيره الحياةوتحت عينى ألاقى معانى الشر والموت والقسوةوالوحدة اللى بتتصاعدمن الغيطان الجرداء ألاقيها تتحول احيانا تابلوهات حقيقية ونسبوألوان فانتظار الشاعر والرسام ، وأحيانا تتحول الارض وما عليها لكنيسة معلقة وديعة مليانه بتفاؤل بتصلىواجرام السماء لاهية واسمع لجرس البرد بيرتل « أوندى فرويده » تسبيحة المعرفة الكاملة والامتنان •

لأ • القلب مالوش دعوى بالفصول •

أدخلكنيسةالملك يوم عيد ميلادالمسيح ، مش عشان أصلى لكن عشانأدرس العماره القوطية بتاعت البنيان • أقفمؤدب مع الواقفين وعيني دايره تجول • أتأمل السقف المسنود على بواكى مكسورة أساسها جى من بره وما أشـوفش غـير نقط اتصالها من جوه ابتدى اتهز • أشوف الكنيسة طـويلة قوى وعاليه قوى تملانى الرهبه • ولوكان السقف سانداه عواميد كان بدالىسقف معبد وثنى بتاعاله خلقهضيق ويحبالانتقام، لكن الفراغ الكامل بينالست حيطان- والاطوال اللىمشمعقولة

اكدوا ف نفسى الخشوع . «حسيت» ازاى الفن القوطى العمودى
فن مسيحى واتأملت علاقة الفن بالحياة . مين يقدر يصلى للمسيح
ويعبد ربنا ع الفكره المسيحية ف البارثنون الجميل المشرق بين
الاعمدة الكورنتية والخطوط الواضحة المتساوية المتوازنة والا
ف كنيسة المادلين بتاعت باريس ؟ دى معابد توحى بالمعقولية
والتأمل الواضح والاتزان ودى مش روح المسيح . روح المسيح
موجودة ف الحب اللى احنا بنكره بعض عشان ننشره وف السلام
اللى احنا بنقتل بعض عشان نوطد أركانه وف التجرد وف عذاب
الجسم وهو بيدمى تحت سياط الارادة عشان يدبل وتتحد
هيه بالوجود . دى مثل عاليا عاليه زى السقف العالى اللى كله
اقباء مش كامله . وف وسط ماأنا بااسمع صوت الارغن الغليظ
اللى حرك ف نفسى الخوف بالتدريج واسمع كوراس الاطفال
يرد عليه ف نفس واحد ، أصوات ، ناعمة صافية زى الاجراس
الفضية ، أهدابى وقعت ع القزاز الملون ف الشبابيك والضوء
المكبوت اللى جى من بره خلى كل واحد موجود ف النور المخنوق
اللى جوه يشوف صور القديسين والقديسات منقوشة بالاحمر
والازرق والاصفر والاخضر وشبابيك الكنيسة من غير انسجام .

الفن القوطى جسد لى آلام المسيح .

وطلعت من الكنيسة لقيت كفن التلج منشـــور على وش
البسيطة ، وكفن التلج جسد لى آلام الطبيعة .

ومشيت شويه وبصيت ورايا لقيت الكنيسة من بره بأبراجها
الخرافية الكثيرة المصفوفة ع الجنبين مش زى الحلوفة المقلوبة
زى ماوصفها راسكين . لقيت الابراج زى الافكار القديمة القاتمة
الكثيرة اللى لسه ماأخدتش شكل ولا هيئة . والابراج الخرافية
جسدت لى آلام الفنان ..

فيه حاجات كتيره ف كامبريدج تخليها قـــرية من القرى
الوسطى . إقرا شعر توماس جراى تلاقى فيه أوصاف كتيره
تنطبق على كامبريدج . لكن اللى أهم من دا انك منين ماتروح
فى البلد تلاقى صحايف التاريخ زى مابيسموها مبسوطة قدام
عنيك وشـواهد البطولة بارزه ف كل مكان . دى كلية مبنية
ف القرن الرابع عشر ودول ف الخامس عشر ودول ف عصر أسرة

تيدور وهكذا · تدخل كلية ترينيتي تلاقي مـربع ورا مربع ، وتلاقي بواكي قديمة حوالين المربع وأرضية اذا مشيت عليها ترن ويرجع لك الصدى من عمرها القـــديم · يقولوا لك · هنانيوتن كان يقف ف طرف تربيعه ويضرب الارض برجله ويقيس المدةبين الصوت والصدى · نيوتن السرحان اللى أستاذه حسبه غبى وقال له روح لأمك ياشاطر اكتشف الجاذبيةورجع أستاذ ف كليته اللى اتبرأت منه · وقبل ماتخـرج من الباب تلاقي كنيسة ع الشمال · تخش الكنيسة تلاقي نيوتن نفسه مصبوب ف رخام · تبص له زى ماكان ورد زورث بيبـص له آدى ميه وخمسين سنة من شباك أودته ف كلية سانت جون·

وتلاقي لورد تنيسون قاعد جنبه من ناحية ملبسينه صندل روماني وتوينكا رومانية ودقنه الغزيرة بتقطر شعر ومعاني وتلاقي مكسويل وهيوليت قاعدين جنبه من الناحية التانيــة ف تواضع شديد · دخلت كلية سانت جون لقيت واحد صاحبى ساكن ف نفس الاوده اللى كان ساكن فيها وردزورث · ياريتني كنت محله · تخش لجوه شويه تلاقي قنطرة مبنية ومسقوفة على شكل قوص تعدى عليها للتلت الوراني من الكلية أو تقف عليها تشوف نهر الكام ينساب تحتها زى الترعة الابراهيمية · دى قنطرة التنهدات بيسموها ، وان سألت بيسموها كده ليه يحكولك أسطورة جميلة عن لورد كان تلميذ ف سانت جـون وحب واحده متجوزة أو من العوام مش فاكر حب عنيف ومن يأسهم كانوا يتقابلوا ع الكوبرى داويتنهدوا على غرامهم العقيم· الحكاية أصلها بكل بساطة ان قنطرة التنهدات بتاعت كامبريدج اتبنت على نمط البونشي دى سوسبيرى ، يعني قنطرة التنهدات بتاعت البندقية ، قام أخدت اسمها · أول مارحت جديد الاسم جذبني لدرجة انى كنت أروح هناك كل يوم وأتنهد ، مش على غرام ضايع لكن ع الحاضر اللى هايبقى ماضى والنعمة اللى ها اطلع منها بعد أربع سنين · ياما كنت أقف على قنطرة التنهـدات وأسيب بصرى يجمع صورالنهر الملفف والكبارى اللى محنية عليه كنت أتأمل وأتأمل ف كوبرى كلية فلير عشان بس أكتشف ليه أصحابى الانجليز كانوا هايتجننوا بيه ، مافيش فايده · وف سرى كنت ألعن سير كريستوفرن اللى بنى كاتدرائية سانت

بول قام الناس بتشوفها معكوسة ف بقية اثاره وكباريه ، اللى يسوى منها واللى مايسواش ولما تطلع زهرة الكروتاس كنت أقف على قنطرة التنهدات وأتفرج ع التلامذة ف القوارب عريانين بيزقوا المدرة والبنات بتوعهم راقدين فيها مسلطحين بيقروا رواية أو بيحلموا باللى هايعملوه لما النهر يرميهم بره البلد خالص عند مرابط العشاق . أشوف كدا واتحسر ع النيل وخيمة الحداد المضروبة عليه ف الشتا وف الصيف .

أروح حته يقولوا لى دى شجرة التوت بتاعت ملتون ، امشى بحذا الكام يمة كلا يهايذ يقولوا انت ماشي ف سكة ملتون و . آ . ا ، هاوسمان اللى اتفسحوا فيها ونظموا القريض . أوصل كلايهايذ الاف البر المشهور اللى فات عليه جــون جلبن اللى ف قصيدة وليم كوبر ، أخش أشرب لى شوبين بيره للذكرى وأطلع أدفع بنس ضريبة مخصوص عشان أمشى ع الكوبرى اللى نط من عليه جون جلبن بحصانه عشان مايدفعش البنس اللى أنا دفعته ، أقوم أشيل ف جيبى التذكرة الزرقا اللى الحارس عطاها لى مقابل البنس واحتفظ بيها لحد دلوقت . كــل دى تفاصيل يمكن مالهاش معنى عندك ، انما عنــدى أنا هى مادة الماضى . أمشى بحذا الكام ف الاتجاه المضاد لحد جوانشستر الاقى بركة بيرون وبيت روبرت جروب والناس يدلونى ع المكان اللى كانت فيه طاحونة شوسر وافتكر روايته القبيحة «حكايات كانتربرى » اللى تلامذة كامبريدج الاشقياء كانوا بيرحوا بالليل يناموا مع مراة الطحان ويرجعوا قبل وش الفجر يتســللوا ف كلياتهم . الكلام ده خد بالك كان ف القرن الرابع عشر . امشى ف الشارع اللى بيغير اسمه كل خطوتين اسمع حيطان الكليات قاعدة تهمس وتكايد بعض :

بيتر هاوس : أنا أقدم كلية . أنا طلعت الشاعر جراى .

كلية كوريوس : أنا طلعت سبنسر ودرايدن .

كليــة كنجز : أنا أشطر كلية . أنا أخت ايتون . أناطلعت ادموند وللروبرت والبول و أ . أ . هـ و سمان .
أنا عندى أحسن أساتذة الآداب والاقتصاد .

كليــة ترينتى : أنا أشرف كلية . أنا طلعت نيوتن وماكولى وتنيسون وماكسويل وترمسون وفريزر .

أنا عندي مخطوطات ملتون وتنسيون •
كلية سان جون: أنا أذكى كليـــة • أنا طلعت وردزورث وبيرون • أنا عندى أحسن أساتذة فـ الرياضة
كليـــة مودلين :أنا أغنى كلية • أنا طلعت دكتو رريتشاردز واوجدين ووليم امبسون •
كليـــة جيزاس : أنا أشطر كلية ف الالعـاب • أنا دايما أكسب سباق القوارب •

كلية كرايستس : أنا طلعت ملتون وداروين ودا كفايه على•

اذا كنت عاوز لسته أوفى من دى شوف كتاب لاوجستين بيريل اسمه « أوبيترديكتا » • اهو طـول ما انت ماشى لازم فيه حاجة عاوزه تقول لك حاجه • بس اللى عنده ودن يسمع • أنا باكتب الكلام دا جنب القلعـة لزق • فيه جنب القلعة لزق درب اسمه درب اللبانة ساكنين فيه شوية فنانين أو على الاصح فاتحين فيه ستوديوهات • وكل ماأرفع عينى وأنا ف ستوديو ، مسيس يونان ألاقى القبة الكبيرة بتاع جامع ماأعرفش اسمه عليها نقوشات زى نقوشات اللى على أكتاف القواصين بتــوع السفارات والحجاب المهمين • وتحت القبة مخطوطات على شكل البنور اللى لما تبص فيه للشمس تشوف ألوان الطيف بس دول هى مخطوطين ف الحجر ، الفنانين ف كل الدنيا زى بعض ، يدوروا على أقدم حته ف البلد يسكنوا فيها والحاجة ماتبقاش « بيتوريسك » عندهم الا اذا كانت مهدمة أو لحسها الزمن • أنا كمان عشان مصاحب فنانين باعمل زيهم • الماضى هو البرج العاجى اللى الفنان يهرب له كل مايقرف من الحاضر ، مش لان الماضى فعلا جميل أو خالى من الاحزان لكن لان البعـد بيطمس البشاعة ويزيد الغموض والنفس الشاعرة تحب الغموض لان الغموض بيكتر المعانى • شوف الذاكرة بتشتغل ازاى تفهـم الفنان • من طبيعة الذاكرة انها تنسى بسرعة ســاعات الالم وتفتكر الاختبار الجميل • عشان كدا احنا بنتحمل الحياة • لو كان الانسان بيفتكر بوضوح المواقف العصيبة اللى مالهاش عدد ف حياته كان كل واحد انتحر • والحياة عدو الموت ، واحنـا أحياء • دا عن الماضى • أما عن المستقبل فحكمه حكم الماضى • اذا كان الانسان بيشوف بوضوح المتاعب المكتوبة ف سـفر

الغيوب برضه كان كل واحد انتحر . هو الوتر الاخير ف القيثارة اللى ف صورة واطس عن «الامل» ، هو اللى بنسمعه ، وطول مابنسمعه أدحنا عايشين . واللى مابنسمعوش بالنسبة لنا مش موجود . والرحمة للناس اللى سامعين انهم مش سامعين بقية الأوتار ، والويل للناس اللى عارفين انها اتقطعت من زمان . كل واحد فينا بيحن للماضى ، وعشان كدا تلاقى كل واحد فينا على رأى هوراس ..

يعنى يقول لك « الجيل دا فسدان . دا احنا ف أيامنا كنا نعمل ونعمل » دا منطق الخيال مش منطق العقل والفنان اللى خياله شديدزى روسو اخترع أن فجر الانسانية كان عصر ذهبى كله حلاوة ونور بعبارة ماثيوارنولد ، واخترع أسطورة ان الانسان الاول كان « همجى نبيل » . التمرد ع الحاضر والحنين للماضى مافيش شك انهم احيانا معقولين لهم فايدة لكن ف أحوال كتيرة بيبقى مالهمش مناسبة ومجرد عاطفة شعرية أنا أفضل التمرد ع الحاضر والامل ف المستقبل ..

كل واحد متضايق من عصره وبيقول انه عصر مادى وحش وان العصور اللى سبقته كانت أحسن منه . واللى يسأل أى أى واحد عايش دلوقتى برضه يقول نفس الكلام . التشاؤم قديم من أيام امباذ وقليس والمسيح . دا يوريلك ازاى الحكم دا حكم عاطفى . اللى حاصل هو أن الروح الحساسة بتكون تعبانه ف كل عصر لان فيها بذرة نظام مش موجود ولازم يتوجد . والماضى دايما بيسحر الارواح المتمردة لانه ملفوف ف هاله من السكون البعيد وغموض اللى يملاه بالمعانى . على العموم مجرد ان تفاصيله المؤلمة مش معروفة دا كفاية انه يديله مسحة جمال .

كامبردج دلوقتى جميلة لان حواليها هالة غموض ، لانها باينه لى على البعد زى قرية قديمة داكنة منسية فيها أجراس ، لانى شايف الاقباء بتاعت كلية ترينتى ساكنة ومهجورة وسيرجيمس فريزر بيديها نظرة وداع زى ماتقول صورة « الغزلة » بتاعت جورجيو كيريكو . دى كامبردج صحيح لكن مش كل كامبردج .. الاجراس نفسها اللى بتناديني دلوقت من ورا البحور كانت

يوم من الايام بتقلق مزاجي ، لما تجي كلها ف مناسبة واحدة تضرب مرة واحدة ، تضرب على طول ، تضرب ف كل مكان ومافيش عنها نجاه . وأمواج الكام الصغير اللي دلوقتي بتغني فـودني هللويا كانت أحيانا بتقفل نفسي عن الوجود ، نفسي اللي عايزه موج المحيط واللاحدود . والجمال المتجدد دا ، أن كان ف الطبيعة أو ف العمارة أو ف صحبة الاحياء أو ف الحلم بالماضي ، الجمال دا ياما انطمس قدامي وأنا هناك . مش انطمس صحيح لكن خلص بعد تلات سنين زى ماتقول راجل عرف كل خط وكل قوس وكل نسبة ف جسم مراته قام رمى توبه على كتفه وخرج يدور على خطوط جديدة . البطر . لولا البطـر ماكناش نبقى بني آدمين . دا احساس بودلير واحساسي أنا كمان . كـل الحاجات دي اللي جابت لي الملل وقتها هايجي . خلينا شوية مع بعض ف الجمال المنسوخ والجمال البعيد والصـورة اللي مش عارف هاتبقى مادة تاني والا لأ . خلينـا واقفـين تحت الشلال مبلولين بنبص للكام الدافق ونسمع السحب بتتمزق ونخاف زى الانسان الاول ونعمل شعر .

وف نهاية الاسبوع ناخد غدانا ونسوف لحد كتادرائية ايلي ونتمشى ف دهاليزها النورماندية ونفتكر الفرسان والاساقفة ومعارك النبال وتاريخ الصليب .

حتى البنات اللي مخهم مافهوش فكرة واحدة مهمة وريحتهم سمك وبطاطس اللي قابلناهم ف مرقص الرانديفو ورقصنا معاهم تلات سنين وماكلفوناش حتى تمن عشوة نضيفة ، دول باينين ع البعد زى سمك ف تيار الحياة الحقيقي ، وريحتهم مش أوحش من زيوت الشعر اللي ف خصل أسيادهم ، ومخهم مافهـوش فكرة واحدة مش مهمة زى مخنا ، احنا اللي خرجنا من تيار الحياة وقعدنا ع الشط بشبك مقطوع .

تروس الآلة

المؤدب بتاع كلية الملك ، مستر رونالد بيفس، كان ف الجناح بتاعه ف الكلية ساعة مادخلت يوم ٤ ديسمبر ١٩٣٧ . سمين شويه وله كرش ملحوظ والواحه عريضة وبيدرس أدب فرنساوى أنا عمرى ماحضرت له محاضرة لكن من المحادثات الكتيرة القصيرة معاه عرفت بعدين انه بيفهم ف شغله كويس . على العموم كان فيه حاجة واحدة على الاقل مشتركة بينه وبين الفرنساويين . صفة المرح . كان شخص مرح وسمين ومليان عطف أدبى . سألنى عن دخلى الشهرى وظروفى عشان يعرف أنا أقدر أسكن بكام وعطانى عنوان بيت أسكن فيه طول أجازة الكريسماس وعنوان بيت تانى أسكنه من يناير على طـــول ان حبيت . قلت له ..

- الاستاذ بتاعي ف مصر ، مستر فرنس ، قال لى انه أحسن لى أن أسكن ف الكلية لو أمكن .

الراجل فكر شوية وبعدين قال بكل بساطه .

- مادام كدا ، أناها حاول ف المستقبل ، يعني بعدين قوى أشوف لِك أوده جوه الكلية . دا ضد السياسة بتاعتنا لكن

مادام المستر فيرنس شايف كدا أنا هااجتهد ·
خفت شويه من كلمته · يعنى ضد السياسة بتاعتنا ؟ خطر لى انه عشان أنا مصرى يقوموا يسكنونى فى بيت بره الكلية· الواحد لما يكون أجنبى ف بلد يبقى راسه مليانه شكوك ·ولما يكون مصرى فانجلترا بتبقى الشكوك ماليه كل تصرفاته ولما يكون مصرى غامق زى حالاتى يبقى طول الوقت ماشى مرجوف· قصدى المدة الاولانية طبعا · يعنى طول ماهو حاسس انه دخيل· بلعت ريقى وسألته :

ـ انتو سياستكو ماتسكنوش « أجانب » جوه الكلية ؟·
مستر بيفيز ماضحكش قام رجفنى زيادة ، وكانت ثوانى قليلة عرقت فيها تمام وانا منتظـــر الرد الـرهيب « ايوه » والاعتذار الشكلى اللى بيجى عادة بعدها عشان يخفف الصدمة فتح بقه وقال :

ـ لأ ، احنا عادة بنحجز اود الكلية للتلامذة اللى جايين من ثانوى جديد عشان دول سنهم صغير وعاوزين رقابة اكتر ·· اما التلامذة اللى متخرجين وقاعدين للبحث فدول بنسكنهم ف بيوت مرخصه زى البيوت اللى انت هاتسكن فيها ··على فكره خد آدى نسخه من قانون الكلية وآدى نسخه من قانون الجامعة اقــراهم كويس قــوى من فضـــلك وحاول انك ماتكسرش اللوايح ··

اخدت الكتابين وحصل ف قلبى رعبة · برضه الناس دول مش بطالين زى ماكنت فاكر ··
ـ أنا انبسطت خالص اللى عرفتك ياعوض·· اذا كنت تحتاج لاى حاجة بس تعال لى · انا هنا من خمسة لسبعة كل يوم الا يوم الحد ·· مع السلامة ·· وابقى تانى مــره تجى ابقى تعال لابس الروب ومعاك الكاب ··
ـ جود باى سير
من كتر ما انا مستعجل على قراية اللوايح مشينت اقرا ف السكة واتهيأ لى ان الكتب اللى ف ايدى دى مفتاح الوجـــود الجديد ·· حتى بدل ماأروح أدور ع البيت اللى ها أنام فيــه رحت قهوة قدام الكلية لطع عشــان ادرس اللــوايح لقيت

نفسى قدام عده كبيرة غريبة جديدة على قديمه ف عمرها ٠٠ وابتديت افك تروسها وامتحنها واحد واحد ٠٠

عرفت انى لازم اطلع من القهوة اشترى لى روب مخصوص وكاب ، وان ما أدخلش من غيرهم ع المؤدب أو العميد أو الاستاذ المشرف على أو اى واحد له صفه رسمية أو المحاضرة أو مكتبة الجامعة أو كنيسة الكلية ٠٠ عرفت انى لازم البسهم ف الشارع وف القهوة وفى كل حتة أول الشمس ماتغيبوانى اذا مالبستهمش وانظبطت ادفع غرامة كل مره حوالى تلاتاشر شلن عن الروب وتلاتاشر عن الكاب ٠ (التلامذه اللى مش متخرجين يدفعوا نص المبلغ دا) ٠ كمان عرفت ان كل كلية ليها بيوت مرخصه يسكنوا فيها التلامذة اللى مافيش محل ليهم ف الكلية وأن البيوت دى خاضعة لكل القوانين بتاعت الكلية ، وانى لازم اسكن ف بيت مرخص وماطلعش من بيتى بعد عشرة مساء ومأرجعلوش بعد نص الليل ومأدخلش واحد صاحبى ف بيتى بعد عشرة وماسمحلوش يقعد بعد اتناشر وماخليش واحده صاحبتى ف بيتى بعد عشره ــ الا طبعا اذا الواحد اخد تصريح من المؤدب ، والمؤدب مابيديش تصريحات علولا ، لازم يكون فيه سبب معقول ٠٠ كمان عرفت ان صاحبة البيت لازم تقفل الباب الساعة عشرة بالدقيقة وكل دقيقة اتأخرها بره بعد كدا لازم تبعتها ف كشف اسبوعى للمؤدب وف الكشف ملاحظات انى دخلت بلبس الجامعة ولا من غير لبس الجامعة ٠٠ كمان قريت ف التعليمات ان التلامذه لازم يباتوا ف كامبردج تلات فصول ف السنة وكل فصل تمان أسابيع ومايسيبوش البلد الا باذن من المؤدب وان نسيوا يمضوا اسمهم فى الكلية لما يبتدى الفصل الدراسى يضيع عليهم الفصل كله ٠٠ غير كدا كل واحد لازم يتعشى ست مرات ف الاسبوع مع بقية التلامذة ف صالة كليته ، ولازم يختار له أستاذ يشرف عليه فى الدروس ولازم يسيب البلد مدة الاجازات مادام ماعندوش ترخيص بالقعاد ولازم يحلف انه يحترم قوانين الجامعة ولازم مايروحش البارات المتنوعة ولازم يزور المؤدب بتاعه أول مايجى من الاجازة عشان يسلم عليه ولما يجى نازل الاجازة لازم كمان يزوره عشان يقول له مع السلامة ٠٠ الواحد كمان لازم يحى المفتشين بتوع الجامعة اللى بيزبطوا التلامذة اذاقابلهم

ف الشارع ولازم وهاقول لك ايه واسيب لك ايه ‥ سلسلة ماتنتهيش من القيود ‥

ودا مش كل حاجة ‥ بعدما قعدت مده كافيـة عرفت أن القيود نفسها نوعين ‥ نوع مكتوب زى اللى قلت لك عليـه ونوع محفوظ ومتوارث بالتقاليد ‥ وقع ف ايدى كتاب ‥ مش رسمى طبعا ، اسمه « ما تعملش » كله نصايح للتلامـذه الجداد على الحاجات اللى مش لازم يعملوها ‥ كتاب يضـحك صحيح ‥ مثلا يقول لك ماتبصبص لبنت صاحبة البيت اللى أنت فيه انما بصبص لبنت الجيران ‥

أوماتسرقش بسكليتات التلامذة الفلانيين واسرق بسكليتات التلامذة الفلانيين ‥

وف وسط ما أنا باقلب اللوايح الرسـمية لقيت حـكاية ألطف من دا كله ‥ لقيت بند بيقول انه لايجوز لغير المتخرجين انهم يلعبوا بلى على سلالم ادارة الجامعة ‥ طبعا اللى يعرف الانجليز كويس يعرف ان المسألة لازم كان ليها مناسبة فى تاريخ الجامعة . بعد كدا عرفت أن الدستور الانجليزى يبيح للملك انجلترا انه يبيع الاسطول الانجليزى ويسرح الجيش وانه يفتح كل السجون ويطلع كل المساجين ويتصرف ف مقاطعة ويلز زى ماهو عاوز يديها لواحد أو يبيعها على كيفه لانها ملكه الشخصى ، لكـن مايسمحلوش يدخن سيجارة ف الحفلات الرسمية . بعـد كدا عرفت ان ملك الانجليز لازم يحلف ف اليمين انه يضطهد الكاتوليك ويدبحهم منين مايروحوا . بعد كدا عرفت ان مافيش نقابة غير نقابة الصياغ ف لندن ليها الحق انها تعـوم بط ف نهر التيمس ‥ بعد كدا عرفت ان رئيس الوزارة ف انجلترا مااعترفوش بيه رسمى وأعطوا له مرتب الا سنة ١٩٣٧ . . بعد كدا عرفت ان الشعب اللى انا عايش ف وسطه شعب معقد عايز مده طويلة وانتباه شديد عشان الواحد يفهمه ⋯ ويوم مافهمته بطلت اضحك ع التقليد اللى بيسمح للمتخرجين بس انهم يلعبوا بلى على سلالم ادارة الجامعة ‥

طلعت من القهوة على ترزى اشترى عدة الشـغل ، لقيت المسألة مش بسيطة زى ما كنت باتصور فهمـت فيه انواع كتيره من الروبات ،. الطويل والقصير وابوشرايط زى الشاويشيه

وابو شراريب والمكشكش من ورا والاحمر وابو درعات مقفولة وابو دراعات مفتوحة ، اضطريت اقول للترزى :

ـ طب استنى لما أسأل المؤدب وارجع لك ..

ـ انا اعرف كل حاجة ، بس انت قول لى انت ايه ..

حكيت له كل حاجة عن كليتى والدرجة بتاعتى والدرجةاللى باشتغل لها ، قام بسرعة دخل وجاب لى اللبس المناسب .. وقبل مايأخد الفلوس قال لى ..

ـ مش لازم لك كوفية ياسيدى ؟

ـ كوفية بتاعت ايه ..

ـ هنا كل كلية ليها الوان مخصوصة وفيه كوفيات عليها الوان الكليات دى مثلا كوفية كليتك .

ورا ح ساحب لك كوفيه مقلمة ابيض على بنفسجى طولها متر ونص بالضبط أول ماشفتها فرحت ..

ـ ودى تطلع بكام ؟

ـ سبعة شلن وستة بنس .

يا بلاش . يعنى اول ما اطلع من عند الترزى ها ابقى زيى زى الاولاد اللى شفتهم راكبين بسكليتات وكوفياتهم طايرة فى الهوا بعد كدا عرفت ان فيه الف حاجة كمان عليها الـوان الكلية وشارة الكلية من علبة السجاير الجلد لورق الجوابات لزراير القمصان لجاكتات الصيف .. حمى الشرا راحت وابتديت افكر بعقل ..

الست اللى سكنت عندها الاول ـ مسز ميرسر ـ ف شارع نيونان ، كانت ولية طيبة وشكلها وحش وطولى مره ونص . جوزها كان اعمى وكان طول النهار بيشتغل ف الورق البارز دا بتاع العميان ، وفهمت منها انه بيكسب كتير من الشغلةدى لانه بينقل كتب للناس المساكين اللى زيه . لما مسز ميرسر عرفت انى مصرى انبسطت قوى وقالت لى انها عاشت مدة طويلة ف مصر هى وجوزها أيام ماهو كان سايس ف جيش الاحتلال وهيه كانت وصيفه عند مرات واحد من القواد ..

الراجل كان يجى عندى الاوده كتير ويدردش عن مصر سنة ١٩ . وصف لى الثورة والتلامذة والاغتيالات وقال لى انه عمى بسبب ضربه ف مظاهره من المظاهرات . ف الواقع ماعرفش احدد شعورى ازاى . بالتأكيد انا تألمت له شوية .. طيب

واهلي اللي قتلهم ؟ وازاى اقبل اسكن عند واحد كان يوم من الايام يركع ف الشوارع ووراكسين رمل ويفتح المترليوز على اهل بلدى ويحصدهم بالمليات .. طبعا هوه مالوش ذنب لانه كان بينفذ اوامر ، ولو كانوا قالوا له امسك كل مصرى تقابله ف السكة وبوسه ع الخدين كان برضه عمل كدا .. الحقيقة امتعضت من المؤدب بتاعى لانه عارف كل حاجة ومع ذلك بعتنى عنده ، لكن مافكرتش كتير ف الموضوع وقلت غالبا مصادفة أو اضطرارا أو مايعرفش أو الراجل نسى ..

كان ليهم بنت اسمها جون لسه بتروح المدرسة ، تديها تمنتاشر سنة وهى اربعتاشر .. نوبه جون اخدتنى تفرجنى ع البلد ،لكن ياريتها ما اخدتني .. كانت تقف كل خطـــوه والتانيه تقول ..

ـ دى كلية كذا .. ودى كلية كذا .. انتوعندكو فيمصر كليات .. ؟

ـ أيوه يا جون ..

نمشي شوية نلاقى جنينة .

ـ انتو عندكو ف مصر جناين ؟

ـ ايوه ياجون .

نمشي شويه ويفوت الاتوبيس تقول :

ـ انتو عندكو ف مصر اتوبيسات ..

ـ ايوه يا جون ..

وشي أحمر من الزعل والكسوف ، لكن كتمت شعورى .. صاحبتنا فاكره احنا ايه ؟ متوحشين ؟ .

فتنا على عامود نور وفعلا قالتها .

ـ انتو عندكو ف مصر عواميد نور ؟

ما احتملتش .. قلت ف منتهى الحده

ـ طبعا عندنا . انتى فاكره احنا ايه ؟ حيوانات ؟ انالازم اشكيكى لابوكى . يللا رجعينى البيت ..

أنا متأسفة قوى ، أنابس باسأل . أنا أعرف ان مصرصحرا وفيها بدو . مافيش فايدة انها تعتذر . انا لازم اشتكيها .. اتارى فيه ناس كتير ف انجلترا فكرتهم عن مصر انها صـــحرا واسعة سخنه ومغروز ف وسطها هرم وكام نخله .. بقى دا

الشعب اللى بيحكم العالم ؟ بقى فيه فلاح عندنا مهما كان امى يغلط الغلطه دى عن الافرنج أو الهنود ؟

واحنا بناخد شاى ابوها قال ..

ــ ماتاخدش عليها يامستر عوض ، دىلسه عندهاأربعتاشر سنة .

مسكينة جون . لازم ابوها وبخها . انا ندمان دلوقت اللى عملت الدوشة دى كلها .. بعد كدا عرفت انه مش بسالبنات اللىعمرهم أربعتاشر سنة بيغلطوا الغلطة دى لكن كمان تلامذة الجامعة اللى عمرهمتمنتاشر سنةوعشرينومتعلمين وولادناس. مرة مثلا كان مستر برين ديفيز رئيس قسم اللغة الانجليزية الحالى ف كلية الآداب بعت لى جواب انى اروح اتعرف بواحد صاحبه أستاذ ف جامعة كامبردج اسـمه جليم ديفيز بيدرس لغات كليته . رحت له يوم حد لقيت العيلة كلها ملـمومة ع الشاى وترحيب كتير من النوع اللى يستنى دين ف رقبتك طول ما انت عايش لكن بروفسور جليم ديفيز دا كان له ابن طالب ف كلية سان جون بيدرس علم حياة .. الشاب دا طولالوقت قعد يسألنى اسئلة مربكه ف منتهى السخافة لحد ما أبوهسكته .. من ضمن الحاجات اللى قالها ..

ــ انتوا ف مصر بتستحموا باللبن ؟

ما اعرفش ايه اللى عطا له الفكره الغريبة دى .. لو كنت عارف انه بيكلم عن البشاوات بتوعنا كنت قلت له .. وبناكل دهب وبنشرب دموع المساكين كمان .. لكن أنا كنت عارف انه بيكلم جد ..

قام رديت ..

ــ ياريت

ــ انتو ف مصر بتقعدوا تحت النخل وبتفتحوا بقكووالبلح يسقط فيها ؟

ــ طبعا لأ .

لو كنت فاكر انه بيكلم بالمجاز كنت قلت له « أيوه » لان احنا ف مصر بتعمل حاجة زى دى تقريبا .. بنقعد تحت نخل الحكومة والماهيات بتسقط ف بقنا .. مابنطلعش بدرع ورمح عشان نخوض معترك الحياة وننتزع اللقمة من فم الاسد .. لكن بنرقد على حصيرة وسخه زى فقراء الهنود ونبعت الحمـام

يلم لنا اكلنا ونسيب الاجانب يعملوا لنا شغلنا ‎٠٠‎ لكـن أنا فاهم انه بيكلم جد ف جد ‎٠٠‎ فهمـت ان فيه ناس كتير ف انجلترا مايعـرفوش عن مصر غير الكـلام اللى قروه عنها ف التوراه ‎٠٠‎

على أى حال أنا زعلت لما سبت المسز ميرسر بعد كام أسبوع ما انتهاش ديسمبر سنة ‎١٩٣٧‎ الا وأنا ساكن مستقر اربعة وعشرين قيراط عند مسز ويلكسون ف ‎١٣‎ جاردن ووك ‎٠٠٠‎ مستقر بدرجة انى عشت معاها تلات سنين ورا بعض ولولاانى كنت راجع مصر ماكنتش سبتها ‎٠٠‎

لقيت ‎١٣‎ جاردن ووك من بره زى كل البيوت اللى ف نفس الشارع من بره برضه واطى ومعمول من دورين ومبنى بالطوب الاحمر اياه بس الزمن غمقه شويه وسقفه جمالونه ، ليه زى العاده جنينة صغيرة من قدام محوطه بسور حديد واطى والدور الارضى كله من الخارج عبارة عن باب خشب وعلى يمينه شباك انجليزى واحد شاغل كل واجهة الاوده ومضلع وطبعا بارز لبره ومالوش شيش وعليه ستاير خفيفة ‎٠٠‎ دخلت البيت لقيت الدور الارضى عبارة عن اودتين صغيرتين اوده ع الشارع بتاعتى واوده من جوه بتاعت مسز ويلكسون تطل على جنينة البيت الأصلية الكبيرة من ورا ‎٠‎ الاودتين كانوا أود جلوس ع الطريقة الانجليزية دخلت أودتى لقيت فيها طقم كراسى انجليزى ‎٠‎ فوتيلين وكنبه فى الحيطه اللى ف الوش على طول شفت الدفاية السودا ، ويظهر ان صاحبة البيت كانت لسه بتنضف فيها ‎٠‎ وف الحيطة اللى جنب الباب على طول الكنبه كانت مسـنوده والفوتولين واحد كان محطوط على يمين الدفاية وواحد كان محشور فى ركن الاودة اللى على شمال الدفاية ‎٠٠‎ وبين الدفاية والكنبة كان فيه ترابيزه سفرة مربعة خشبها تقيل قوى وعليها مفرش مليان رسومات أزهار مش موجودة فى طبيعة ،ومسنود ع الحيطه الشمال تلاقى البوفيه خشب جوز فاتح بيلمع ودورين وفيه كام كرسى سفره وعند الشباك كان فيه درج يتفتح لتحت بمفصلات عشان كتابة الجوابات ‎٠‎ وع الحيطان كان فيه شيالات كتب فاضية معلقة بمسامير ‎٠٠‎ تلات شيالات ، واحده عـلى يمين الدفاية وواحده على شمالها وواحده تقريبا فوق الكنبه بالشكل دا الاوده باينه مكبوسه عفش يعنى لو حبيت تدخل فيها فوتيل كمان يبقى مستحيل ، وبالنسبة لحجمها كان واضح

ان مافيهاش شبه فراغ ، بالاخص عشان السقف كان واطى الارض كانت مكسيه ببساط تقيل قوى قوى وبرضه ملـــون بأزهار حمرا كبيرة وبايخه وابوخ منهــا كانت الازهــار اللى مالهاش عدد اللى ف ورق الحيطان والازهار المطبوعة على كسوة الفوتيلات والازهار اللى كانت منقوشــة ومشــغوله باليــد ع المخدات بتاعة الطقم الانجليزى ، وأبوخ من الكل بقى صورة هدهد الوانه زاهية معمول ع المصيص برواز مدور كانت معلقاه على يمين البوفيه وصورة تانيه ادها بالضبط وشكلها بالضبط بس فيها صحبة زهور ومعلقة على شمال البوفيه ٠٠ يعنى أنا كنت عايش ف بستان غصب عني ٠٠ ذوق العصر الفكتورى تمام ودى مش غريبه لان مسز ويلكسون كان عمرها فــــوق الستين ٠٠ ف الاول ـ الالوان الزاهية هجمت عــلى القرنية بتاعتى واشبعت الحواس بتاعتى زى الخرز الملون والاصــداف مابترضى الحواس الفطرية بتاع الهمج ٠٠ لكــن بعد ماعشــت ف البيت ابتديت أكرهها ٠ولولا انى بطبيعتى متساهل ومخى دايما مشغول كنت عزلت من البيت بس عشان الاثاث المجليط دا ٠٠ غير كدا انا كنت مرتاح اربعة وعشرين قراط ودا أهم حاجة يعنى عمرى ماحسيت ان فيه حاجة نقصانى ، كنت اطلع الدور الاول بسلم خشب والاقى ف وشى الحمام واحود يمــين بسطه خشب طويلة شوية الاقى باب اودة نوم مسز ويلكسون لشمال وف الوش باب اودة النوم بتاعتى والاقى الاوده برضه تطل ع الشارع بشباكين صغيرين مش مضلعين انما زى العادة بس طبعا ليهم قزاز بس ومالهوش شيش ٠٠ كان فيه سرير كبير موده قديمة ودولاب معمول قبل سنة ١٩٠٠ وشيفونيير برخامة ودفاية عمرها ما اشتغلت وكان الله يحب المحسنين ٠ البيت قبل ما انسى كان له جنينة طويلة قوى كنت اشــوفها من اودة الحمام وعمرى مافكرت انى استعملها ٠٠

قعدت تلات سنين ف البيت دا ماعملتش أى تعــديل فى الاثاث ٠ كل اللى عملته انى مليت شيالات الكتب كتب ولمــا اشتريت كتب تانى خليت مسز ويلكسون تجيب لى شــيالتين تانى حطيتهم على شمال الباب لطع وكانوا شوية بيعاكســوا المرور ٠٠ بعد كدا كنت كل ما اشترى كتب كنت احطها ف

الشيفونير والدولاب مع الهدوم ·· دا كل التغيير اللى عملته من أول شهر ف كامبردج ابتديت اصطدم بالقيود واحس بشدة النظام ·· بقى انا جاى من جامعة « زمنية » خالص ·· حرة خالص ، وعمر ماحد قال لى ف مصر انت رايح فين أو بتعمل ايه ·· طول عمرى ساكن لوحدى ومعايه مفتاحى ابات بره على كيفى ، اجيب اصحابى يباتوا معايه على كيفى ···· اذاكر ما اذاكرش مافيش على رقيب ·· ابص بين يوم وليلة الاقى نفسى مسلسل بالشكل دا ·· ابتديت افكر ف معنى القيود ، وطلعت بنظرية ثورية من أول شهر ·· اللى خلى التمرد ياخد شكل محسوس لاول مرة انى كنت ماشى يوم اتفسح ف البلد يوم راس السنة أنا قابلت واحد صاحبى ··

ـ فيه رقص ف قهوة الدوروثى الليلة الساعة اتنين ·· انت جاى ؟

ـ لا ماعنديش خبر ·· لكن أحب آجى ··

ـ الساعة دلوقتى تمانيه ، وانت ماتقدرش تقابل المؤدب بتاعك بعد العشا عشان تاخد منه اذن بالسهر ··

ـ طب وايه العمل ؟

ـ زى بعضه · تعال وابقى روح قبل اتناشر ·· أو اذا كانت صاحبة البيت لطيفة خليها ماتكتبش حاجة ف الكشف ··

ـ طب خلاص انا جاى ·· الساعة ٩ قدام الباب ··

ـ لازم تغير بسرعة عشان مافيش وقت ··

وصلت البيت ف ربع ساعة ولبست ف كمان ربع ···· وبعدين خبطت على مسز ويلكسون ·· حكيت لها الحكاية وطلبت منها المفتاح ··

ـ ماقدرش اديلك المفتاح · ولازم اكتب التأخير ·

ـ ليه ؟ هوه حد هايعرف ؟

ـ انا ماليش دعوه ، انا عندى لوايح بانفذها ··

حصل أخد ورد · ف الاول منطق ومكينه وبعدين طلب عنيف وأصواتنا طلعت فشكل كريشندو كامل لذيذ اذا كان واحد سامعه من خرق الباب ·· ولما ظهر لى ان مافيش فايدة شتمتها ··

ـ انتى باين عليك تفكيرك ضيق··

ـ انت مالكش حق تقول لى كدا ٠٠ انا اشتكيك لمستر بيفس ٠٠

رحت سحب الروب والكاب ورزعت الباب ورايا ٠ وف السكه كنت زى واحد بيقع ف الخطيه جديد اكسر القانون والا ما اكسروش ، يعنى ايه واحد زيى راشد يعاملوه معاملة عيال انا طول عمرى رقيب على نفسي ومش محتاج لرقيب من بره ٠ لكن همه مالهم ؟دانظامنا ، عاجبك ، مش عاجبك لم حاجاتك وامشى ٠ انا كنت متأكد طول الوقت ان وجود القيد هوه اللى خلانى عاوز اكسره انا طول عمرى عندى حرية لكن عمرى ما اسأت استعمالها صحيح ٠ انا مش عاوز اسهر بره لكن لما ييجي مستر بيفس او أى قوه ع الارض تقول لى ماتسهرش بره اعمل بالعامد واسهر ٠ دا مفتاح شخصيتى ، وافتكر انه فيه ناس كتير زيبى ٠ انا لازم اروح لمستر بيفس واطلب انه يعفينى من كل القيود الصبيانيه دى ٠ لازم ٠

رحت الرقص ٠ واتعرفت بناس وغلطت كام غلطه وف الآخر اتركنت ع البار وقعدت اشرب واتفرج ع الناس٠الواقع حتى دا كان اختبار جديد بالنسبه لى ٠ قبل ماروح انجلترا كان كل اللى اعرفه عن افراح الاوروبيين ان كل راجل ياخد ست ويحضنها ويقعد يلف معاها حوالين الاوده ع المزيكه ، ويسمي دا رقص ٠ مره أو مرتين رحت صالات رقص ف الفى بيه لكن ماكنتش فاهم حاجه عن حركات الرجلين المزيكه الجاز طبعا كانت تبسطنى لأنها سهله وواضحه وحاميه واى حمار يفهمها لان مافيهاش حاجه تنفهم ، لكن الفكره العامه اللى كانت عندى عن الرقص الافرنجى انه احسن من الرقص العربى ها اقول لك ليه اولا لانى دايما متحامل على العوايد الشرقية وبهاجم كل حاجه عندنا بمناسبه ومن غير مناسبه ٠ ثانيا لانى كنت فاكر زى اغلب الشبان دلوقت ان الانسان ما يبقاش متمدن الا اذا كان يعرف يرقص افرنجى ٠ طبعا اول ماوصلت لندن حاولت اتعلم رقص ، لكن بعد درسين هربت وبقيت اتهم نفسى ان ودنى مش موسيقيه وان رجلى خيبانه ٠

ليلتها رقصت مرة واحده بس ولو كنت صحيح جنتلمان

كنت اخدت عنوان البنت اللى رقصت معاها واشتريت لهاجوز جزمة جديد • لكن الواحد لما يجى يدفع جنيه بينسى احيانا واجبات الجنتلمان ويقول ف عقله ماهى غلطتها ، هى اللى خليتنى ارقص ومادام هى عاوزه تضحك شويه لازم كمان تدفع تمن الضحك •

الصالة كانت بتطفح بالنور والورق الملون ع الارض وعلى كتفى وعلى صدور الناس التانيين ، وف جزمتى طرطور والساعه بتقول حداشر والبق اللى بينفخ ف السكسافون متحمس والحمره بتتألق ف كل العيون • انا ماكانش عندى سبب شخصى واحد يخلينى انبسط فوق العادة لكن كنت مبسوط اللى كل الناس مبسوطين • انا نص السعادة اللى باشوفها من النوع دا با استمدها من قلوب الغير ، سعادة موضوعيه هاديه • فات ف راسى المؤدب وصاحبة البيت • أخاف من المؤدب ولا استقبل السنه الجديدة ؟ الساعةاتناشر هايطفوا النور واسمع التلامذة والبقالين وموظفين البنوك والعاملات وسيدات الاسر بيغنوا قصيدة روبرت بيرنز ويبوسوا بعض ف الضلمه وانا لوحدى ماليش جليس اشرب نخب أول واحد اكتشف السرور • والساعة اتناشر دقيت قلبى بالفالز المشهور اللى بينقط حنان وهمهمت مع السكوراس بصوت جوه راسى عملته وما سمعتوش •

تانى اليوم المغرب كنت عند المؤدب •

ـ مستر بيفس ، انا مش عاوز اسكن ف بيت مرخص •

ـ ليه ، حصل حاجه ؟

ـ البارح اتخانقت مع مسز ويلكسون • كنت عاوز اسهر وطلبت منها المفتاح مارضيتش ، شتمتها •

ـ هى ليها حق • هى كانت بتنفذ القانون •

ـ دى خايفه ع الترخيص مش خايفه ع القانون •

ـ لأ • هى بتنفذ القانون •

ـ لأ • هى خايفه ع الرخصه •

ـ اسمع الكلام دا مش هايوصل لنتيجة • اذا كنت عاوز تعزل مستعد اوديك بيوت تانيه •

ـ ما هم كلهم زى بعض • ايه الفايده انى اسيب مستر ويلكسون واتصادم مع واحدة جديدة ؟ أنا عاوز أسكن ف بيت حر •

ـ انت عمرك كام سنه ؟

ـ تلاته وعشرين •

ـ ابقى قول لى بعد أربع سنين • دلوقت مش ممكن •

قال الله ولا قالك • بعد اربع سنين اكون انا باقفل شنطى وبازق على مصر • الكلام دا مش بيفكرك بالمستر تشرشل لما يقول ان بعد اربع سنين هايكون انتاج مصانع انجلترا أكبر من انتاج مصانع ألمانيا • الناس دول بيفكروا ازاى ؟ هو العمر فيه كام اربع سنين ؟ يعنى الراجل دا ها يهزمنى ؟ ابتديت اكذب بثبات •

ـ انا مثلا متعود آدى سنين انى اقطع مذاكرتى ف نص الليل وامشى مسافات طويلة اعمل ازاى انا دلوقت ؟ •

الراجل مابانش عليه لمحه واحده من الشك • ما اعرفش ايه اللى خطر له ساعتها • اذا كان صدق يبقى حتة عبيط • لكن يبقى عبيط ليه ؟ مش فيه ناس بيمشوا مسافات طويله؟ دا احنا ف انجلترا والانجليز هم اللى اخترعوا المشى • عالعموم انا اتعلمت بعد كدا انك لو تقول قدام واحد انجليزى ان ابوك امبراطور الحبشه أو أن ربنا جالك ف المنام مضطر يصدقك ، يفضل يصدقك لحد ما يضبطك ايدك حمرا على رأيهم • تعرف ليه ؟ لان الكذب عندهم اكبر حاجه تعيب الراجل ، ويوم ما واحد انجليزى يتأكد انك كداب يبقى احسن لك تدور على حته تانيه • تعرف لما تكسر القانون وتقول انا كسرته دا مش حاجه زى ماتكسر كباية وتقول انا ماكسرتهاش • اذا كذبت ف انجلترا اوعى تنظبط • مستر بيفس قال بمنتهى البساطة •

ـ مادام انت متعود على كده ، ابقى اجيب لك اذن خاص للمشى بعد نص الليل • لكن لازم تسكن ف بيت مرخص •

شكرته ومشيت • وف السكه ندمت ندم شديد ع الكذبه اللى كذبتها • بقى ياواد كل واحد هنا بيعمل اللى يقدر عليه

عشان يسعدك ، وانت تقابل دا بالكدب • عبال ماوصلت البيت كنت صممت اني اتلهى على عيني وابقى زى بقية الناس واللى يمشي ع التلات آلاف طالب اللى ف الجامعه يمشي على • رحت صالحت مسز ويلكسون وقلت لها اللى حصل وكتبت جواب للمؤدب بتاعى اقول له اني بعد تفكير لقيت انه مافيش داعى انه يطلع لى استثناء مخصوص علشانى ، وانى هااجتهد انى اخلى عوايدى تمشى مع قوانين الجامعه وانى متشكر كتير على الاهتمام بتاعه • من يومها ماكدبتش غير مره واحده ، لكن كسرت كل القوانين •

المره دى ، انا فاكرها كويس ، كانت ف اول اسبوع بعد اعلان الحرب • الواحد بقى بعد ما أخد ع العيشه ف كامبريدج ابتدا يزهق من القيود الكتيره دى • مثلا لبس الروب والكاب بالليل بعد ما كان الواحد بيعملوا بأمانه اصبح بعد ست شهور يهمل فيه ، يعني مثلا الواحد يكون ف البلد بيشترى حاجه او ف شغله ويخش عليه المغرب وعاوز يدخل سينما ، بدل ماكان يخبط مشوار لحد البيت تلت ساعه جاى عشان يجيب لبس الجامعه ، كان يقايس ويستنى ف البلد على طول• الحكاية دى كانت تحصل قول مرتين تلاته ف الاسبوع وصاحبة البيت كانت احيانا تصهين وانا داخل واحيانا تفتح الشباك وترمى لى الروب عشان البسه قبل ما ادخل البيت وهى ماتعملش علامه بضمير مستريح • قعدت مدة اعمل الحكاية دى والمفتشين يفوتوا على بالليل لكن ماحدش ياخد باله • تصور أول ما قامت الحرب وطفوا الشوارع انضبط • راجع انا من سينما لريجال وعنها وابص الاقى راجل طويل وقف فوشى•

ـ ليلتك سعيده •
ـ ليلتك سعيده ياسيدى •

ـ انت تلميذ ف الجامعه ياسيدى ؟

ـ ايوه • ليه •
ـ البروكتور يحب يشوفك ياسيدى •

انا كنت سرحان با افكر ف الفلم اللى شفته وعلى غفلـه

فقت • انا يدوبك كنت شايف الراجل فمش عارف ازاى قفشني • سلمت امرى لله ومشيت وراه خطوتين لقيتالمفتش زى العاده لابس بدله سوده رسمي عليها الروب وصدره بيلمع ف الضلمه ابيض ابيض من القميص المنشى • رفع الكاب وقال •

ـ ليلتك سعيده ياسيدى •

ـ ليلتك سعيده ياسيدى • انا اسمى ل • عوض • كليتى كنجز • ما عنديش لاروب ولا كاب • تصبح على خير •

ومشيت • أنا صحيح كنت عمرى ما انظبطت لكن باسمع كل يوم والتانى عن ظبطيات وعارف المناقشه ماشيه ازاى •

البروكتور سكت عنى مده طويله وف آخر الشهر راح باعت لى الجواب اياه • مستر ساندباش يحب يشوف مستر عوض الساعه سته ف الاوده بتاعته ف كلية ترينتى • انا برضه كنت عارف من اخوانى اللى ها يحصل بالضبط • كنتعارف ان المفتش هايسألنى اذا كان عندى عذر عشان مشيت من غير لبس الجامعه ، وكنت عارف انى ها اقول ان ما عنديش عذر يقوم صاحبنا يقول ادفع سته وعشرين شلن غرامه بقى زى الجدع وورينا عرض كتافك ، وكنت عارف ان ف جيبىتلاته شلن وان ماعنديش ف البنك الهوا ، وكنت عارف ان مش هااقدر اقول له خد شيك على اول الشهر • كل دا حصل لكن بصوره تانيه • دخلت على مستر ساندباش وبعد السلامات قال •

ـ عندك عذر تقوله ؟

ـ ايوه • انا كنت ف السينما وحاطط الروب والكاب جنبى قام واحد تلميذ استلفهم وجابهم لى تانى يوم •

مستر ساندباش فكر شويه وقال •

ـ تعرف ، من ناحية القانونية دا مش عذر لانه مفروض انك تكون لابسهم منين ماتروح ، لكن مادام دى أول مخالفه ليك مش ها اغرمك • مع السلامه •

ودى آخر مره كدبت فيها لحد دلوقت لـــكن مش ندمان عليها لانى ماكنتش اقدر اعمل غير كدا ٠

انا لما قلت للبروكتور ان تلميذ « اسـتلف » الروب بتاعى كان قصدى « سرق » وانا فاهم وهو فاهم٠ ف كامبردج لما الجنتلمان يسرق يقولوا استلف ولما واحد من البلـد يسرق يقولوا حرامى ٠ دا طبعا نتيجه لنظام الطبقات المتغلغـل ف انجلترا ٠

لما استوطنت شويه ف كامبـــريدج عرفت ان السرقه منتشره بين التـــلامذه ٠ سرقـــه الـــكتب ، والـــروايات ، والبسكليتات بس ٠ انا فاكر تمام ف اول فصـــل دراسى دخلت قهوه وقلعت الروب والكاب وعلقتهم ع الشـــماعه ٠ بعد نص ساعه طلعت لقيت واحد لطش الكاب ، وكان ساعتها معايه واحد صاحبى قام عملت معاه رهان على اتنين جنيه انى احتفظ باللبس بتاعى لحد ما آخد الشبهاده ٠ من يومها وانا محرص قوى وماضاعش منى غير قلم باركر ٠ الحقيقـــة ان السرقه دى ف مدينة الجامعه نصها شـــيطنه ونصهـا ضعف اخلاق ، لان ف حالات كتيره حاجتك ترجعلك تانى٠ يعنى مثلا تمليذ يلقى نفسه بالليل ف وسط البلد من غير روب ، ولو مشى ف الشارع يتمسك ويتغرم ٠ يعمل ايه ؟ يمد ايده لاقرب شماعه ويلطش أى روب يروح به لحد البيت ٠ تانى يوم تلاقى الروب بتاعك عند بواب الـــكلية بتاعتـــك او ماتلاقهوش ٠ تلميذ اتأخر ف النوم وعاوز يروح المحـاضرة بسرعه يلاقى بسكلته مركونه ع الرصيف يركبهـــا ويزق وبعدين يسيبها ف أى حته وتروح حضرتك تستلمهـــا من البوليس ٠ طبعاً فيه حاجات كتيره بتضيع مابتـــرجعش ٠ لكن الطف من دا كله السرقه المقصود بيها المغـــامره ٠ دى تلاقيها ماشيه ف نص التلامذه ع الاقل ٠ الواحـــــد يخش يشرب شاى أو قهوة ويغافل الجرسونه ويحط طبـــق أو شوكه او أى حاجه ف جيبه وتروح تزوره ف بيته تلاقى عنده عشرين تلاتين طبق أو شوكه معلقهم فوق الدفايه ف طابور ، وكل حاجه عليها تاريخ السرقه وظروفها ، زى ماتخش مثلا بيت

واحد صياد تلاقى فيه راس خرتيت وجلد نمر وجلد ببـــر وبنادق وحرب وحيوانات مصبره معلقه ع الحيطان ، او زى ماتخش قلعه واحد من الاشراف تقوم تلاقى درع مكتوب عليه الجد العشرين ف الحروب الصليبيه وخوذه مكتوب عليها الجد الخمستاشر ف حرب الوردتين وصوره زيتيه مكتوب عليهـا ايرل كذا حامل اختام الملك الفلانى . انا كمان بعد ســنه لقيت نفسى متخصص ف سرقة طقاطيق السجاير من البارات ولميت منهم سبعه . وكان فيه واحد صاحبى الله يمســـيه بالخير دا كان متخصص ف سرقه اليفط الكرتون اللى مكتوب عليها « للسيدات » قدام المراحيض .

دى كانت ايام لـذيذه ، وبالاخص للتلاميـذه اللى ســنهم صغير . انا لانى كنت كبير كنت عاقل شويه عن غــيرى . وعشان كنت اجنبى كان قلبى ضعيف . عشــان كدا كنت اكسر القوانين من سكات وما اعملش حاجه تستلفت النظر . من تالت شهر قدرت اضحك على صاحبة البيت وآخد منهـا مفتاح الباب . طبعا هى استفادت من الحكايه دى لانها كانت وليه عجوزه فوق الستين وتحب الساعه عشره تشرب قزازة البيره ستاوت بتاعتها وتحط راسها ع المخــده ، وف آخر الاسبوع تزور كشف التأخير وتحط أى مواعيد بشرط تكون قبل نص الليل . ف الاثناء دى اكون انا باسرح لحد الساعه اتنين والبلد كلها فاضيه ، او اكون سهران ف حفله عنــد التلامذه العواجيز اللى ساكنين ف بيوت مش مرخصه . لكن ليه اصحاب كتار شقاى بيعملوا اعمال جريئه اخاف انا اعملها

واحد منهم كان اسمه ريتشارد مورلى من سانت جون مثلا قعد ساكن بره كليته ف ميل لين سنتين ، وكان طول الوقت خاطب بنت هولندية ســاكنه ف بلجيكا . دا كان كــل يوم جمعه يطلع من المحاضرات ع الطريق العام ويفضل يشــاور للاتومبيلات لغاية ماواحد يديله توصيله لحد مينا على بحر الشمال اسمها نوريتش ، وف نوريتش صاحبنا كان مصاحب كابتن بتاع مركب بضاعه كان يدى له كمان توصيله لحــد اوستند ف بلجيكا . يبات الجمعه والسبت والحــد ، ويوم

الاتنين ف الفجر تلاقيه داخل من الباب الورانى وبعدشويه صاحب البيت يخش عليه بالفطور ويسأله ·
ـ دخلت الساعه كام ليلة امبارح ياسيدى ؟
ـ اكتب حداشر ، وهات لى علبة سجاير ·

مورلى عزل ف الكليه ، لكن ماكانش دايما يدخلها من ابوابها · كان عنده حبل طويل بتاع تسلق جبال كان بيستعمله كل صيفيه ف الالب ، أول ماتجى الضلمة يروح شابكه ف شباكه ف خامس دور ف ضهر آخر مربع ف كلية سان جون وينزل · يسرح على كيفه ويرجع من الشباك برضه · بعد شويه طبعا البوابين اخدوا خبر وبلغوا المؤدب بتاعه · مرة رجعت بيتى لقيت نوته كاتبها مورلى بالفرنساوى ملخصها انه كان عاوز يشوفنى ضرورى ضرورى · رحت أشوف العباره ايه اتاريه كان عارف ان المؤدب بتاعه هايكبس اودته ويدور ع الحبل ، راح رماه من الشباك ونزل جرى وجابه عندى ، ولما مالقانيش لفه وسابه على سطح الدولاب · لوكان انظبط بيه كان فيها رفد على طول · خفت اقول لصاحبة البيت تروح هى تبلغ ، ومعرفتش مسز ويلكسون ان فيه حبل على دولابها غير بعد شهرين وهى بتنضف الاوده من فوق ·

التلامذه ف كامبردج مابيتشعبطوش ع الكليات بس عشان يدخلوا متأخرين · دول واخدينها نوع من الرياضه والمغامرة · لاحظ كمان ان اغلب اللى بيتشعبطوا من الاصل متعودين على تسلق الجبال · تلاقيهم مثلا يعملوا رهان على مين يقدر يطلع الكلية الفلانية · والكليات نفسها مش كلها زى بعض · بعضها سهل وبعضها صعب · اذا كنت رايح كامبريدج وغاوى شعبطه فيه كتاب عن طلوع الكليات كاتبه تلميذ قديم وعاطى خرط مفصله لهندسة التمنتاشر كلية ومداخلها ومخارجها والاركان اللى فيها فايده والاركان اللى مافهاش · دا ضرورى تقراه · يعنى مثلا اذا كنت من كلية ترينتى وعايز تطلع كلية سانت جون مافيش فايده انك تشبك حبلك ف حته وتطلع وبعدين تبص تلاقى

نفسك ف اودة العميد ؟ والا ايه ؟ كمان الكتاب فيه تفاصيل عن هندسة كلية نيونام وكلية جانون بتوع البنات ، اذا كان ليك غرض • تلاقى المتسلقين المحترفين يقفوا قدام ابراج كنيسة كلية الملك وف قلوبهم نوع من السحر والخشوع ، لانها صعبة ومغرية وخطره ويوم ماواحد يتشعبط لارتفاع قياسى تانى يوم اسمه يبقى على كل لسان ، تقولش قمة ايفرست • المهم بس انك منين ماتطلع تسيب علامه أوتحط حاجة للذكرى ، جزمة قديمه مثلا ، علم ورق ، اى حاجة والسلام • طبعا التسلق دا خطر قوى وبتحصل فيه حوادث وعشان كدا الجامعة حرمته• وانا هناك تلميذرجلهزلفتومات لكن لازم اقول ان الانجليز يحبوا الشعبطة قوى •

انا عمرى ماتشعبطت ، لكن كتير دخلت من الشباك ، يمكن لو كانت اودة المكتب بتاعتى مش ف الدور الارضى ، بقول يمكن ، كنت قليت عقلى وطلعت ع الماسورة •

اهى دى التقاليد غير الرسمية ف كامبردج اللى حكيت لك عنها • وفيه ميت تقليد تانى مش مكتوب تلقطه وانت عايش هناك • تعرف انك ماتسلمش على حد الا اذا عرفوك بيه ، تعرف انك ماتسلمش على اصحابك ابدا باليد طول الفصل الدراسى • هم مرتين تسلم فيهم بالايد • مرة اول ما يبتدى الفصل الدراسى يوم ما ترجع من الاجازة ، ومره لما ينتهى الفصل الدراسى وانت نازل الاجازه عيب انك تسلم ف الايام العادية • عيب كمان انك تكون جديد فى البلد وتتعرف بواحد قديم تقوم تقول له تعال خد شاى معايه• لازم القديم هو اللى يعزم الجديد • عيب انك تختلط باهلالبلد على الاخص التجار ، لان كامبردج من قرون مقسومه نصين بينهم عداوه تقليديه • « التاون » وا « الجاون » ، يعنى «البلد» و « الروب » ، يعنى بالعربى اهل البلد والتلامذه ، فيه ميت حاجه كمان • اهى دى تروس العده اللى انا اتحشرت فيها ، وعصرت شخصيتى عصر شديد ولونت تفكيرى بعض الشىء •

طول ما انت ف كامبرديج تقعد تسمع ف نوادر ما تخلصش • موضوع النوادر كلها هو تقاليدالجامعه وعلاقة التلامذه بالجامعة وبالاخص اللى بيعملوه التلامذه ف

البروكتور والخدامين بتوعه • وبعـد الطلبـة مايسـيبوا كامبريدج بسنين وينتشروا ف اركان الارض ان كان ف مصر والا الصين والا مدغشقر ، منين ما اتنين ما يتقابلوا مـع بعض ويعرفوا انهم ولاد جامعه واحده·تلاقيهم دايما يتذاكروا اللي حصل ف الايام اللذيذة اللي فاتت ودي ماده ماتنفـذش ابدا •

وانت ف كامبريدج تتعلم انك لما تتكلم عن اكسـفورد تسميها « المكان التاني » وان كنت من اكسفورد برضه تقـول على كامبريدج « المكان التاني » ف لوايح كامبـريدج ان كل تلميذ له الحق انه يمشي ع الحشيش اللي ف حوش كليـةالملك مره واحده ف حياته ، وبعدين جه تلميذ شقي ولم ميتين تلميذ وراحوا كلهم ماشيين ع الحشيش بتاع الكلية نوبه واحده قام العميد جا جرى عليهم وزعق •

ـ ازاى تعملوا كدا ؟ انتوا لازم تتعاقبوا •

قام التلميذ الشقي قال له •

ـ احنا بنباشر حق تقليدى ، بس اتصادف انناكلنا باشرناه ف وقت واحد • الحشيش تلف والعميد طبعا ماقدرش يعمل حاجه ، الحكايات دا لطيفه وبتحصـل وبيحصـل أغرب منهـا كمان • انا مره كنت ماشي مع استاذى مستر جورج رايلاندز ف الكلية بتاعتنا رايحين جايين بنتكلم ف موضوع وبعـدين سيبنا المشي وخرمنا ع الحشيش قام لحقت نفسي ورجعتلورا ووقفت وحبيت افكره • قلت

ـ اذا كنت عاوز تستمر ف الـكلام تسمح تنـزل من ع الحشيش وتمشي معايه ع الارض •

انت عارف اللايحه بتسمح للاساتذه بس انهم يمشـوا ع الحشيش •

قام ضحك وقال لى •

ـ أنا مانسيتش • لكن اللايحه كمان بتقول ان اى تلميذ له الحق انه يمشي ع الحشيش على كيفه مادام معاه استاذه •

عرفت انه حافظ اللايحه اكتر مني • حشيش كلية المـلك مشهور قوى وعشان كدا تلاقي عليه نوادر كتيره • بيقولوامرة

واحد امريكاني انبسط قوى من الحشيش دا ، وبعدين سأل واحد من اساتذة الكلية .

– اذا الواحد حب يعمل ف امريكا حشيش جميل زى دا يعمل ايه ؟

قام الاستاذ رد عليه :

– المسألة بسيطه . يقلب الارض ويرمى التقاوى وبعدين يستنى عليها ربعميت سنه .

دا طبعا كان احسن رد على واحد امريكاني ومعناه بالعربى حتى حشيشنا له تاريخ وانتوا شعب لسه صغير السن مالكمش ماضى ولا تقاليد . أنا با اقول دا كان احسن رد لان فيه أمريكان كتار يفتكروا انهم يقدروا يشتروا لنفسهم تاريخ بالفلوس وينقلوا ماضى الشعوب التانية بالتقليد . كل واحد عارف حكاية المليونير الامريكاني اللى اشترى قلعةف اسكوتلانده عمرها خمس قرون وفك حجارتها ونقلها على مركب للولايات المتحدة وركبها تانى هناك . طبعا عمل كدا بس عشان يقول أنا ساكن ف قلعه من أيام الملكه اليزابيث أو أنا عملت وعملت تقوم الحكومة المصرية بس تعمل انها هاتبيع الهرم زى ما نصحها برنارد شووانا متأكد انها هاتلاقى خمسين معتوه امريكانى يتقدموا للمزايده . كل واحد عارف ان بنات المليونيرات الامريكان بيدوروا على أشراف انجليز وفرنساويين مفلسين عشان يتجوزهم والناس تقول عليهم « مدام لامركيز » و «مدام لابارون » . التقاليد ف كامبريدج مالهاش عدد وعايزه واحد متخصص فيها زى الناس اللى بيتخصصوا ف علم الانساب عشان يحصرها . مثلا ليك حق انك تسأل البروكتوو عن موضوع الدرس اللى هايتقال يوم الحد ف كنيسة كليتك . وانا هناك سمعت أن تلميذ شقى حب مرة يوقع البروكتور ف الحكايه دى قام راح يسأله ف آخر لحظه عشان يوريله انه مابينفذش اللوايح بأمانه . قام البروكتور بكل بساطه قال له . انا مستعد اقول لك درس يوم الحد بس روح ياشاطر البس البنطلون الرسمى اللى شكله كذا وكذا والياقه الفلانيه وتعال اسألنى . كبسه . النوادر اللى زى دى ماتنتهيش وكل

واحد عاش ف كامبردج لازم حصل له كام فصل من النوع دا· آدى كام يوم بس كان مستر جلبرت سميث المفتش ف وزارة المعارف بيحكى لى انه لما كان ف الجامعة البروكتور نوبه ضبطه بالليل من غير روب قام وقفه وسأله ·

ـ اديني اسمك وكليتك ·

ـ اسمى سميث · ف ترينيتى ·

البركتور على طول خطر له ان دا بيضحك عليه وعايزيزوغ لان اسم سميث فى انجلترا دا من الاسامى الشايعه قوى‌زى ما تقول محمد أو على ف مصر وكلية ترينيتى فيها فوق ألف تلميذ ، وبديهى ان فيهم عشرين واحد ع الاقل اسمهم سميث· قام قال له بزعل ·

ـ انت كداب ، قوللى اسمك الحقيقى ·

راح مستر جلبرت سميث مطلع كارت الزيارة من جيبه وقدمه للبروكتور وقال له ·

ـ انا اطلب اعتذار ·

الاستاذ شاف الكارت وطبعا اضطر يعتذر · مش بس نوادر · ياما فيه نكت ع الاساتذه وكل كلية تعمل شعر تأليس ع الكليات التانيه وبالاخص كليات البنات ولولا انه شعر قبيح كنت حكيت لك شويه منه ·

ومش بس نكت · ياما مقالب التلامذه يعملوها ف بعض · تحب تعرف النوع ؟ قالوا لى ان تلميذ ف كنجز عزم واحده صاحبته قرب المغرب على كاسين شيرى ف الاوده بتاعته ، وكان لازم يبات ليلتها ف لندن لعذر طارىء وبعد البنت ما سابته وهو خرج جم شويه من اصحابه الشقاى اللى كانوا عارفين انه قفل أودته وسافر وراحواحاطين فردة جزمة حريمى قدام باب اودته · تانى يوم ف الفجر جه الخدام بتاعه يصحيه لقى الجزمه قام افتكر ان الجدع عنده « حاجه » · قعد يخبط مده طويله ما حدش رد عليه ، يزق الباب يلاقيه مسنكر ، راح نزل جرى على رئيس البوابين ورئيس البوابين نزل جرى ع المؤدب بتاع

الكلية والمؤدب بتاع الكليه نزل جرى ع الاوده بتاعت التلميذ عشان يظبط الحادث ويرفد الولد • امر بكسر الباب ، ولما دخل ومالاقاش حاجه طبعا فهم المغرز •

انا لما أقعد احكى لك عن نوادر كامبريدج مش ها اخلص • اسأل الدكتور ابو العلا عفيفى استاذ الفلسفة ف جامعة اسكندرية يحكى لك ألف نادره • اسأل الاستاذ آمين روفائيل مدرس الادب الانجليزى ف جامعة مصر يحكى لك ازاى انه كان يجرى ف الحوارى كل البروكتور ما يضبطه من غير روب والخدامين طايرين وراه •

لكن دى مش كل حاجه ف كامبريدج • الذكريات انواع ، ومش كلها خفيفة بالشكل دا • سيبك من الصباحيات الجميله اللى كنا نخرج فيها انا وبروفسور ايرفينج بتاع جامعة برنستون ونمشى كام كيلو لحد كلاى بهايذ أو جراند شستر وارجع بحذا الكام ونقف ف السكة عشرين مرة نتأمل جمال الطبيعة أو نتخانق ف وسط المناقشه • سيبك من الايام الغريبه القليلة اللى كنت ارقص فيها تمان ساعات ورا بعض من تلاته لسبعه مع الشاى ومن تسعه لاتنين بعد نص الليل وادوخ من لذه الفالس وحدها وأطلب المزيد • سيبك من الاضاحى العزيزة اللى كنا نسافر فيها شله صلاح خشبه وبكر حمدى وفتحى الصيفى وتشكيله من الجنس اللطيف لحد بستون نستحمى ونرجع مع العصر • سيبك من أيام الزهق القتال اللى كنت أروح فيها سينما مرتين ف اليوم واقعد أوبخ نفسى بقية الليل • سيبك من الايام الضايعه اللى كنت اروح فيها عند بكر حمدى والاقى حسين عمر ونفضل نلعب شطرنج بعلب سجاير خمس ساعات ورا بعض • سيبك من الايام الشعريه اللى كنت اطلع فيها مع ريتشارد مورلى نتشرد ف حواشى البلد ونتناقش ف أصول المدنية والسياسة والسرياليزم وأخلاق الشعوب وطبيعة الفن وينزل علينا المطر نقوم نفرح ونخوض ف الوحل وارواحنا تتمرمغ ف الطبيعة وينزل علينا الليل ونرتعب من الكلاب البعيدة ونطلع ع الجسر مبلولين لحد العضم ونشاور للاوتومبيلات اللى بتتزحلق بسرعه مخيفه وندوس على انوار

المصابيح المعكوسه ع الطريق الاسود الغرقان ف ألسيول ٠ سيبك من الليالى الصاخبه بتاعت حفلات الوداع ف آخـر كل فصل دراسى لما كنت أنا وكيث واندلس والان هيوم وجون نيكسون وكاثرين ليكوكويمكن نورمان هوتوبفت وونفرد تيلى نتلم ف بيتواحد منا وفنص الليلتلاقى قزايز الهوك المسحوبه مرصصه ع البوفيه زى العســـاكر المجروحين وخمرة الرين بتبرق ف عينينا وبتوجع ف عروقنا والنغمات الهمجيه بتاعت البوليرو بتسرى زى الكهربا ف ضلوعى وورلى مش قادر يسند نفسه وفاتح ديوان كيتس وكل ما يخلص من قصيدة البلبل يقراها تانى ويسمع ويســـمع الســـيمفونى الخامســة وبعدها « جوجزيف جوزيف » ٠ بوهيميا ٠ جزاير جوجان موســيقى الغجر ٠ نهايةالقرن ٠ سيبك من دا كله وسيبك من أياملما كنا نتلم عند انور فراج والا فتحى الصيفى والا امر الله بليغونلعب بوكر ساعه وكروكيه ساعه وف تلت الليل نشوف براميل البيره وهى بتصفى آخر مكنوناتها نقوم نفــوق ع الصـــدمه ونتشجع ونروح بيوتنا وبرضه سيبك من العصارى اللطيفه لما كنت اروح مره كل سنه على شط الكام ف ضــهر كلية الملك والاقى نص البلد سبقتنى هناك واقعد ساعتين اسمع تلامذه الكلية بيغنوا المادريجال القديمة الماشية وأشوف البجع عايم ع الكام بين الكبارى واللحن سايح ع الامواج ٠ ســيبك من محاورات سقراط وفيلو اللى كانت تحصــل بينى وبين بكــر حمدى دايما ف السياسه والدين ودايما ف مكان واحد واحنا رايحين جايين بين كارليل رود وفيكتوريا رود اوصله لحد بيته ف نص جمله ويوصلنى لحد بيتى والجمله لســه ما انتهتش ٠ وسيبك حتى من ألطف منظر تقدر تشوفه ف حياتك لما أمرالله بليغ كان يسكر ف « الرانديفو » وبعد نص ساعه يقلب صالة الرقص سركوياخدالبنت الارتيستاللىبتغنى فدراعهويعملوا سوينج مع بعض نصه رقص بلدى ونصهخفافة دم ، والا سيد سودان لما يشرف فبارالكريتيرون وتشعشع معاه يلمناحواليه ويخطب فينا بالطليانى زى الدوتشى وبالالمانى زىّ الفوهرر على طريقه كشكش واحنا نهيص « سى ، سيى » أو « زيج هايل » ٠ كل الحاجات دىماتتعوضش ، ولاكمان ايام الفلسف كامبريدج

لما كنت انا وبكر حمدى نفوت الساعه عشره بالليل على محل السمك والبطاطس اللى ف كنج ستريت ونصرف احنا الجوز عشره بنس واول مانوصل لميد سمر كومون كل واحد يفتح لفته وهات يا اكل وعبال ماندخل ع الشلال نكون بنسمح ايدينا ف الروبات ٠ دى أيام ماتتنسيش ولا تتنسى أودة فؤاد حمدى اللى كان معلق فيها ستاشر صوره لجنرال فرانكو ولا اودة كيث واندلس اللى كنت اروح ليالى ليالى عشان اسمع فيها باخ واسترافنسكى ولا قهوة الدوراتى اللى كانت كل صباحيه تتملى بالتلامذه المهرجين يغنوا ويشوشروا ولما قامت الحرب بقينا احنا المصريين نتمم على بعض فيها بعد كل غارة ٠ دى حاجات ماتتنسيش لكن سيبك منها محدوده وشخصية ومعناها بسيط كمان سيبك من اجتماعات نادى الفراعنة اللى كان نصها زعيق ونصها مقاطعة واخرتها دايما صافى يالبن ومن اجتماعات النوادى التانية اللى كانت كل اسبوع تعرض علينا واحد من قادة الفكر ف انجلترا منه سمع ومنه فرجه ع الناس اللى اساميهم لوحدها أخبار ، وبعد مده بقيت اشوف مستر تشرشل داخل كلية كابر حتى ماابصلوش ، ويقولوا لى هـ ٠ ج ٠ ويلز هنا أقول وايه يعنى ، وأسلم على أودن غلط لكن شعره الهايش وعينيه المولعه أكتر مايجذبنى صيته وأروح أشوف سير ارثر كويلر كوتش العجوز بس عشان خايف انه يمكن يموت فى أى لحظة وهولدين وس ٠ لويس روبرت ٠ اليوت واستيفن سبندر واديث ستويل وادنجتون وتومسون كينشتاين ولاسكى و ميجور اتلى وفرتز كرايسلر وهوروفتش كلهم فاتوا على زى بقية مخاليق الله ،والناس اللى باقرا كتبهم بلهفة وأنا تلميذ فمصر زى جورج رايلاندزوف ٠٠ لسلوكاس وف٠ر٠ ليفيس ودكتور ريتشارد س٠ و س٠ ك٠ أوجدن ـ بصيت لقيتهم بييجوا لحد بيتى بالبسكليت وياخدوا شاى ويستأنسوا زى أصحابى تماما أو ياخدونى ف بيوتهم ويناقشونى فمدارس الفكر الحاجات دى ذكراها عزيزة عندى لكن يمكن ماتهمكش عشان كدا سيبنا منها برضه ٠٠

وكل ماافضى من مشاغل العالم دا تفوت ف مخى الصور والذكريات ، مش دى بس انما ألف حاجة وحاجة من شكل

السحب اللى دايما مفضضه لدكاكين الترزية والبقالين وبتوع الاسطوانات وبتوع الكتب وبتوع الحمرة اللى كان الواحد بس يخش فيها ويكتب اسم كليته وبعد خمس دقايق يطلع محمل بأى حاجة هو عايزها من غير مايدفع بنس واحد . ومع ذالك مافيش حاجة سابت ف نفسى اثر واعتقدت صحيح انتها فأثاث البنا بتاع كامبريدج قد الجو العلمى اللى مافهوش دجل والرياضة الاخلاقية اللى ماتسيبش واحد بنى آدم من غير ماتشكل طباعه ..

اى واحد عاش ف كامبريدج يقوللك ان الواحدهناك بيتعلم من المحادثة مع الناس اكتر من مابيتعلم من الكتب وان الحياة الاجتماعية نشاطها باين لكل عين .. لكن فيه نشاط تانى مش باين لكل عين .كامبردج مش بس دعوات شاى وحفلات شيرى وسباق قوارب دا كله موجود . لكن كمان فيه حاجة تانية موجودة . فيه الجيش الاحتياطى اللى دايما يشتغل ف هدوء من الرجالة السرحانين المدهولين اللى نضارتهم تخينة وشعرهم واقع ومابيحلقوش مرتين ف اليوم . فيه ديدان الكتب اللى تنبش أوراق المكاتب وتحى الميت وتموت الحى وتمهد السكة للابطال اللى بينوروا السكة للانسانية بأفكارهم الجديدة انت نسمع بس عن ميلتون ونيوتن وداروين وماكسويل ودانجتون لكن دول بيعملوا واجهة البنا . ادخل شوية لجوه تلاقى مقابل كل ملتون فيه ميتين ثيوبلد ومقابل كل ادنجتون فيهه ميتين واحد الميكروسكوب برى عنيهم والمعادلات ضيعت عليهم الحياة كامبردج بلد غريبة صحيح .. عندك تلات سنين وانت حر .. تقدر تغرقهم ف قزازة ويسكى وتنساهم ف لغط الاجتماعات وزيطة الرقص والشباب ، وتقدر تضيعهم ف العمل المقدس والكد الطويل وف الحالتين هاتنجح ماتخافش .. انت حر . قدامك طريقين .. نقى اللى انت عايزه ..

نادي الفراعنة

أول مارحت كامبريدج جديد أخدني واحد مصرى ف بيت الاستاذ اسماعيل شيرين عشان أقابل الفراعنه . كنت أسمع من مصر وأقرأ ف الجرايد مرة ف كل سنه ان المصريين بتوع كامبريدج عاملين نادى اسمه نادى الفراعنه وطبعا كنت متشوق قوى انى أعرف هو ايه . دخلت لقيت عشرة خمستاشر فرعون، اللى قاعدواللى واقف بياخدوا الشاى وبيزعقوا ف بعض بصوت عال ف وقت واحد . عرفت انهم بيتناقشوا ف السياسة .

ولا حد خد باله ان فيه واحد غريب . صاحبى ماعرفش يسكتهم قام أخدني من دراعى ودار عليهم واحد واحد يعرفني بيهم الواحدمنهم كان يتبادل معايه المجاملات ف دقيقتين وبعدين يقول لى « عن أذنك » ويرجع يزعق مع التانيين .

دا صلاح خشبةرئيس النادى من فيتسوليام هاوس ، ودا عوض جديدف كامبريدج من كنجزكوليدج عاوز يبقى عضو .

صلاح خشبه يدوبك قال لى «ازيك» وراح شاددنى من دراعى وصرخ ف الموجودين :

ـ استنواشويه · لويس بك عوض زبون جديد هنا ويحب يشترك ، أنا أرشحه فيه حد يزكيه ؟

صوت واحد ماأعرفوش ـ أنا أزكيه ·

صوت واحد تانى ماأعرفوش ـ أنا أزكيه ·

خشبه ـ فيه حد عنده مانع ؟

الاعضاء ـ لأ ·

ورجعوا للمناقشة تانى · ان المسألة كانت روتين وأخدت نص دقيقة ، ودخول عضو جديد عليهم كان زى ماواحد يستحمى ويغنى مثلا · انبسطت ان المسألة كانت ســـهلة كدا ، لـكن استغربت ان الرئيس عمره ماشاف وشى قبل كدا ويرشحنى وان ناس ماعرفهمش يزكونى · قلت ف عقلى دول جماعة باين عليهم لطاف وهاارتاح معاهم · كان مفروض طبعا انى أول ماأمضى الشيك بتاع الاشتراك اشترك معاهم ف الزعيق ،لكن مااشتركتش غير ف الشاى · يومها قابلت ابراهيم صــفوت واسماعيل شيرين من ترينيتى وحسين عمر من مودلين ومصطفى عبد العزيز واحمد فتحى وعبد العزيز عمر كلهم من فتزوليام هاوس ومش فاكر مين تانى · دول ما كانوش كـل المصريين اللى ف كامبريدج · بعد كدا اتعرفت شويه شويه بأمر الله بليغ من سان جون وفؤاد حمدى سيف النصر وبكر حمدى سيف النصر من ترينيتى هول وعبد الجواد حسن من فتزوليام ومصطفى زهدى من جيزاس ومدحت شراره من كلير وعلى صادق من سان جون واحمد صادق من فيتزوليام ، وكنت من قبله أعرف اتنين فاتوا عليك ، سيد عبد المنعم حسانين اللى عطانى البيجاما من فيتزوليام وعبد اللطيف بدر الدين اللى قابلته يومها عنــده وفسحنى ف البلد من سان جون ، وبعد سنة اتعرفت بأنور فراج ودا كان ف لندن وحول على كامبريدج ف كلية كيز ·

برتيته مش بطاله أبدا ، وبالاخص ان كل واحد كان مختلف عن التانى ، مش بس ف الشخصية لكن كمان ف الدراسة · كان فيهم اللى بيدرسوا اقتصاد واللى بيدرسوا رياضــه واللى بيدرسوا زراعة واللى بيدرسوا هندسه واللى بيدرسوا علم حياه واللى بيدرسوا علم نبات واللى بيدرسوا حربية · ماكانش فيهم حد بيدرس أدب غيرى · طبعا دول كلهم ماكانوش أعضاء ف

نادى الفراعنة كان « الحمديز » ع الاقل طول الوقت بره النادى والسبب ما اعرفوش .

أنا ظلمت النادى شويه لما وصفت الزيطه بتاعت أول يوم . الحقيقة ان النادى كان من أحسن النوادى اللى شفتها ف حياتى أولا ماكانش له مكان و لا عنوان . كنا نجتمع كل يوم حد ف بيت واحد من الاعضاء ناخد شاى ونتبادل الآراء . ثانيا كان من نشاطه انه يدى أسبوع محاضرة وأسبوع مناظره وينظم مباريات رياضه وبريدج وشطرنج مع النوادى التانيه ويعزم أساتذة يعملوا أحاديث ويعمل حفلات تعارف وحفلات سمر ، ورقص وتهريج وحفلة عشا رسمية كل سنة يدعى فيها العمداء بتوع الكليات والاساتذة وسفير ناف بلاط سانت جيمس ومدير مكتب البعثة ف انجلترا وتلامذة يمثلوا النادى المصرى الملكى بتاع لندن والناس اللى ليهم أهمية ف كامبريدج . ف السنين الوحشة نشاط النادى كان بيتحول لحفلة العشا السنوية ، لكن ف العادة نادى الفراعنة كان مظهر مهم لوجود المصريين ف كامبريدج . ونادى الفراعنة بياخد ألف وكذا جنيه كل سنة من الحكومة اعانة ، ونادى الفراعنة بياخد ١٥ جنيه بس . أنا لو كنت مدير البعثة كنت أعكس المسألة وأنا ضامن ان سمعة مصر ف انجلترا تتحسن أربعة وعشرين قيراط .

نادى الفراعنة له مضبطتين . مضبطة شكلية دى تلاقيها عند السكرتير ومضبطة كاملة دى شايلها أنا ف عقلى ، ولما تجى المناسبة برضه ها انشرها ع الناس زى ما با انشر ذكرياتى . كانوا المصريين مقسومين شلل شلل ، وكل شلة ليها ميولها وأعمالها ، لكن يوم الحد كل الشلل دى تتلم على بعض ع الشاى وتشترك ف عمل اجتماعى واحد .

كان فيه شلة فيكتورياه مثلا يعنى اللى متخرجين من كلية فيكتوريا عندنا ،ودول كانوا أكتر ناس يلعبوا رياضه ويعملوا أعمال شقاوه ودى كان فيها شيرين وفوده وبليغ وفراج وعلى صادق وأحمد صادق ومصطفى ذهنى . كان فيه كمان شلة العلماء ودى فيها بتوع البعثة زى سيد حسانين وصالح خشبة وفتحى الصيفى وعبد الجواد حسن ومصطفى عبد العزيز وأنا طبعا دخيل ع العلماء . دول كانوا يتلموا كل كام يوم ويشتروا

برميل بيره أو تشكيلة جن وويسكي ونبيت فرنساوى وألماني ويتناقشوا ف ستين موضوع • كان فيه شلل متخصصة مثلا ف صيد البنات من محلات الرقص وشلل متخصصة ف لعب البوكر وشلل الناس الطيبين اللى ف حالهم زى بكر حمدى وفؤاد حمدى وشراره وهكذا ، لكن ف العادة كنت تلاقى كل واحد مشترك ف أكثر من شلة •

ف أيامى نادى الفراعنة فات ف أزمتين • أول أزمة يوم ماواحد اقترح انه يبقى له مكان ثابت ـ حاضرات زى النوادى التانية والباقين وافقوا • الازمة دى فاتت بسلام لان الاعضاء لقوا فلوسهم ماتكفيش • أنا أفتكر ان دى كانت أزمة كبيرة لان جمال النادى هو ف حالته المتنقلة دى ، ويوم مايتنسى التقليد دا هايبقى النادى محل قعاد ويمكن يجيبوا فيه طاولة كمان •

تانى أزمة كانت أهون من دى شويه لكن برضه كان خبطة ، أول ماقامت الحرب جامعة لندن عزلت كل كامبريدج وعزل معاها حسبة عشرين مصرى • دول ماعرفناش نعمل فيهم ايه • دستور النادى نفسه كان غامض • كل اللى بيقولوا ان أى واحد بيدرس ف كامبريدج له حق العضوية • الجماعة الجداد صحيح بقوا بيدرسوا ف كامبريدج لكن مش ف «جامعة» كامبريدج • المسألة بقت ف ايد المفسر مش ف ايد الشارع • غير كدا قول ضيوف علينا يمكن يقعدوا كتير يعنى لازم لهم نادى ، واذا ابتدينا نثير مشكلة « الجامعة » مش بس هانوريهم عدم ترحيب انما كان هايفتكروا ان « كامبريدج » بتتكبر على « لندن » • الشعور دا موجود من الاصل ، وأى غلطة من ناحيتنا كانت تجرح احساس الجامعة • لكن من ناحية تانية احنا كنا خايفين انهم لما يدخلوا يقعدوا يعدلوا ف دستور النادى وتقاليد النادى على فكرة وينتخبوا مجلس الادارة منهم لانهم دايما كان عندهم الاغلبية • تبقى الفوضى بتاع النادى المصرى الملكى اللى ف لندن جت عندنا ، ويبقى الفراعنة الاصليين راحوا ف شربة ميه • أنا شخصيا اقترحت اننا ناخد بتوع لندن أعضاء منتسبين بس مدة الحرب ، يعنى نص اشتراك ومايحضروش الجمعية العمومية ومايرشحوش ومايصوتوش • غير كدا نبقى كلنا سواسية كأسنان المشط • أنا فاكر تمام برضه ان الاستاذ صلاح خشبه

وقف معايه للنهاية وبعد مناقشات وشـتائم كتيره اقتراحي اترفض وبتوع لندن دخلوا معانا أعضاء عاديين • تعرف ؟ أنا لما سبت كامبريدج بعدها بكام شهر كان دستور النادي اتعدل ف أغلب أجزاءه •

تعرف لويس فانوس بيعمل ايه ف مجلس الشيوخ ؟ طول الوقت يتكلم ويعترض ف الفاضية والمليانة • أنا كمان طول الوقت كنت بااتكلم وأعترض ف الفاضـية والمليانة ف نادي الفراعنة • كان كل جمعية عمومية تقريبا ليه دوشة واتعرف عني أني مشاكس • أديك مثل . بعد الاستاذ صـلاح خشبة ماخلصت رياسته ، جهانتخاب الرئيس الجديد • يومهابلغني ان شلةفيكتوريا ـ ودي كانت كبيرة ـ اتفقت انهاتسندالاستاذ آمر الله بليغ زميلهم ودا كان يدوبك بقى له سـنة ف البلد • زعلت قوى على حكاية العصبيات ف الانتخـاب دى وشرحت المسألة لبتوع البعثة وطلبت منهم انهم يسندوا واحد منهم • أنا طبعا ماليش الرياسات ولو شنقوني بعد فصـل بارد كان حصل زمان بسببها ، قام اختارنا الاستاذ عبد العزيز عمر ورحناالاجتماع وانتخبنا ، بليغطلع رئيس وأنا طلعت وكيل• ساعتها أنا عملت دوشة كبيرة واتهمت الرئيس الجديد انهكان عامل « كابال » منبتوع فيكتوريا وطلبتمنه انه يستقيل لانه صغير وجديدومايعرفشحاجة من تقاليدالنادي ورحتمستقيل من الوكالة باعتبار اني ماأقدرش اتعاون معاه • طبعا بعد كدا عرفت اني غلطتلان بليغ مانجحش «بالكابال » بتاعفيكتوريا لان شلة فيكتوريا ماجاتش الا بعد الانتخاب ماانتهى • عرفت اني غلطت لان بليغ نجح بأصوات بتوع البعثة اللى كانوابيدوا بعض مقالب من ورا زى العيـال • أنا كان موقفي ف منتهى السخافةأنا ماكنتش أعرفعبدالعزيزعمر كويسومارشحتوش غير لما قالوا لى رشحه ثانيا لانه كانعضو قديم وعارف تقاليد النادي وأمرمط ف مجل... الادارة • ماكنتش عارف ان بينه وبينالتانيين «ضديات» د كان يوممايعلمبه غيرربنا •اكتسبت عداوة الرئيسلوجه الله ، ودام النفورأسبوع كامل • لكنبعد كدا رجعنا حبايب •

لكن أنا ماكنتش دايما غلطان بالشكل دا • كنت أحاسب

ف الشكليات ٠كنت أحاسب فالحاجات المهمة ٠ يجوا ياخدوا صورة للاعضاء أقول لا فلان أقدم من فلان يقوم يقف قدامه ، ولا حدواخدباله ٠عاوزين يعملوا الانتخاب الجديد قبل مايناقشوا الحساب الختامي ، أقول ياإخوانا مايصحش ، ولا حد واخدباله٠ من يوميها عرفت ان ركزى الطبيعي دايما ف المعارضة ٠

أنا لازم أحيي الاستاذ صلاح خشبه لانه كان أكمل مثال للرئيس الدستورى ، كان يشوف رأيه بيتقطع حتت قدام عنيه ومع ذلك مايفتحش بقه وياخدأصوات من سكات وبعدمايتهزم وخلاص يقعد يشد ف شعره ويشرح فكرته للكراسي وفناجين الشاى ٠ وياما ظلم نفسه عشان يدى خصمه فرصة كاملة ، وطول ماهو بيدير الجلسة عواطفه وميوله بيطويها فى جيب البنطلون ٠

أنا لازم أحيي الاستاذ أمر الله بليغ لانه كان أكفأ رئيس وأنشط رئيس والحماس دايما ماسكه من زوره ٠ مهما اختلفت معاه ف المبادىء لازم أعترف ان ف عهده النادى مشى زى الساعة ٠ كان يعمل كل حاجة وبعدين ياخد أصوات ٠ ايه الفايده ؟لكن عمره ماغلط ، ودا معنى الدكتاتورية المستنيرة ٠

أنا لازم أحييى نادى الفراعنة لانه علمنى الخدمة العامة وروح التعاون ٠ ف عهد خشبة اتعلمت مسئولية « النايب » اللى له صوت وضمير يحسب حسابه ٠ وف عهد بليغ اتعلمت أبقى «فنى» مالوش صوت ومعلهش مسئولية لكن له رأى يتسمع ويتوزن ٠

دا عمل طيب ودا عمل طيب ،والاثنين كانوا ديما ماشيين على حرف حرف غويط ٠ المبادىء رخيصة ، والعبرة بالرجالة ٠

الشاطئ المسحور

الشتا كان شديد قوى ف ديسمبر ١٩٣٨ . كل الجرايد كتبت انه كان من أفظع الشهور اللى فاتت على أوروبا ف الخمسين سنة الاخيرة ، وكانت كل صبح تديلك احصاء مقارن عن الحرارة . لندن وصلت كذا تحت الصفر ، باريس كذا برلين كذا وموسكو كذا . كله تحت الصفر . أنا بالاخص حسيت بالبرد عشان السنة اللى قبلها ماحسيتش بيه . أى واحد كان عنده عطلة وفلوس كان لازم يفكر انه يهرب للجنوب ، الجنوب قوى اذا أمكن . أنا كان عندى عطله لكن ماكانش عندى فلوس ، الفكرة جت وراحت . كنت مشغول قوى ف حتة بحث ع الأدب الانجليزى بعد الانقلاب الصناعى . وما صدقت وصلت لحته الواحد يقدر يقف عليها والفكرة جت تانى .

رحت البنك بتاعى أطلب سلفية ، المدير قال مافيش مانع ، بس عاوز ورقة من المؤدب بتاعى المؤدب بتاعى قال مافيش مانع وكتب ورقة لمدير بنك باركليز فرع شسترون رود اللى كنت باأعامله ، يقول فيها انى شخص مضمون . تانى يوم الصبح مش قادر أنساها لحد دلوقت . كان عشرين ديسمبر . طلعت من البيت حوالى عشرة وكنت لابس بالطو تخين وفوق البالطو

بالطو مطروفوق بالطو المطر الروب بتاع الجامعة وحوالين رقبتى الكوفية الصوف بتاعة الكلية اللى طولها متر ونص والبرنيطه مكبوسة ف رأسى زى الحلة والجوانتى على ايديه بينقط زى مناخير واحد مزكوم • المسافة كلها كانت عشر دقائق • كنت ماشى بمنتهى الاحتراس ع التلج أحسن آخذ لى هدرين ، وطـريق فيكتوريا مكشوف قدام عينى ومنحدر ومفروش بالقطن الطبى البارد والبنك شايفه ف وشى هناك ف آخر الشارع •

بقيت ماشى زى الانسان الميكانيكى اللى زيته نشف وعدته بتشفط • مناخيرى كانت مش موجودة • ودانى دى الدم وقف فيها ومش بطلت تسمع بس انما ماكنتش حاسس بيها خالص بس كنت شايف مية دافية بتشر على شـفايفى وكل ماأحب أمسح مناخيرى ف الجوانتى دراعى مايرضاش يتحـرك • اللى يشوفنى من بعيد كان يشوف حزمة هدوم بدراعات مفرودة زى غراب المقاته • وأبص على مدى الشارع النازل ألاقى التلج لسه صافى وسليم كأنه نزل من كوكب على كوكب مش مأهول. مافيش أثر لرجل انسان ولا خط سابته بسكـــليته ولا طين كشفته للسطح عجلة تقيلة • عرفت ان الناس خايفه تطلع وان عربية الفحم لسه مافاتتش • بعد نص ساعة بالظبط كنت على باب البنك • من سـكات الصراف عطانى خمسـة وتلاتين جنيه ولما جيت أمضى الشيك ماعرفتش • الريشة وقعت تلات مرات • قلعت الجوانتى وحطيته ع الترابيزة شفته بيتنفض زى ضهر القطة اللى سيدها ضربها •

رحت لشركة بل بتاعت السياحة قدام الكلية بتاعتى واستلمت تذاكر • سكة لندن ــ دوفر ــ كاليه ــ باريس كانت غاليـة شوية عشان كدا دايما كنت أحجز تذاكر ف سكة لندن ــ نيوهافن ــ دييــ باريس • ورحت للاستاذ بتاعى أحكى له ع الشغل وأقول له مع السلامة ورجعت البيت ومليت الشنط زى العادة بالكتب وقفلت ماكينة الكتابة بتاعتى وهزيت ايد مسز ويلكسون وزقيت ع المحطة •

سيبك من اللى حصل ف السكة أو ف لندن أو ف نيوهافن • ماشفتش حاجة مهمة غير شوية البنات والصبيان اللى دايما تلاقيهم كل ديسمبر ف محطة فيكتوريا لابسين بنطلونات كحلى

بتاعت زحلقة ع التلج وشايلين العوارض الخشب بتاعت الزحلقة ورايحين « القارة » يتزحلقوا ع الجبال • المانش كان وحش ف كل حتة ، ف النص الانجليزى وف النص الفرنساوى، وأنا البحار الكويس لقيت نفسي بعد ساعة غدد بقى كلها تفرز لعاب مالح • أغلب المسافرين كانوا طبعا بيفضوا بطونهم ع السراير وع السلالم وع الدك ، واللى لحقوا حتى يوصلوا حافة المركب بقوا ميه مالحة ف القناة المالحة • أنا أخدت لى كام وسكى عشان أعقد نفسي ورحت متمدد وبعد ساعتين راح الصداع والأرف والمرحلة خلصت •

قبل ماأنزل دييب طبعا قعدت أتفرج على الشاطىء المسحور، ع المنارة وع الكنيسة اللى قايمه على ربوة عالية والموج بيضرب ف الربوة افتكرت «الجو» اللى كنت باأعيش فيه وأنا سنى اتناشر سنة أيام ماكنت باأقرأ ف رواية القرصان – «سيركوف» عن سان مالو وأمواج المحيط ا[illegible]سى اللى بتضرب طول الليل ف بيوت الصيادين والمهربين • [illegible]دوا السلم للبر رحت شايل ف ايد شنطة الكتب الصغيرة اللى دايما باحط فيها غيارين كل ماأسافر ، ف الايد التانية شلت الرمنجتون بتاعتى •

وأنا نازل ع السلم شفت جنبى برونات لابسه حشمة واسبور ف نفس الوقت شايله شنطة كبيرة قوى • ماعرفتش جنسيتها ايه ، قلت لها بالانجليزى :

– أقدر أساعدك ؟

– متشكرة •

رحت عاطيها الشنطة الصغيرة وأخدت شنطتها الكبيرة ومشينا ساكتين • وكام مرة تقريبا تهنا من بعض ف الزحمة لكن أول ماوصلنا الجمرك دورت على بقية الشنط لقيت الشيال حارسها ووقفنا ف الصف قدام البنك الطويل كل واحد فرد حاجاته وموظف الجمرك السقيل لازم يشوف كل الشنط ، وينعكش كل الهدوم ولازم كمان يفتح الرمنجتون ماتكلمناش كتير ، لكن من لدغتها عرفت انها فرنساوية • نهايته • وصلنا القطر يدوبك قبل مايقوم وما لاقيناش ديوان ياخدنا رحنا واقفين ف المشاية من دييب لحد باريس من دييب لحد باريس حصلت حاجات كتيرة • قلبى اتفتح وقلت لها حاجات كتيرة عن نفسى

وهى حكت لى حاجات كتيرة عن نفسها ، ولما القطر صفر عند بونتوازبقينا أصحاب عرفت ان اسمهامادلين بيرنيه قعدتسنة ف لندن وانها مش هاتبات فباريس غير ليلة واحدة وبعد كده هاتسافر شهر ف البرانس الواطية عشان تشوف أهلها وانها بعد أجازتها ترجع باريس تشتغل • قبل مايدخل القطر باريس بزمان السادة كنت باكلم الحشمة والطيبة نفسهم جوا البلطو الصوف البنى السادة اللى كان بيتحك ف البالطو الصوف المقلم بتاعى • حسيتانى فتجربة هاتنتهى قبل ماتبتدى • قلت ف عقلى هو السرور دايما عمره زى عمر الزهور ، وأنا ماليش حق أنتظر غير كدا • القطر دخل باريس وخفت وزيق ووقف ف محطة سان لازار • قلت لها :

ـ مش تفتكرى حقنا نحتفل بصداقتنا القصيرة دى ؟

ـ انبسطت من الفكرة ، ويدوبك اتخلصنا من العفش. واتفرجنا على تلج باريسالخفيف اللى نصه كانساح ونصهكان معجون بالطين ورحنا نازلين ع البلد نتفسح • مادلين أخدتنى حتة اسمها بلاس دينالى وقالت لى استنى هنا عبال ماأشوف واحدة صاحبتى عشردقائق بس وهاأجيلك ف القهوة دى • قعدت ف القهوة مش أفكرف اللى هاعمله الليلة لكن ف اللى هاعمله لما تسافر صاحبتنا • كان أغلب اللى ف القهوة عمال لابسين بيريهات ، بيشربوا ويلعبوا بلياردو • شفت القزايز مترصصة أشكالوألوانقلتأنالازم استحمى الليلةبالشمبانيا، اشتريت تلات قزايز شمبانيا كل قزازة كلفتنى ٢٣ فرنك يعنى أيامها حسبة ١٤ قرش وقزازةسوترن كلفتنى ٢٧ فرنك وأخدت لى كاس ابريتيف سانزانو عالبار واتلخمت شوية ف الفلوس الفرنساوى ز « قريتها » كلها مرتين تلاته قبل ماأسلمها للجرسون واتمشيت اتفرج على البلياردو • كل دا حصل ف عشرين دقيقة وصاحبتنا لسه مارجعتش • ابتديت أتضايق عشردقايق كمان برضهماجتش • فكرت أقوم ماجتش قلت ف عقلى ايه شنغل المصريين دا • قعدت أسأل الجرسون احنا فين وازاى أطلع من الحتة دى وازاى أوصل محطة سان لازاريف وسط الكلام بصيت لقيت صاحبتنا داخله بتلمع وتنور • عرفت انها لازم استلفت من صاحبتها مشط وقلم

أحمر وفرشة هدوم وفوطة وش ٠ الحمد لله اللى جت لكن أنا لسه متضايق ٠ اعتذرت ماردتش ٠ شرحت أسباب ماعملتش تعليق ٠ وف الآخر غيرت أنا الموضوع وحكيت لها على البضاعة اللى اشتريتها واحنا ماشيين باحتراس ع الميدان المزحلق ٠

ماروحناش سينما ولا تياترو ولا مرقص ، لكن انبسطنا خالص ٠

وف الصبح رحت ودعتها على محطة الجنوب جاردورسيه ولما رجلى طلعت من المحطة بصيت ورايه أودع كل الناس اللطاف ف الدنيا اللى ماأعرفهمش ف شخص مادلين بيرنيه ، وهزيت راسى وبصيت قدامى ونسيت بسرعة شواهد هذا الماضى وما افتكرتش غير انى سايح جاى أشوف باريس وأقابل مندور ٠ ابتسمت وأخدت تاكسى ع الحى اللاتينى ٠

أول حاجة دورت عليها ف الحى اللاتينى كانت ٥٣ بولفار سان جرمان ، عنوان الاستاذ عبده فراج ٠ بعدما أخدنا بعض بالحضن وقعدنا نتبادل الذكريات نزلنا نسرح ف البلد فراج كان راجل طول عمره جد ف جد من بيته للمدرسة ومن المدرسة للبيت ، عشان كده مافرجنيش غير ع الحاجات الظاهرة قوى ٠ لما كنا ف الجامعة ف مصر سوا كنا ساكنين مع بعض ، وكنا متفقين ان احنا الاتنين نروح بعثة ف وقت واحد ــ كان المسألة ف ايدينا خلاص ــ هو ف باريس وانا ف لندن ونبقى نزور بعض ف الاجازات ٠ أنا بريت بوعدى وزرته ف تلات أجازات لمدد طويلة وهو عمره ماجه ٠

المرة دى مندور تعب معايه صحيح لدرجة انى بعد كدا قدرت أقف على رجلى واستغنى عن الارشاد ٠ كل مرة رحت فيها باريس بعد كدا بقيت عارف سكتى وف الآخر فات على وقت بقيت عارف باريس ز ماأنا عارف مصر ٠ المرة دى كان تانى مرة أروح باريس وسكنت برضه ف الحى اللاتينى ٠ سكنت ف لوكاندة كازيميرى لافينى ف شارع كازيميرى لافينى ورا كلية الطب لطع ٠ انما لما رجعت باريس تالت مرة ورابع مرة بقيت أسكن ف رقم ٨٣ بولفار برتييه ف شارع بعيد عن دوشة البلد ٠

كان مفروض ف البروجرام بتاعي اني أحضر الكريسماس وعيد رأس السنة ف باريس وأشوف الفرنساويين بيهيصوا ازاى • قالوا فيه رقص ف العمودية بتاع الحى اللاتيني رحت لابس ورايح من غير تردد لقيت صالة كبيرة وف الصالة ناس كتار وفرقة المزيكة ف آخر الصالة لكن كان فيه حاجة غريبة حوالى ماشفتهاش قبل كدا ف مراقص انجلترا • لقيت الصف الشمال •

لقيت الصف الشمال كله ستات عواجيز بين الاربعين والخمسين ، لابسين لبس سهرة لكن ألوان حشمة وتفصيل حشمة •مافهمتش ايه الحكاية • فانجلترا كنت أحيانا تلاقي ف كل مرقص سبع تمن ستات عواجيز مخلوطين بنسبة معقولة ف جمهور الشباب اللى بيرقصوا مش راضيين يقبلوا الحقيقة الاليمة • ان زمانهم فات وان مكانهم جنب دفايات البيوت • برضه تلاقيهم بيشربوا ويرقصوا ، غالبا مع رجاله من سنهم ان كنت راجل عندك قلب انسانى تفهم وتعذر بس تتأسف ع الوقار اللى بيضيع ف صالات اللهو • وان كنت راجل احساسك ميت وخيالك محدود تضحك وتستهزى كل ماتفوت قدامك واحدة رقبتها مليانه تجاعيد ولحمها التحتانى مرخرخ تحت الفستان ورجليها محنية شوية • أنا لما شفت الستات الكبار دول قاعدين ف صف واحد قعدت أفكر .دول جايين يرقصوا طبعا • طب وليه مرصوصين كدا ؟ دا مش من مصلحتهم • لقيت بنت جميلة طويلة باين عليها النعمة لابسه تللى أبيض مفضفض زى العروسة ليلة الزفاف وديل فستانها نايم ع الارض جنبها كأنه كلبها الآمين • كان شكلها من بعيد زى صورة من ريشة رومنى •طلبتها رقصت معايه • رقصنا كام مرة حوالين الصالة وبعدين خطر لى أسألها عن الستات العواجيز اللى قاعدين ع الشمال • قالت لى ان دول شابيرونات مش جايين يرقصوا انما جايين يحرسوا البنات اللى ف الرقص • فهمت كمان منها ان كل واحدة من الستات العواجيز دول ــ واخده بالها تمام اذا كانت بنتها أو بنت اختها أو بنت عمتها رقصت مع «الفارس» بتاعها مرتين وتلات مرات، عشان مفروض ان البنت ماترقصش مع شخص واحد مدة

طويلة . سألتها ليه ، قالت لى ان الولد والبنت اذا رقصوامع بعض مدة طويلة يمكن يبتدوا يستلطفوا بعض ويعملوا علاقات ودا مش كويس . قلت معقول وابتديت أصلح الخطوات بتاعتى ع المزيكة وأرقص كونجا زى خلق الله بعدما بوظت لها جزمتها من كتر الدوس والتكعبيل .

دى كانت ليلة الكريسماس . الساعة واحدة زهقت من الرقص رحت واخد الاشارب والبالطو وعبده فراج وخرجنا من عمودية الحى اللاتينى ودخلنا سينما بول ميش سينما حقيرة بأربعة خمسة فرنك لكن سهرانه للصبح أنا فاكر تمام ليلتها كان فيه رواية لدانييل دارييه مع هنرى جاراه اسمها « ولد شقى » ف نص الفلم حصل عطل كبير ف العدة . ياسلام ع الدوشة والتصفير والخناق اللى عملوه الزباين تمام زى الترسو بتاع سينما أوليمبيا ف مصر لمايقولوا هاتوا فلوسنا ، سيما أونطه . قلت ف عقلى الحاجات دى مش ممكن تحصل ف انجلترا . العطل جائز يحصل لكن النظام قبل كل شىء . أنا متأكد ان لولا العدة مشيت تانى لابد كان حصل ضرب وشوشره . لكن جت سليمة . وشفنا الفلم لحد كلمة انتهى .

أنا طبعا كنت مبسوط من الهوسه دى . أهو كله هيصه . ولما خرجنا من السنما كان باقى ع الفجر حاجة بسيطة قلت بلاش نوم . صاحبى سابنى طبعا لانه راجل موزون بيفكر ف عواقب السهر ولانه زهقان من باريس . دخلت الديبون لاتان لقيت النور اللى فيه ينور محل زى جروبى والامريكين الجديد والامريكين القديم كلهم مع بعض أسبوع كامل . الواحد منين مايلاقى نور ضرورى يلاقى ظلال لكن دا من كتر النور توزيعه محى الظلال . حتى ترابيزة البلياردو كنت تقدر تقعد تحتها وتقرا قعدت مع ناس ما اعرفهمش والناس اللى ما اعرفهمش لبسونى طرطور .. قعدت اشرب كوكتيل ورا كوكتيل واخطف طراطير الناس لحد الخيط الابيض ما بان من الخيط الأسود والميكروفون بتاع القهوة بيغنى اسطوانه واحدة مافيش غيرها لموريس شيفالييه كل ما تخلص تتعاد اربعة وعشرين ساعة ف اليوم .. وف الفجر قعدت اشرب قهوة بيضا ورا قهوة بيضا لحد صوت المترو اللى فايت تحت نهر السين ما قال لى أن عيد

الميلاد انتهى وحركة المرور ف شارع سان ميشيل قالت لى قوم خد حمام واعمل عمل منتج ..

بعد كدا بقيت أروح السوربون لوحدى وادور وأدعبس على خفايا باريس ومعالمها من غير دليل ..شوية شوية استغنيت عن الاستاذ مندور لدرجة انى بقيت اروح الضواحى لوحدى .. مرة مثلا كنت ف السوربون العصر باسأل عن مقررات ونظام المحاضرات عشان ما اقارنه بالتعليم الانجليزى وهناك اتعرفت بواحدة ست فرنساوية عمرها حوالى خمسة واربعين سنة الغريب بيبان عليه وانا كنت ساعتها دايخ وباسأل .. صاحبتنا رأفت بحالى ومشيت معايه وفرجتنى على كل الانفتياترات والحتت اللى كانت فاتحة وشرحت لى كل حاجة انا عاوز اعرفها .. بعد كدا لقيت انه من الذوق انى اقول لها تجى تاخد شاى معايه .. رحنا باتيسيرى قصاد الديبون لاتين وهناك عرفت منها ان اسمها مدام توليه وانها بتحضر محاضرات الادب بانتظام وانها متجوزة موظف كبير ف وزارة الاشغال وعندها بنت اسمها فرنسواز عمرها خمستاشر سنة وانهم ساكنين فضاحية مونروج وانها عايزانى أقابل جوزها وآخد شاى معاهم ف بيتهم اخدت العنوان وبعد يومين رحت بنفسى مونروج وتهت خمس ست مرات ف السكة ، ان كان ف المترو والا ف الشوارع وف الآخر برضه وصلت فالميعاد بالظبط .. عرفتنى بعيلتها واحد واحد والجماعة كانوا لطاف قوى معايا لكن حسيت طول الوقت كأنى لابس بدلة تشريفة أو كأنى وزير مفوض ف حفله رسمية . مدام تورليه طبعا عملت كل اللى تقدر عليه عشان تخلينى أحس فبيتى لكن الحقيقة انا انلبخت .. اكتر حاجة لبختنى طبعا كانت فرنسواز .. اول ما دخلت الصالون امها قالت لى ..

ـ دى فرنسواز بنتى ..

أنا مديت ايدى شوية عشان أسلم عليها بصيت لقيتها مسكت فستانها اللى مليان كشاكيش من الجنبين وراحت نازله على الارض فلى نص ركبه .. رحت ساحب ايدى بسرعة واتلخمت ماعرفتش اعمل ايه .. ياترى المفروض انى اطلع مونوكل واحطه على عينى واخبط الكعبين ف بعض واحنى راسى واقول

« انشانتيه » زى ما بيعملوا ف الروايات ٠٠ ياترى مفروض انى اخد ايدها ف ايدى وارفعها لشفايفى واطبع عليها بوسه مؤدبة واقول بشكل دراماتيك « مد موازيل خدامك المطيع » زى ما باشوف جورج ساندرز بيعمل ف السينما قلت كلمتين بالفرنساوى ماحدش سمعهم معناهم انا سعيد اللى عـــرفتك يامدموازيل وصوتى اتحبس دقيقة وحسيت انى كل كرسى ف الصالون بيزعق فى ٠٠ همجى بارباز ٠٠ لكـــن المســألة انتهت بسلام لان مدام تورنيه بسرعة قدمت لى ســـيجارة وعرضت على انى أتفضل أقعد ٠٠ كان واضح ان عيلة تورليه بورجوا مافيهاش دم ازرق ولا حاجة والحال كان من بعضه ٠٠ لكن شوف ازاى البورجوازية لما تقدم ف بلد تقوم تعمل التقاليد بتاعتها وحتى تسرق حاجات كتيرة من طبقة الاشراف اللى هيه هدمتها ف الثورة الفرنساوية لما الحكاية هديت شوية انا كنت لسه باافكر ف الموضوع ٠٠ فكرت ف الطبقة المتوسطة بتاعت مصر ازاى ظهرت لما محمد على فتح ديوان الافندية اللى بعـــد كدا تتطور وأصبح الحكومة المصرية ، وازاى قعدت ميت ســنه ف البلد من غير ماتعمل لها تقاليد ولاشكليات ولا حتى صفات عامة تميزها عن بقية الطبقات ٠. دا سر لبختى ف الحقيقة ٠ والموقف كله كان عبارة عن واحد بورجوازى عتيق بيلعب على واحد بورجوازى جديد ٠٠ بعد ربع ساعة اتنقلنا بزينا للسفرة عشان الشاى ، وع الشاى قعدنا نتناقش ف الادب ٠ والفروق بين راسين ـ وشكسبير ٠٠ موضوع غريب شوية ٠ طيب انا معقول اتكلم ف موضوع زى دا ومدام تورليه كمان عشـــان بتروح السوربون ف سن خمسة واربعين ٠٠ لكن مسيو تورليه مهندس الكبارى ايش عرفه بالحاجات دى ؟ اسأل انت واحـد مدير اعمال ف الرى والا مأمور جمرك ف مصر يقولك ياابنى أنا مهندس أو دكتور أو أى حاجة وماليش فى الأدب ٠٠ روح أسأل أستاذ ف كلية الآداب ٠٠ الحقيقة الموقف كله كان غريب شوية ٠٠ ابص للست اللى قدامى وافكر ف بنات الجامعة ف مصر ازاى بيدخلوا الجامعة لحد ماتجى لهم جوازه وأول مايجى العريس يسيبوا الجامعة ف نص السكة ودى اللى قدامى شعرها ابتدا يشيب وبنتها على وش جواز ولسه مثابرة ع التحصيل فرانسواز مافتحتش بقها طول الوقت ماأعرفش ليه ٠٠ قلت

يمكن من باب الاحترام للجماعة الكبار اللى قاعدين ··· قلت يمكن ماعندهاش حاجة تقولها مسيو تورليه قال انه يفضل راسين طبعا ، وانا قلت ان افضل شكسبير طبعا ومدام تورليه مسكت العصاية من الوسط وقالت حاجة معناها انها تفضل الاتنين على بعض ان كان دا ممكن ·· هى طلعت اعقلنا بطبيعة الحال ، والباقيين مافتحوش بقهم مدة ساعتين ·· أناما استغربتش ان مسيو تورليه أو اى واحد فرنساوى محافظ ف ثقافته يفضل راسين على شكسبير ·· انا كنت عارف ان اهمية راسين ف فرنسا زى أهمية الدستور الانجليزى ف انجلترا ·· آدى زيادة عن عشرين سنة واحد اسمه مسيو فوشوا كان عامل سلسلة محاضرات عن راسين ف تياترو الاوديون بباريس وانتقده نقد شديد وحتى قال ان فيكتور هيجو ف حاجات كتيرة احسن منه ، قام الجمهور اللى بيسمع اتحمس قوى واتقسم صفين · صف مع راسين وصف مع هيجو وهات يا ضرب ف بعض ·· بعد كدا البوليس حاصر الاوديون ومادخلش الناس الا بتذاكر ·· دا يوريلك معنى راسين عند الراجل الفرنساوى المحافظ ··

بعد ساعتين كنت تانى ف الشارع باتحسس طريقى لباريس وف المترو قعدت أفكر فى اللى شفته وسمعته ··

زى اغلب المصريين اللى على نياتهم انا كنت فاكر ان فرنسا بلد الاباحة والحرية اللى مالهاش حدود ·· بعد ماشفت بنات الاسر ف عمودية الحى اللاتينى رايحين الرقص محروسين بقرايبهم عرفت ان فيه حاجات ف فرنسا انا مش فاهمها سألت الناس اللى بيفهموا قالوا لى ان فرنسا مش باريس ·· عرفت ان الفرنساويين شعب محافظ زى اغلب شعوب البحر الابيض المتوسط أو على الاصح زى اغلب – الشعوب الزراعية وبالاخص ف الريف ·· عرفت ان الحرية اللى بيحكوا عنها دى ف باريس ليس الا لأن باريس عاصمة العالم اللى عاوز يتفسح ومدينة معمولة للاستهلاك الخارجى عرفت ان ف الجنوب بتحصل احيانا حوادث قتل اذا بنت سلوكها خسر شوية زى مابيحصل عندنا ف الصعيد ·· وكل مرة أعيش ف فرنسا واختلط بالناس المعقولين أنسى قلب المترو بوليس وافهم ازاى العالم

واخد فكرة غلط على الفرنساويين ٠٠ أنا بس أذكـر الحاجات دى عشان الناس المخدوعين اللى بيقولوا ان فرنسا اتهزمت ف الحرب من كتب الفساد الخلقى ٠٠

زى أغلب المصريين اللى على نياتهم برضــه أنا كنت فاكر الانجليزأكتر شعب يحب الشكليات عشان قضاه ف انجلترا لسه بيلبسوا شعر مستعار وتلامذة الجامعات بيلبسوا روبات وحراس برج لندن بيلبسوا نفس البدل اللى اسـلافهم كانوا بيلبسوها فى عصر أسرةتيودور عشان الحياة العامة الانجليزية مليانةطقوس ومراسيم ٠٠ القضاه مايفتحوش الدورةالقضائية الا بموكب ٠٠ عمدة لندن يزفوه ف السنة مرة ٠٠ عمــدة مااعرفش ايه يوزنوه بالميزان ٠٠ لكن بعــد مااختبرت الحياة الفرنساوية عرفت ان الفرنساويين شعب يحب الشــكليات خالص ٠٠ انا طبعا مابافكــرش ف اسرة تورليه اللى مليانة انحناءات وابتسامات ولا ف فرنسواز الصغيرة وهى بتسلم على طريقة القرن التاسع عشر ٠٠ انا باافكر ف عشرين اسرةتانية احتكيت بيهم وشفت فيهم دقة متناهية ف السلوك الاجتماعى

النهارده الصبح باافتح المذكرة بتاعتى بتاعة ١٩٣٨ لقيت فيها حاجات لطيفة قوى لكن مش مهمة وشخصية ومافيش داعى أدوشك بيها ٠٠ اذا كنت عاوز تعرف نوع المغامرات بتاعتى ف باريس هاديلك امثلة ٠٠ مكتوب ف النتيجة ٠٠ التلات ٢٧ ديسمبر ٠٠ الليلة قابلت مندور وطلعت اباظة بعد العشا ورحنا سوا كاباريه شانغهاى وبعد نص الليل رحنا مونبارناس وقعدنا ف قهوة الكوبول وشربنا شوية ٠٠

الاربع ٢٨ ديسمبر النهاردة قابلت ابراهيم صفوت بتــاع كامبرديج ف بولفار راسباى وعرفته بعبده فراج ٠٠ الساعة سبعة ونص عزمنى ابراهيم عبده ومدام عبده وعلى عيسى ومدام عيسى واتعشينا كسكسى ف قهوة اسمها الكتبيه ف شــارع اسمه المدارس بتاع واحد مغربى اسمه عبد القادر ٠٠ القهوة زى الغرزة تماما ٠٠ واحنا بناكل جم اتنين شبان من تونس وشاب ارمنى وقعدوا يغنوا ع العود ف منتهى السخافة كمان غنوا النيل نجاشى والهوى والشباب وحب الوطن فرض على انا ملاحظ ان فيه مجهود عشان الجماعة دول يوجدوا جو شرقى

لكن الطريقة غلط جت واحدة رقاصة تركيه مش احسن من أى بنت عند بديعة وقعدت تهز ف نفسها شوية ·· طبوا علينا شوية انجليز سواح طبعا ، عشان يتفرجوا ع الرقص الاورينتال أنا قرفان ·· طلعنا من الكتيبة ورحنا قهوة السورس ف شارع سان ميشيل لقينا شلة مصريين وواحد عراقى بيتناقشوا ف الوحدة العربية ··

الخميس ٢٩ ديسمبر دخلت تياترو الاوديون وشفت « حانة مكسيم ، رحت الديبون وقعدت جنب بنتين ·· قالوا لى انهم كانوا بيشتغلوا ف مصنع شربات ودلوقتى مش لاقيين شغل ·

الجمعة ٣٠ ديسمبر مندور اخدنى جامع باريس · العمارة لطيفة لكن فيه خمارة جنب الجامع اتغدينا ف مطعم صينى ورحنا ريفولى واللوفر والشانزيليزيه ··

السبت ٣١ ديسمبر قابلت داود فودة بتاع كامبردج واتفسحنا ف كاباريهات مونبارناس ··

الحد ١ يناير عزمت عبده فراج ومدموازيل ماس فرير ع الشاى ف قهوة تريومف ف الشانزليزيه ··

الاثنين ٢ يناير اخدنى عبده فراج الكوميدى فرانسيز وشفت مفاجأة الحب ·· بتاع ماريفو والمريض الموهوم ·· بتاع موليير ··

التلات ٣ يناير رحنا حوالى عشرين مصرى محطة ليون نودع الملكة نازلى والاميرة فوزية لقينا حوالى خمسين شاب ايرانى واقفين صف ومتحمسين خالص ··· ابراهيم عبده كان لابس طربوش وحده وكان شكله غريب ·· رجعنا الديبون ولعبنا كونكان دكرورى ومدام ابراهيم عبده ووديع عبد الملك وربيع غيث والمرجوشى ·· قمت خسران ··

الاثنين ٩ يناير مندور اخدنى يفسحنى طول النهار ·· رحنا كنيسة المادلين وكنيسة السكركير ودير البنديكتين اللى جنبها ، اخدنا الشاى ف بلاس دى ترتر شيك الماهية معايه ومش عارف اصرفه · رحت بنك باركليز ف شارع ٤ سبتمبر وقلت له على اسمى وكليتى قام أخد الشيك وعطانى خمسة جنيه وحول الباقى ع البنك بتاعى ف كامبريدج انا ارفع برنيطتى

لمدير بنك باركليز ف باريس · لو كان دا مصرى كان خلانى
اجيب الساعى بتاعى عشان يضمنى على حواله بجنيه · على
عيسى ومدام عيسى اتعشوا معاى ·

التلات ١٠ يناير ف الصبح مندور قابلنى ف التروكاديرو
عشان يفرجنى على متحف الفن الحديث مالقيناهوش · طلعنا
برج ايفل واتفسحنا ف غابة بولونيا ·· بعد الضهر عبده
فراج اخدنى يفرجنى على مدينة الجامعة ··

الاربع ١١ يناير النهاردة الصبح عبده فراج اخدنى فرساى
بعد الضهر رحت واخد شاى عند مدام تورليه ف مونروج ··

الخميس ١٢ يناير لعبت كونكان ف الديبون وقمت خسران

الجمعة ١٣ يناير رجعت النهاردة انجلترا ولما وصلت
كامبريدج مالقيتش صاحبة البيت ف البيت قام نمت ف بولز
هوتيل

دا التاريخ المكتوب ·· لكن التاريخ اللى مش مكتوب أطول
من كدا بكتير فيه صفحات جميلة وصفحات مؤلمة وصفحات
مخزية ·· انا لما اقول لك مثلا ان مندور اخدنى الساكركير
ولا عبده فراج أخدنى فرجنى أهى دى جملة انت تقراها
وتعدى ·· لكن عندى انا ، ف عقلى انا دى كنز من الصور
الدهبية والذكريات اللى بتدى طعم للحياة ·· كمان لما اقول
لك انى النهاردة رحت الديبون تقول ف عقلك وايه يعنى مش
يعنى رحت قهوة وقعدت فيها ساعتين وقمت ·· لكن ف عقلى
انا دى بداية حكاية طويلة محزنة ·· بلاش اذكر اسامى وكل
واحد عارف نفسه ·· انا كنت اروح الديبون الساعة اتنين
الضهر الاقى الدور الفوقانى فيه جماعة مصريين اغلبهم من اللى
بيتعلموا على حسابهم أجفانهم مليانه نعاس قاعدين بيتغدوا وبعد
مايتغدوا يلعبوا بوكر لحد الساعة سبعة والساعة سبعة يطلبوا
عشا وبعد العشا يلعبوا بوكر تانى لحد الساعة اتنين ·· لحد
ماييجى رئيس الجرسونات ويقومهم بالعافية وينزلوا من
الديبون ع الباتيسرى اللى قدام الديبون لزق ويشتروا أربع
خمس دست جاتو ، وبعدين يفردوا رجليهم لحد بلاس جيسييه
وهناك يسيبوهم واحد ولااتنين ويرجعوا ومعاهم حتة حشيش
وبعدين الشلة كلها تتنقل لبيت واحد منهم ويفضلوا يكركروا

ف حتة الحشيش ساعتين ، وف الآخر واحد منهم يقف علـى رجليه ويقول للاخوان ..
– عن اذنكو بقى . أنا عندى معاد مع البت بتاعتى الساعة خمسة ف مونبارناس ..

الحكاية دى كانت تتكرر كل ليلة تقريبا انا فهمت ... أول ماتعرفت بالشلة دى وعزمونى من غير ذكر التفاصيل قـلت مافيش مانع ، اهى كلها فرجه على باريس .. ولما عـرفت اللى فيها قعدت اتفرج ف منتهى الادب والاستعجاب . ورحت تانى عشان أشوف مفاجأة جديدة ماحصلتش مفاجأة عـرفت ان دى كل حاجة عندهم .. طبعا النوع دا مافيش فايدة انك تنصحهشاب عمره خمسةوعشرين سنة ومدمن مخدراتومدمن قمار ومافيش فايده تناقشه .. أبسط حاجة فيها يقول لك وانت مالك يا بارد .. الشخص اللى صاحبته تدى له مواعيد الساعة خمسة الصبح ف قهوة تبقى صاحبته دى ايه ؟ لازم ست بطاله ويبقى هوه ايه ؟ لازم راجل بطال ..
المسألة دى مهمة عشان الطلبة المصريين اللى بيعملواالحاجات دى كتار ومش ف فرنسا وحدها .. النادى المصرى الملكى ف لنـدن مثلا فيه اوده اسـمها البريدج زى الدور التانى بتاع الديبون تمام .. برضه تلاقى فيها شلة أو شـلتين قايمـين نايمين فيها ،النادى يشطبالساعةعشرة ينزلواجماعةويروحوا يتعشوا ف الكورنر هاوس بتاع الماربل ارش ، ومن هنـاك يروحوا يكملوا السهرة ف بيت واحد فيهم ، غالبا لحد الصبح اهم دول يروحوا انجلتره ويقعدوا اربع سنين مايستفيدوش بنكله من وجودهم ف انجلترا ..

قعدت ف باريس تلات اسابيع وانا ع الحال دا . كل يوم ليه رحلة وكلليلة ليه جولة وكل دقيقة تفوت عليه لازم اطلع بحاجة . تعرف لما كنت الاقى نفسى قاعد مع جماعة نصساعة ف الحى اللاتينى ومابنعملش حاجة ، اقـول لهم عن اذنكـو يا اخواننا واتمشى تلات دقايق لحد محل « شانتكلير » بتاع الاسطوانات ف شارع سان ميشيل واشترى شوية ماركات احطهاف عدة ليها سماعات زى بتوعالتليفون واحطالسماعات على ودانى واسمع السيمفونية الخامسة بتاع بيتهوفن بخمسة

ستة فرنك ٠٠ أو أوصل لحد جنينة لوكسمبور واقف اتفرج ع التماثيل واحد واحد ٠ أو ألف حوالين البانتيون اشـــوفه مركب ازاى واعد عواميده واملا رئتى من جو الخالدين ٠٠ ومن كتر الانهاك اخدت انفلونزا شديدة ومع ذلك بقيت دايراكح واعطس ف الشوارع وابلع البرشام ع الواقف كأنى باكـــل جيلاتى عند توت عنخ آمون ٠

أهى باريس زى ماباوصفها دلوقت مش باينه زى الشاطىء المسحور انما زي الدوامة اللى تخلى الواحد يلف حوالين نفسه لحد ما يقع من الدوخه ٠ أهو أنا فتلات أسابيع شـفت كل حاجه مهمة فباريس ، شفتها خطف ، زىالسايح اللىاتفتحت قدامه مره واحدة كنوز المصريين ونفايس الهنود قام عنيـــه زاغت وشافكل حاجة وماشافشحاجه حتىالعواميدالرومانية اللى ف الحى اللاتينى شفتها وقعدت عالقهاوى السحرية اللى فافينى فاجرام ٠ برضه المره دى باريس فاتت علي زى مائدة آريل ، لكن لازم أعترف انى أكلت منها علي قد ماقدرت ٠

بعد كده رجعت باريس تانى وقعدت فيها بالشهور بقيت زى الجواهرجى اللى يمسك حتة الماز ويحقق فيها كويس وان لاقاها فالصو يرميها علي جنب ٠ رحت فرساى ورحتماليزون ٠٠ مارحتش فرساى عشان أتفرج علي صالة المرايا أو البانيو بتاع لويس الرابع عشر ٠ مارحتش ماليزون عشان أتفرج علي سرير نابليون والريجاليا بتاعت الامبراطورة جوزفين ٠ انما رحت عشان أشوف الفرق بين فرنسا الملكية وفرنساالجمهورية ٠٠ بين فرنسا بتاع عهد الاشراف وفرنسا بتاعت حكمالطبقة المتوسطة رحت أشوف الثورة الفرنســـية عملت ايه فالفن الفرنساوى وأعرف فرنسا كسبت ايه وخسرت ايهمن الدوشة اللى عملتها سنة ١٧٨٩ وصدعت أركان الحضارة ٠ النـــاس المحافظين زى ت ٠أ٠هيوم دايما يتصوروا الروح الفرنساوية الاصلية مصبوبة ف شعر راسين وف العمارة الكلاســـيك وف النظام الملكى ، ويعتبروا ان أدب فيكتور هيجـــو وطالع والحالة السياسية ف فرنسا من روبسبير لحـد دلوقت حالة

حمي وهذيان كل أملهم ان فرنسا تشفى منها ، أنا لما كنت ساكن ف ٨٣ بولفار برتييه فشامبريه كان ساكن فنفس البنسيون معاى واحد فرنساوى ملكى اسمه مسيو موران الجدع دا كان شاب مثقف قوى طول ماكنا مع بعض كان مستنى شغله فالكونغو البلجيكية وكان يكره النظام الجمهورى قوى . الصنف دا ف فرنسا نادر والحزب الملكى ففرنسا ضعيف . كل ما كان الموضوع يتفتح كان أخينا دا يتحسر على حضارة الاشراف اللى سابت لنا فرساى وجناين التريانون واللوفر وفونتنبلو شنانسو والكتاتدرائيات اللى مالهاش مثيل . وكان دايما يختم كلامه بالحجة المعروفة :

ـ ايه يعنى اللى استفدناه من الجمهورية . من يوم ماعرفناها والفن بينحط كل يوم درجة . مش هيه الحرية السياسية والاقتصادية اللى بيقولوا عليها ؟ وفين هيه الحرية دى ؟ داكلام فارغ .. أيام لويس الرابع عشر فرنسا كان حاكمها ميتين شريف من ملاك الاراضى ودلوقت فرنسا حاكمها ميتين بنكير من أصحاب المصانع والمموليين والمحاميين المهوشاتيه . هيه فين الحرية دى والمساواة دى والاخاء دا ؟

أنا طبعا ماعنديش نية أناقش كلام جارى القديم مسيو موران ، أنا شخصيا أفتكر انه غلطان حتى بعد مارحت اتفرجت ع الماليزون أفتكر انه غلطان ، أنا أفتكر ان فرنسا كسبت أكتر مما خسرت لكن أنا موافق معاه فحاجه واحده بس . ان فرنسا خسرت كتير لما هدت عرش ملك الشمس وأخلافه . ماليزون بعد فرساى زى بيتنا بعد سراية عابدين . رحت فرساى لقيت الباب ملكى والقصر ملكى وكل عامود وكل بهو وكل رخامه وكل كورنيش بينطق ويقول . هنا مجد فرنسا . وأنا ماشى فى الاجنحة اللبرنتيه الفخمة كنت أسمع كل حيطه تهمس . أنا صحيح عمرى أربعتلاف سنة والاصباغ اللى على مش هاتتحدى الزمان لكن شوف السفل المدهب أهو دا زى ضفاير مدام دى بومبادور ، شوف الكراسى المدندشة دى مش بتفكرك بالدوقات الجميلات اللى صدرهم عالى ورجليهم صغيره وأكتافهم عريانه معطره ولسانهم ناعم وجارح وبيقطر أدب وتكلف وسمر ودعارة

يبتسموا وينزلوا على نص ركبه ويرقصــوا مع رجال الدولة المروحه فـايد والايد التانيه بتدس فـالخفاء وتحـــرك خيوط السياسة • شوف البلاط المرمر دا مش بيفكرك ببلاط الملكاللى كانوا يقعدوا طول الصباحية يلبسوا ويتحففوا وطولالعصرية يتناوبوا ويتنشقوا ويتبارزوا وطول الليـــل يشربوا ويغازلوا الستات من ربات الخدور لحد الفلاحات بتوع الغـــابة • أتأمل الفرسكو اللى ع السقف دا ، ياما اتأملتـــه مدام دى بارى من قبلك • أخش هنا ألاقى المريخ اله الحرب له صالون وأشــوف الاساطير الرومانية مرسومه عالحيطان • اخشهنا ألاقى الزهراء الهة الحب . ليها صالون أقوم أقول أهودا اللى شـــاف ملك الشمس من المانتوفلى بتاعه بعد الدولة ماتنام والحاشية تستأذن بيعرض كل العواطف المبتذلة زيى وزيك وزى الجنـــاينى اللى بيسقى الورد وزى الكناس اللى بيلم الزبالة •

رحت مالميزون لقيته عامل زى فيلا ريفيـــة بس كبيره من الفيلات اللى بيسكنوها الانجليز فـالمستعمرات • بيضا وواطيه وشبابيكها خضرا وسقفها مدبب • بيت متواضع يقول لك ان عصر الفخامة والارستقراطية انتهى • وجـوه البيت أثاث نوم تلاقى زيه ف بيت موظف درجة تانيه ف الحكومه المصريةوصور زيت وغيره للامبراطوروالامبراطوره ولهور تنس وجوزهاوبقية العيلة مالهاش أهمية فنية وكراسى بسيطة وبساطتها مافهاش جمال تلاقيها برضه فعالم النجارة بيسموها «طراز امبراطورى» زى مابيقولوا « طراز لويس الخامس عشر » و «طراز الملكه آن» تلاقى شوية سيوف وأسلحة فيه زيها فـمدخل وزارة الـدفاع عندنا • أنا ماباقولش ان المالميزون وحش • مالميزون بيت له شخصية زى فرساى وفونتنبلو تمام •• لكن دى شخصيـــة انسان عملى دايما مشغول ومش فاضى لافراح الحياة ••

قلت فـعقلى الناس اللى ماتوافـحروب ملوك البوربون كلهم مع بعض مايجوش قد الناس اللى ماتوا فـحروب نابليون . تبقى فرنسا استفادت ايه من الانتقال ؟ مادام حرب فـحرب واستبداد فـاستبداد وفقر فـفقر يبقى أحسن الشعب يقدم أحسن شبانه وأغلب موارده وكل حريته لعاهل يبنى بيهاقصور وكاتدرائيات

من انه يديها لعاهل يبني بيها مدافع · سمعت طالب فـكلية الحقوق فـباريس من اللى اشتركوا فـالثورة الفرنسية بيقول · تعرف اللآلى دى كلها اللى بتلمع على صدر مارى انطوانيت دى دموع فرنسا الاسيره · قلت له تعرف المدافع دى كلهـــا اللى بتزمزم على تلوج روسيا دى دماء فرنسا الجريحه · طبعا الحرب اذا نجحت برضه بتجيب فلوس وتزود كبرياء الشعب المنتصر ودا عند بعض الناس كفايه ، لكن عندى أنا مش كفـايه ، لأن الانتصار الحربى مهما كان ساحق مش ممكن يستمر على طول · كلها حسبة عشرين تلاتين سنة والمهزوم ياخد بتاره ·

بعد الكلام دا كله برضه أقول لمســـــيو موران ان الثورة الفرنسوية كان لازم تحصل والبوربون لازم ينزلوا · أقول له ان العالم مش ضرورى ينزف دم عشان يبنى هرم أو شاتو أو كاتدرائية · الحاجات دى لطيفه لو كان تمنها معقول · الغلطه مش فـالهدم انما فـالبنا · بيت خربان أهدمه وابنى غيره · واذا ماعرفتش تبنى بيت أحسن منـــه دا ماينفيش ان البيت الاولانى كان لازم يتهد دا معناه بس ان البيت الجديد نفســـه لازم يتهد واننا لازم نحاول نبنى بيت تالت أحسن من دا ودا·

مادام حكيت لك عن مسيو موران لازم أحكى لك عن بقيـــة الجيران بتوعى فـشامبريه لأن كل واحد فيهم كان له شخصية تستحق الوصف وبالاخص انهم كانوا من جنسيات كتيره ·كان فيه واحد بلجيكى وواحده نمساويه وواحده يهوديه وأسرة من شيلى وأسره من بارجواى · أولا البنسيون بتاعى كان صاحبه راجل اسمه فاندنبوش · فاندنبوش دا كان عارف شغلته تمام وطول الوقت يبتسم فـأدب ويسألك اذا كنت عاوز حاجه ·· بس كان فيه عيب واحد ، انه بياخد عالحمام تمانيه فرنك يعنى حسبة أربعه صاغ وتمانيه مليم ·· بصيت لقيت ان الاستحمام بقت له ميزانية لوحده ١٤٠ صاغ فـالشهر ، اضطريت أستحمى كل يوم والتانى ·

الراجل كان فرنساوى طبعا لكن اســـمه يدل على انه من أصل هولندى ألمانى ، مسيو فاندنبوش ، كان تخين ومليـــان حياة ومتجوز ، أما مدام فاندنبوش فكانت نحيلة وطبعهـــا

عادى ومتجوزة مرتين ، مدام فاندنبوش قالت لى ان جوزها الاولانى كان تركى وانه كان زى ماوصفته « جراى » يعنى يحب يتنقل بين الستات وعشان كده طلقته ، الستدى دايما كانت لطيفة معاية وعمرها ماجرحت شعورى الا مرة واحدة من غير ماتقصد ، كان يوم ١٤ يوليو ونزلت أتعشى زى العادة فى صالة الاكل قبل ماطلع أتفرج على هيصة عيد الحرية ف باريس ، لقيت كل الناس اللى ساكنين ف البنسيون بيتعشوا ف وقت واحد على غير عادتهم ، ساعتها كنت عازم واحده صاحبتى ع العشا ولقينا الاكل ألطف من كل يوم كمان كان فيه جو بتاع مرح أكتر من كل يوم ، فاندنبوش ومراته كان لابسين شيك عشان عيد الحرية وجابوا لناديوك رومى عشان عيد الحرية ، بعد الاكل ماخلص مدام فاندنبوش ملت كاسها شامبانيا ووقفت وقالت لنا :

ـ نخب تحيا فرنسا ..

ووقفنا ورفعنا كاساتنا وشربنا نخب فرنسا الحرة وقعدنا ، بعد دقيقة الست وقفت تانى وقالت :

ـ تحيا بلجيكا ..

وقفنا وشربنا ، طبعا أنا فهمت أن دى تحية للساكن البلجيكى ، واضطريت شوية مستنى دورى شربنا كمان نخب شيلى وبارجواى ، وف الآخر مدام فاندنبوش قالت :

ـ تحيا تركيا ..

الموجودين وقفوا وشربوا نخب تركيا وقعدوا ، أنا بصيت لصاحبتى وماقمتش وماشربتش وبان على الاشمئزاز .. وماصدقت الهيصه خفت شوية رحت خارج وقلت لها ياللا على مونمارتر نتفرج ع الدنيا ف المترو ، قعدت معكنن وف الشوارع مشيت معكنن ، أكلنا اسباجتى ع الواقف وشربنا نبيت ع الماشى ودخلنا كاباريه « القط الاسود » كل دا وأنا معكنن وكل ربع ساعة أعتذر لصاحبتى عن الوجوم بتاعى فين وفين عند نص الليل النبيت لعب ف دماغى والمزيكة اللى ماليه الجونسيبها ف بلاس بيجال نلاقيها ف بلاس بلانش ونسيبها ف روشوشوار نلاقيها ف شارع فونتين ، ع الترتوار ناس بيتنططوا من الحرية ومن الحرية ف وسط الشارع الناس

بيرقصوا زى جماعة اغريق سكرانين ف عيد من أعياد باخوس
.. وف قهوة ديبون راجل بكونسربيتا يفوت على كل ترابيزة
شوية وف الحوارى الضلمة راجل ببنطلون مرقع بمزيكة يد
يطلع عليك على غفلة ويوقفك ويسمعك فالس ويمشى من غير
ما يطلب حسنة ، بس اكراما لعيد الحرية ، حتى سـواقين
التاكسيات لقيناهم هاديين مابيتخانقوش ، دخلنا محـلات
النيشان ونشنا وماكسـبناش حاجة ، دخلنا السفيرة عزيزة
وطلعنا مبسوطين السرور لما كتر قوى نسيت اللى حصـل
ف البانسيون واندمجت ف روح الجماعة ، الساعة تلاتة وأنا
لسه بارقص ف ميدان بيجال ، ف نفس الميدان ، مش ف
كباريه ف الميدان ، لتسقط الززانة ، صاحبتى لمـا شافتنى
هايص فتحت الموضوع ..

ـ انت كنت زعلان ليه ف أول الليل ؟ ..

أصل مدام فاندنبوش مرة غبيه دى كانت متجوزه واحـد
تركى وطلقته ، ويظهر انه كان مفهمها ان مصر مسـتعمرة
تركية أو يظهر انها فاهمة ان مصر مديرية ف تركيا ، عشان
كدا شربت نخب تركيـا بدل ماتشرب نخب مصر ، أنا عارف
انها كانت عايزه تجاملنى مش تجرح احساسى ، على العمـوم
سيبك .. المسألة بسيطة ..

المسألة كانت بسيطة طبعا الساعة تلاته الصبح ف عيـد
الحرية ، كان فيه حاجات أهم منها ، كان أهم منها ساعتهـا
ان الكاسين اللى أخدتهم مايطيروش من دماغى ، كان أهم منها
انى أجمع السعادة كلها اللى طايرة ف جو مونمارتر وأخبيهـا
ف صدرى لحد الصبح ، كان أهم منها انى أعمـل حلم ذهبى
عشان لما أنام أحلم بيه ولما أصحى ف الضحى أبتسم للسرير
اللى ف الاوده حتى لما رجعت البيت ف وش الصبح سـواق
التاكسى كان باين عليه مشعلل من الخمرة لدرجة لما بادى له
الفلوس قال لى ماتخلى ، زى أولاد البلد مابيعملوا ف مصر ،
وأنا كنت دايخ من السعادة لدرجة انى عطيتـه عشرة فرنك
وقلت له تحيا الحرية .

الناس ف ١٤ يوليو مابيفتكروش غير الحرية وبينسوا الاخاء

والمســـــاواة حاجة تحزن ، لكن ماعلهش بلاش أزعل نفسى بالافكار دى ، ليلتها نمت على يمينى ملاك وعلى شـمالى ملاك لكن تانى يوم الصبح أول حاجة عملتها كانت انى دورت على مدام فاندنبوش واتأكدت انها فايقه وشرحت لها الموقف بتاع الليلة اللى قبلها وقلت لها ان أنا زعلان خالص ، اللى اتصورته كان مظبوط ، برضه الست كانت فاهمة ان تركيا ومصر دول حاجة واحدة ، واعتذرت وكل حاجة بقت صافية لبن ٠

غير مسيو ومدام فاندنبوش كان فيه من ســـكان البيت الثابتين والخدامه البرتين ، دى كانت بنت حلـوة قوى قوى دايما أشوفها بمريلة بدنتلا على فستان أسود وعمرى ماكلمتها وكل اللى أعرفه عنها انها قبل ماأمشى أنا بشوية هيه مشيت عشان تتجوز واحد قريبها فلاح ، بعد البرتين ييجى الطباخ ، مرة واحدة بس شفته ـ شفت ضهره ـ ولسه فاكره لحـــد دلوقت ، مرة كنت قاعد لوحدى ف الصالون الساعة تلاته بعد الضهر ف ركن الاوده اللى مايبـانش وفاتح الراديو وباسمع حتتين لروسينى وحتتين لفيبر ، أنا فـــاكر تمـــام ، كانوا افتتاحية حلاق اشبيليه والطير السارق والدعوة للفالس والمازة التاج ، صاحبنا دخل الصالون ياخد الكوتشـــينة ويظهر انه افتكر نفسه لوحده راح وقف واتكأ ع الشباك وقعد يبص ع الناس اللى فايتين ف الشارع ويصفر ، قعد يصفر نص ساعة مع الراديو وماغلطش ولا غلطة ، عرفت انه حافظ الادوار دى صم من زمان اللى زى دا يمكن كمان يعرف يلعبهم ع الكمنجة زى مابيصفرهم ، ولما الالحان اختفت الطباخ كمان اختفى من الصالون ، واختفى من حياتى وما أعرفش ايه اللى حصـل له بعد كدا ، قلت امتى ييجى اليوم لما الناس عندنا يبتدوا يدوروا ع العواطف الصحيحة اللى بتفتت قلب الانسان مصحوبة ف سيمفونية والا أوبرا ويشوفوا الافكار العميقة ف العاصـــفة والجبل والبحيرة والغابة والطير الغرد والصباح والليل المخيف وبقية مظاهر الطبيعة بتتنفس ف نغم جبار ٠٠

تيجى للسكان بقى ، كان ساكن تحتى شاب بلجيكى لطيف اسمه مسيو جوريس ، فوق التلاتين بكام سنة ، دا كنت كل

يوم أقابله فـالصالون ونتكلم فـالفارغ وف المليان ، ماأقدرش أقول انى استفدت من صحبته كتير لان اطلاعه كان محـدود انما كنت أحب أتئنس بيه كبنى آدم ٠

الشاب دا كان أصله مهندس لكن كان بيشتغل ف مكتب سمسرة كبير ، وعمرى ماشفته معكنن ف يوم من الايام ، عمره كمان ماسرح قدامي ، واحد زيى تمانين ف الميه من أصحابه بيشتغلوا ف صناعة الفكر يرتاح لما يتعرف بواحد بيشتغل ف صناعة الحياة ، مسيو جوريس كان ذكاؤه عملى ومالوش تقل ع النظريات ، لكن كان لازم أقول انه قرأ أغلب راسين وأغلب كورناى وأغلب هيجو وأغلب شكسبير وسـمع أغلب القطع الموسيقية المعروفة والباقى تلطيش من هنا ومن هنا ، وكان يقدر يتكلم عنهم ف مناقشة بسهولة ، لكن طبعا كلام واحـد هاوى مافهوش فايدة كتيرة ، كان برضه يروح الشاتليه عشان يسمع حتة لبيتهوفن وحتة لفاجنر وينبسط مش عشان يدرس الاثر اللى تركه بيتهوفن ف أعمال فاجنر مع ذلك ما أقدرش أسميه مثقف لان محصوله ف عالم الفكر كان وليد المصادفة مش وليد الرغبة ف المعـرفة بدليـل انه ماكانش له آراء ف السياسة خالص مثلا يعنى يستغنى عن التفكير كل ماتجى له فرصة انه يستغنى مرة أو مرتين استعملت أتومبيله ومرة أو مرتين خرجنا نتفسح سوا ، غير كدا مافهوش حاجة تتوصف ٠٠ الا انه نموذج أوروبى للشاب العمـلى المتوسـط ف كل حاجة ، فيه زيه شبان كتـار ف مصر ، لكن دول بتحسبهم عندنا خلاصة المجتمع مش أوساط ٠

أنا كنت كتير أستعمل الصالون بالاخص بعد الغدا وكنت دايما ألاقى واحدة ست زبونة مستديمة ، قاعدة جنب الراديو بتسمع بالشويش وبتقرا ف كتاب ، دى كانت مدام كوهين ، مدام كوهين كانت سـاكنة ف الاوده اللى جنبى على طول أفتكر ، كانت يهودية وتخينة وعمرها حوالى ستين سنة لكن تاكل اتنين زيى ، يوم أنزل ألاقيها بتقرأ كتاب ألمانى لتوماس مان ويوم ألاقيها بتقرا « ذهب مع الريح » بالانجليزى ومرة أو مرتين شفتها بتقرا شعر طليانى ، أما لغة الحديث بتاعتها فكانت

الفرنساوى ، يعني أربع لغات • لكن أهم من داكله انها كانت تتكلم مصرى معايه أحيانا ، مدام كوهين دى مهمة شوية لانها مصرية من ناحية ولانها يهودية من ناحية تانية •

كل ما أحتك بواحد يهودى ـ الحق يتقال برضه ـ فيـــه حاجةمش فاهمها بتخليني أعامله بحذر شديد ، أول ماتعرفت بمدام كوهين ما اندفعتش قوى معاها ، ماكنتش عارف انهـا مصرية وشخصيتها ماكانتش جـذابة أبدا ، لكن أفـــكارها واطلاعها بالتدريج خلونى أحترمها وأحب الكلام معاها ، عرفت منها أن جوزها كان بيتاجر ف قطن وبصل ف مصر وانه عمل قرشين كويسين ومات وانها عايشـــــة ف باريس من زمان بباسبور مصرى •

لمـا دخلنا ف التفاصيل دى كانت تقعد تحكى لى عن مصر أيام شبابها من الخديوى توفيق لغاية ثورة سنة ١٩١٩ لحـد هنا كويس ، لكن مدام كوهين كانت بتقول حاجات كتيرة تخلى دمى يغلى ولولا انها ست كنت يمكن ضربتها بكرسى •• كنـا نبقى قاعدين شلة ف الصالون ، خمسة ستة ، من خمس ست جنسيات مختلفة ، وهى تقعد تدردش عن مصر واللى شـافته ف مصر كانت تتفرش ع الفوتيل تحكى ازاى ان « العرب » يعنى المصريين ، ناس ف منتهى الوساخة ، عيشتهم وســخة وعوايدهم وسخة وأفكارهم وسخة ، كانت كل ما تجيب سيرة المصريين تسميهم العـــرب أو المسلمين ، قالت عليهم خاينين وكسلانين ومهملين وكل حاجة بطالة ، وكل هيه ما تتكلم انا الدم يتجمع ف وشى وأحاول أغير الموضوع ، مرة كنا قاعدين زى العادة ف الصالون ومدام كوهين ابتدت تكلمنا عن ابنها اللى بيشتغل صيدلى ف استراليا •

ـ ولما ابنى حب يهاجر استراليا قالوا له لازم يدفع تأمين ويملا اســــتمارة دخول قام دفعنا له التأمين وهو كتب ف الاستمارة انه مصرى مش ملـــون ، أصلهم ف اســـتراليا مابيدخلوش الاجناس الملونة •

أنا حسيت انى اتساهلت معاها زيادة عن اللزوم ، وقفت على حيلى وقلت لها بمنتهى الاحتقار :

ـ مدام كوهين ، انت مش قاعدة ف فرنسا بباسبور مصرى ؟ ..

ـ أيوه ..

ـ وبتسمى نفسك مصرية ؟ ..

ـ أيوه رسميا ..

ـ وفعليا يهودية ، من اليهود اللى مالهمش وطن ، ودايره تشنعى على مصر بالشكل دا ، دى جزاة البلد اللى قبلتك وعيشتك وبتدى لك حمايتها لحد الساعة دى ، مدام كوهين ، اذا كانت مصر مش عاجباك ماتدورى لك على جنسية تانية .. مدام كوهين ، أنا لو كان عندى سلطة أنا كنت سحبت الباسبور بتاعك وبتاع ابنك وطردت بقية عيلتكم من مصر .

مدام كوهين سمعت كل كلمة ف منتهى الهدوء لكن تحت الهدوء دا أنا متأكد انها كانت منفعلة تمام ، وقالت ف منتهى الهدوء ، مش بلهجة واحد عايز يعتذر أو يصحح الموقف انما بلهجة واحد عايز يشد رجل واحد تانى ..

ـ انت زعلان ليه يا مسيو عوض ، أنا با أقول الحقيقة .. مصر فيها عرب وأقباط وأنا باأتكلم ع العرب مش ع الاقباط .. الاقباط دول زى الاوروبيين ، انت مالكش حق تزعل يا مسيو عوض .

ـ لا يامدام ، مصر مافهاش عرب وأقباط ، مصر فيها مصريين بس واللى مش عاجبه يطلع منها أفتكر الكلام دا واضح .

وخرجت من الصالون وأنا باتنفض ، مدام كوهين كانت عارفه انى قبطى وكان واضح انها بتنصب لى فخ ، كان واضح انها عايزه تستغل الطائفية عشان تغطى مركزها قدام الناس اللى قاعدين ، لكن أنا ماعطيتهاش فرصة ، بعد كدا بقيت انزل الصالون ماأقولهاش بونجور ، لاحظ ان مدام كوهين محبوبة قوى ف البنسيون ، بس لانها يهودية ، كان شلة الشبان اللى هناك ، مسيو جوريس ومسيو موران وجدع قنط تالت كان يقرب للبارون امبان وصاحبته كانوا كل ليلة يلعبوا بريدج ويتكلموا ف السياسة ويستلموا ليون بلوم ويقولوا اليهودى عمل وعمل وخرب فرنسا ويسموا وزارته حكم اليهود

كل دا بصوت عالى عشان يســمعوا مدام كوهين واللى منهم عاطيها ضهره كان يطلع لسانه مخصوص ، ف الاول أنا كنت باتغاظ لما أسمع الكلام دا وأقول مسكينة الست دى ، لـكن بعد الفصول اللى حصلت كنت باأفرح ف سرى ، أنا لىدلوقت لو قدرت أتسبب ف سحب الباسبور بتاعها أبقى مبسوط ٠

أوعى تقول دى وليه عجوزه سيبها لوجه الله وليه عجوزة يعنى تلم لسانها ، أمال سمعة مصر بتخسر بره من ايه ؟ حتى دلوقت بعد تلات سنين كل ما أقرأ ف الجرايد عن اللى بيعملوه النازى ف اليهود بتوع فرنسا ماأزعلش بس عشـــان مدام كوهين ، أقول لازم عتروا فيها وحطوها ف حارة اليهود ٠

أنا عارف طبعا ان العواطف دى فطرية ولازم الانسان يحرر نفسه منها ، أنا عارف ان اليهود زى أى مله تانيـــه فيهم الكويس وفيهم البطال ومش لازم الواحد يلخبط دول ف دول واذا قمت شتمت كل اليهود عشان مدام كوهين تبقى مـدام كوهين ليها حق تشتم كل المصريين عشان الافراد البطـالين اللى قابلتهم لما كانت عايشة ف اسكندرية ، لكن بصراحة أنا أقول ان اليهود والاجانب وغيرهم اللى مش «عايزين» يتعاونوا مع الشعب المصرى لازم يشوفوا لهم طريقة قبل ما يضطرونا اننا نشوف لهم احنا طريقة ، ساعتها مش نحاربهم على انهم يهود أو أجانب ، انما على انهم مســـتقلين أو على انهم أعداء الشعب الطبيعيين ٠

فيه فرق بين النقد والتشجيع ٠ انا ما زعلتش عشان مدام كوهين اتكلمت على عيوب مصر ٠ أنا زعلت انها كانت بتنشر الغسيل الوسخ بتاعنا قدام الناس ٠ أهى دى من الاختبارات اللطيفة ف حياة كل مصرى بيتعلم ف اووبا ٠ يبقى عارف ان بلده مليانه اغلاط ولما واحد اوروبى يذكر العيوب دى الواحد دمه يتغير ويمكن يقلبها خناقه ٠

غير مدام كوهين كان فيه كولونيل ومراته وعياله من شيلى وكولونيل ومراته وعيـاله افتكر من باراجواى وكـانوا طول النهار يدردشوا بالاسـبانى ولا حـد فاهم حاجه ، لما كانوا يتكلموا فرنساوى كانت حـاجه تضحك صحيح ٠ تضـحك ٠

اكتر من الانجليز لما يتكلموا فرنساوى • انا سكنت شهور ف
بنسيون شاميريه دا لكن عمرى ما اتصاحبت مع الظباط بتوع
امريكا اللاتينيه دول • ومن جهه اللغة كانت مانع ومن جهه
تان كل واحد ف حاله أهو يدوبك اشوفهم على الاكل على ترابيزاتهم
أو من حين لحين نهز روسنا لبعض ف الصالون يعنى سعيده
سعيده • لكن طبعا ســـألت عنهم باعتبارهم جيران ومسيو
فاندنبوش حكى لى عنهم حاجات كتير • عرفت ان حكوماتهم
باعتاهم ف بعثات عسكرية عشان يدرسوا بعض تفاصيل الجيش
الفرنساوى ويشتروا اسلحه لبلادهم • الحقيقة الاتنين كان باين
عليهم الغباوه المتناهيه • لكن يمكن الحكم بتاعى دا نتيجه لانى
عمرى ما شفت حد غيرهم من امريكا والغريب بطبيعة الحال ما
يقدرش يقرا الوجوه أنا فاكر تمام انى لما كنت صغير كان بيتهيألى
ان كل الانجليز شكلهم واحد ، واصحابى الانجليز بيقولوا لى
انهم لما جم مصر جديد ماكانوش يقدروا يفتكروا وش واحـد
مصرى تانى مره يقابلوه • الحقيقة ايامها كنت مستغرب كتير
وأقول ف سرى • بقى يعنى حكومة شيلى وحكومة بارجواى
مالقوش غير الالواح دول يبعتوهم بعثة ؟ دا لازم فيهم حاجة لله
انا مش فاهمها • على اى حال ما كنتش مرتاح قوى ليهم ، لكن
هاأعمل ايه • وكتير كان يخطر لى ان الجماعة دول لازم جواسيس
لحساب حد • ما اعرفش ليه الشعور دا كان يجى لى دايما •
يمكن قعادهم المستمر ف باريس هو اللى عطانى الفكره دى •
يمكن غموض احوالهم وعدم اختلاطهم بالباقين • ما اعرفش •
ولو انى كنت مرتاح ف العيشة ، ف الواقع كنت متضـــايق
بسبب انى وقعت ف وسط تشكيله أجانب • ماكانش فيه ف
البنسيون واحد فرنساوى حر • اللى بلجيكى واللى يهودى واللى
مصرى واللى نمساوى واللى شيلى واللى من باراجواى • طبعا انا
استفدت اختبار من الناحية دى ، لكن كنت دايما حاسس ان
كل واحد ف البنسيون بيعمل حاجه من ورايا ، حاجة أنا مش
عارفها ، بما فيهم صاحب البنسيون • وفات على وقت اتصورت
نفسى ف وسط مؤامرة دولية اطرافها واسعه ، وقعدت ارسم
لكل واحد دوره ف المؤامرة • مدام كوهين عمرها ما بتسيب
البيت ودايما قاعده ف آخر الصالون جنب الشباك فاتحه كتاب

وعلى مناخيرها التخينه نضاره دهب ليه ؟ طيب وعايشه ازاى ؟ بتقول جوزها ساب لها فلوس ٠ يمكن ٠ يمكن دى وسيطه بين مكتب مخابرات وبين الجواسـيس ٠ هيه كانت تحب انجلترا قوى ٠ لازم بتشتغل لحساب مكتب المخابرات الانجليزية ٠ طيب وبتدى الفلوس لمين ؟ مش لمسيو فاندنبوش ، لان مسيو فاندنبوش ان كان بيتجسس لازم بيتجسس لحساب ألمانيا ٠ اهو باين على شكله كدا والكولونيلات بتوع امريكا اللاتينية دول باين عليهم ظباط عيره ٠ عمرى ما شفت واحد منهم بيخبط كعب ف كعب ويحنى راسه ٠ داحنا كان عندنا ف كامبريدج تلميذ برتغالى اسمه فرناند وكان كل ما يسلم على حد يخبط رجليه ف بعض ويوطى راسه ويشيلها بسرعة انا عارف دول لازم مدنيين وملبسينهم عساكر زى ما تقول عدة الشغل ٠ طيب دول بيتجسسوا لحساب مين ؟ واحد منهم كان مليان وجرم وشكله عكر ٠ انا لو كنت زيه مليان وجرم وشكلى عكر كنت أتجسس للجنرال فرانكو ، مش لحساب الالمان لان الالمان ما يرضوش ٠ التانى كان قصير ومش رفيع قوى وملامحه ممسوح منها كل تعبير الا ابتسامه مؤدبه ثابته مالهاش معنى ٠ الشكل ده باين عليه يتجسس لأى دولة ٠ وتلاقيه فعلا بيتجسس لتلات اربع دول ف وقت واحد ٠ على اى حال انا لازم غلطان ف تقديرى لان من شروط الجاسوسية انه مايبانش عليه ٠ قلت مين يعرف ٠

طبعا انا كنت فاهم انى دى غالبا مجرد خيالات يصح انى انسجها بتفصيل اكتر واعمل لها عقده اذا افكرت يوم من الايام انى اكتب سـيناريو بوليسى لمارجريت لوكوود كمان عمرى مانسيت انهم جيرانى وكنت معاهم فى منتهى الادب لحد ماسبت فرنسا آخر مره ف أغسطس ١٩٣٩ ٠ لكن دلوقت بعد ماقريت كلام الصاوى عن سقوط فرنسـا المريع افتكرت ، مش بس حزمة الاجانب اللى كانوا ساكنين معايه ف شـامبريه ، لكن الروس اللى بدقون اللى كنت اشوفهم السـاعه تلاته الصبح بيشربوا سوائل غريبه ف الديبون لاتان ، وافتكرت البنات البولنديات اللى كانوا مالين قهاوى باريس وافتكرت الطلاينه

المستوطنين ،وسواقين التاكسيهات اللى كان اصلهم ارشيدوقات روسيا القيصريهوافتكرت المغاربهالوسخين اللى كانوا يفوتواعلى قهاوى الحى اللاتينى بجلاليب نتنه ومراكيب ويبيعوا سجاجيد وفول سودانى افتكرت انى عشت ف فرنسا شهور كتيره وكل مانعرف بحد يطلع أجنبى • حتى صاحب اللوكانده الامريكانى ابو رجل مقطوعه اللى ف شارع كازيمير دلافين ف الحى اللاتينى اللى سكنت عنده تانى مره نزلت باريس افتكرته • وكل الناس دول اتهيألى انهم لعبوا دور كبير ف انهيار فرنســـا الجميله • اتهيألى ان كـل دول كانوا بيصـوروا اسـتحكامات بالنهـار ويشتغلوا ف حاجه بالليل • المتروبوليس الرشيقه دولوقت باينه لى على حقيقتها • جنينة حيوانات لكل اجناس الارض • ارجع واقول دى كلهـا خيـالات صـحفيين • ألفين جاسوس وجاسوس مايهدموش بيت بنوه الابطال • دى فرنسامصيبتها تقيله ومن الحكام •

ماباقيش ف البنسيون غير بنت نمساوية اسمها مدموازيل اناشرايبر • البنت دى كان عمرهافوق التلاتين ومش متجوزه• مره حكيت لى حكايتهـا ولقيتها مؤثرة خـالص • قالت لى انها لما كانت ف فيينا آدى عشرسنين وقعت ف حب طالب فرنساوى بيدرس طب هنـاك ، وكانوا متفقين انهم يتجوزا بعض ، بعـد الطالب ماخلص تعليمه ، لكن الطالب جا ف آخر سنة واتجنن واضطر ينقلوه ف اسبتالية مجاذيب ف باريس • أنا المسكينة انتظرت طول الوقت ، وكانت كل ماتبعت جواب للمستشفى تسأل عن حالته الدكاتره يقولوا لها ان فيه امل انه يصحى • سبع سنين ع الحال دا وبعد أنا جت باريس بنفسها وفهمت كل حاجه • فهمت ان صاحبهــا مافيش فايده فيه • فهمت انها ضيعت شـــبابها الناضر فـــديه للحب الناضر وهـاتضيع شـــبابها الدبلان ف البحث عن كهـــل دبلان يتجـــوزها ، وتعيش ف امان • قعدت ف باريس واشتغلت ، ولما عرفتها انخطبت واتجوزت ف تلات شهور • كان خطيبها راجل محامى فرنساوى عمره فوق الخمسين جسمه ضخم وعينه مضعضعه وشعره واقع لكن عنده اوتومبيل جميل قوى ويظهر ان عنده فلوس كتيره • الراجل دا كان بيجى عندنا ف البنســيون

تقريبا كل مغربيه ياخد أنا ويفسحهاويرجعها قرب نص الليل ۰
يدخل مكشر ويطلع مكشر وعمره مايحيي حد ۰ كان مظهره شرس
لكن افتكر النوع دا من الناس قلبه طيب أبيض ۰ أنا قالت لى
انه بيغير عليها من الهوا وكل ما يشوفها بتكلم حد يفتح لها
محضر ۰ وبعد ما اتجوزت سكنت ف الضواحى واعتزلت العالم
ف حدود المعقول ۰ يوم من الايام جت البنسيون تسلم وكان
على وشها حاجة زى الهدوء الكامل ، الهدوء اللى يخوف ، الهدوء
اللى ف عينين الرهبان اللى خلاص فاتوا ف زوابع الشهوات
وانتصروا ع الجسد ووصلوا لمرحلة اليأس الاكيد اللى احنا
بنسميها مرحلة الصفاء مسكينة أنا شرايبر ، أنا الجميلة
الناضجة الشقرا اللى عاملة زى غاده ف صور روبنز دخلت
علينا زى قديسة سكسونية مرسومة على قزاز ملون ۰۰ أنا
ماكانتش شقيه ، لكن قبل ماتتجوز كنت دايما أشوف ف
عنيها شعاع مكسور مفهمني انها كانت تحب تكون شقيه لولا
الماضى اللى ضاع منها ۰۰ الشعاع دا راح ومطرح الشقاوه
حل الرضا ۰۰ أنا شرايبر اللى تحب الحياة انتهت وجا مكانها
أنا شرايبر اللى عملت صلح مع الحياة ۰

أهى دى كلها صور فاتت على ، بعضها مآسى وبعضها عبر
وبعضها تمر ع الانسان زى سحاب الصيف عابر لكن مايتنسيش
ومن وقت لوقت برضه الواحد يشوف السعاده ۰ يمكن يقابلها وهو
داخل ف سينما أو خارج من مكتبة او قاعد ف الاتوبيس أو
بيحود ف شارع ويسلم عليها من بعيد لبعيد ۰ دى حال المسافر
۰ انا دلوقت عملت زى اوديسيوس ۰ يعنى اللى شاف عادات
ناس كتار ومدائنهم ، زى مابيوصف هوميروس ف أول
« الاوديسا » وهوراس ف قصيدته عن « فن الشعر » انا كمان
شفت عادات ناس كبار وشفت بلادهم وقريت نفوسهم وطويتها
زى ما اطوى كتاب ، ولما اوصف ف الاشخاص اللى قابلتهم ف
اركان الارض الواسعة وما اقدرتش انساهم لحد دلوقت مش
حا انتهى ۰ لكن اقدر اقول لك انى من اسعد الناس ف رحلاتى
وان الطف ناس قابلتهم ف حياتى قابلتهم وانا باانتقل من حته

لحته • دخلوا حياتي وخرجوا منها ف مدى كام ساعه زي اطياف النوم لكن سابو على أثر باقي •

مثلا ف سفره من سفراتي لفرنسا ف يونيو ١٩٣٩ لقيت نفسي ف قطر نيوهافن قاعد ف ديوان واحد مع شاب اسمر واتنين بنات بيض • بعد نص ساعه كنا اصحاب الجدع طلع هندي واسمه رافي وكان يدوبك خلص دراسته ف اكسفورد وراجع بلاده ، والبنتين واحدة منهم ـ الكبيره طلعت يهوديه انجليزية واسمها نينا فرنس وكان باقي عليها سنه ف اكسفورد برضه والتانيه طلعت يهوديه المانيه طليانيه بتدرس موسيقى ف لندن واسمها ميابانتبام ، رافي كان ولد قصير زي أغلب الهنود لكن شكله وسيم خالص وبان عليه ف منتهى الشقاوه •

نينا كانت حوالى اتنين وعشرين سنه مثال النضوج المغرى وكمال الجسم والرشاقه ، طويله وبشرتها ورديه وشعرها اصفر وعنيها دائما بتضحك ، وكان ليها ضب انجليزى خفيف مابتحاولش تخبيه ، وكان باين عليها رايحه باريس تتفسح بحق وحقيق مش تتمشى ف شانزليزيه او تقعد ف كافيه دى لابيه زى اغلب الانجليز مابيعملوا • اما ميا فكانت قصيره ورفيعه ولونها شاحب وعنيها سودا واسعه اهدابها طويله وجمالها مش من العالم دا • اتكلمنا ف الف موضوع لكن نروح ونرجع لاكسفورد وكامبرديج ونقعد نغيظ بعض بالنكت على بعض • نينا ورافى بينكتوا على كامبريدج وانا وميا اللى جت ف صفى ننكت على اكسفورد طبعا • وف المانش ركبنا جنب بعض وف قطر باريس قعدنا جنب بعض وانا طول الوقت ببحلق ف ميا وهي مسنوده لورا قدامي وتتكلم ببطء وهدوء واتفرج على عينها السودا الواسعه اللى عامله زى عيون الكهنة بتاعت معبد دلف اللى الاغريق كانوا يقصدوها عشان تقرا لهم المستقبل • انا قلت لها الكلام بنفسى • وميا كمان قعدت ف القطر تبص لى وتقرا لى المستقبل بتاعى وتسيب المستقبل وتتكلم على الحياه وتسيب الحياه وتتكلم عن اللي بعد الحياه وبعدين ترجع لى تانى وتشجعنى ف حاجات وتحذرنى من حاجات وعنيها السودا الحالمة نفذ فيها شعاع الشمس الغربيه قام بانت لى عسليه

زى قشر الكستنا المعموله من بنور ، والريح تضرب ف راسها الصغيرة يقوم شعرها يطير لورا من غير ترتيب ، فضلنا بالشكل دا لحد ما وصلنا محطة سان لازار .

ف سان لازار عطيتهم ميعاد لكن مش اكيد ف الكونيزيوم ، وفعلا مارحتش ليلتها لانى كنت مشغول . بعدكدا ما اتقابلناش غير ف الافكار . ميا سافرت كابرى عشان تمضى بقية الصيف مع اهلها وبعدين قعدت على طول وبعتت لى جوابات تقول لى ازورهم ف كابرى . طبعا مارحتش لانى كنت محجوز ف باريس لكن كتبت ليها كتير . رافى رجع الهند وماكتبش حرف واحد . زمانه دلوقت بيشتغل محامى ف مدراس والا بومباى . فيه بيت شعر سانسكريتى جميل اتعلمته ف انجلترا بيقول ان احنا البشر زى خشب طافى ف محيط يصطدم ببعضه مره ويفترق بعد كدا الى الابد . انا خايف ان دايكون صحيح يارافى منين ماتكون .

الحرب قامت وانا رجعت كامبردج ونينا فرنش رجعت اكسفورد وكتبت لى كسلت ارد عليها . لكن ميا باننباوم المخلوقة الغريبة اللى صدمتنى ع الماشى وسابتنى الهث زى نجمه ماتصدم نجمه وتزحزحها من مدارها ، ميا ماخرجتش من محيط حياتى غير لما ايطاليا دخلت الحرب . لحد باريس ماوقعت بشهر وهى تكتب لى جوابات غريبه وترسم لى عليها رسومات بالحبر الشينى . كانت تبعت تقول انها قاعده ع الشاطىء ف كابرى بتتأمل ف الامواج الزرقاء وهى بتتكسر على بعضها بينما روحها طافيه زى الشراع ع البحر تحت شمس الجنوب بتبعد بتبعد تجاه الافق . وخايفه تتوه ف البحر الكبير المجهول . وف اعلى الجواب ترسم لى حاجه زى فرسين بيشبوا لفوق وصدورهم ف بعض وتحتهم خطوط مرسومه باهمال ماتفهمش معناها اعشاب والا حاجه تانيه . شلى . افكار شلى بس مكتوبه بنثر انجليزى عادى .

قوللى بقى ترد على دى تقول ايه ؟ انا مش فاكر ولا كلمه من الجوابات اللى بعتها لميا لكن غالبا زى ما با اعمل ف الحالات اللى

زى دى كتبت لها عن الفن والحياه وعلاقه الفن بالحياه · لكن انا فاكر اغلب جواباتـ ميا لحد دلوقت · فضـــلت شايلهم ف محفظة مع حاجات تانيه اهم منها وعبرت بيهم المحيطات وطرت بيهم آلاف الاميال وفوتهم ف عشرين جمرك وف الآخر ضاعت المحفظة منى ف الجيزة ·

آدى اختبار من الاختبارات الناقصه الجميله اللى بتقابلنى ع الماشى وتخلص قبل ما اشبع منها · يمكن تقول · وايه يعنى · ماكلنا بنقابل ناس زى رافى وميا بانتباوم ف قطرات الســكه الحديد وبننساهم تانى يوم · يمكن · لكن انا ما انساش · انا ما انساش اختبار كان له معنى ف نفسى ، وحتى لو نســيت الظروف المعنى باقى مقيم · انا ما انساش لحظة سعاده فاتت على لان لحظات السعاده ف حياتى قليله وانا عارف دى · انا ما باشتكيش انا مانيش راجل تعيس زى ماتتصور من كلامى · كل مافى الامر انى راجل مشغول ياما فاتت على مواكب السعاده ومواكب الاحزان وانا مش واخد بالى ، ويوم ما با اقابل السعاده وش لوش وأعرفها وأحضنها دا يوم ف حياتى خالد ومذكور فما بالك بالسعاده لما اقابلها واعرفها لكن الاقيها مســـافره كابرى أو رايحه تحضن واحد غيرى ؟ انا صحيح راجل مشغول لكن لسه فاضل ف قلبى شعور ·

بلاش ميا تانتباوم اللى عيونها زى عيون عرافه أو نبيه ان كانوا الانبياء فيهم ستات ، كان واحد صاحبى ف كامبريدج اسمه نورمان هو توبث دايما يقوللى: تعال امضى الاجازة فبيتنا فـ لندن انا لازم اعرفك بامى واختى ، وانا دايما اقول له : معلهش بلاش الاجازة دى · خليها للاجازة الجاية ·· فضلنا ع الحال دا لغاية ماجيت يوم وقررت انى ارجع مصر · وف كام يوم بصيت لقيت نفسى التذاكر ف جيبى وهااسافر بعد بكره ·· كـــل حاجة حصلت من غير ترتيب لدرجة انى كان يومها عندى معاد شاى معاه ف كامبريدج وانا كنت ف لندن بوضب شنط وحاجــات وباسبورتات ·· بعت له تلغراف اعتــذار بالتفصـــيل راح هو توبث جاجرى من كامبريدج وخدنى بيته ف ضواحى لندن واتعشينا سوا ومشينا فى الجنينة الكبيرة بتاعتهم اللى زى الغابة

ايوه مشينا ف الجنينــة بتاعتهم ·· مشـــيت انا واخته روث ساعتين وزيادة ·· حاولين داير ·· حــوالين البركة وبالليل رجعت البلد وسهرت مع هوتويث وخليته ينام عندى · وف القطر قلت له ··

- نورمان ، انا طلبت من اختك روث انها ترقص معــايه بكره ف اودونينو وهى وافقت ··

نورمان ضحك وقال لى ··

- بس ابقى حرص عليها · دى روث بنت ساذجة خالص ·

تانى يوم المغرب كنت انا قدام البراسـيرى اونيفرســيل مستنى وهى اتأخرت شوية دى كانت آخر ليلة لى ف لندن ، ف انجلترا · وانا واقف اتأمل فى الناس والابنيه وتمثال ايروس والاعلانات بتاع اللبان ومنعطف ريجنت ستريت نسيت زحمة النهار والباسبورتات والتأشيرات والبنوك وشفت لندن ف بدلة جديدة ، وقلبى اتعصر من الم الفراق · وقلبى اتعصر من الم الجمال اللى مالاحظتوش غير ف آخر ساعة ·· ونا مذهول كدا شفت روث جايه بتمد وقطعت ميدان بيكاديللى من الوســط عشان توصل بسرعة ·· انا مش عايز اقولك روث دى كان معناها ايه عندى ·· روث دى بتمثل عندى كل الحاجات الجميلة اللى بتيجى بعد فوات الاوان · عرفت ساعتها انى انا اللى جيت متأخر مش هى اللى جت متأخرة ، هى جت متأخرة عشر دقايق ولاقيتنى مستنى ف الميدان ، لكن انا جيت متأخر تلات سنين ولقيت المركب مستنيه ف المينا · انت يمكن مخك بيروح لحاجات تانيه لكن دا غلط · روث كانت مخطوبه وانا كمان كنت مربوط من رقبتى · لكن اذا قالوا لى دور لك على اخت بين اركانجل وجزيرة النار مش هالاقى اخت احسن من روث · والعطــف بتاع أم نورمان ، ازاى انساه ؟

روث اخدت دراعى ودخلنــا اودونينو · جــوه ماعملناش غير حاجتين · شربنا نبيت بورغونى ورقصنا · صــحيح أكلنا بوفتيك واكلمنا عن فرنسا وعن الماضى وعن المستقبل وعــن الحرب لكن مافيش حاجة استنت فى راسى غير حاجتين · النبيت الاحمر وروث ف دراعى بتلف طول الوقت حــوالى وحوالين نفسها وحوالين الصالة · تلف · النبيت مستنى ف راسى لحد

اللحظة دي وهوه اللى بيخلينى اكتب الكلام دا ٠٠ ووروث شايفها دلوقت قدام عيني بتضحك من غير حساب وتلف من غير حساب وشعرها طاير مع الانغام زى تمثال للفرح مشيت فيه الحياة ٠٠ انا كمان كنت سعيد من غير حساب والنبيت لمع خدودي وبقيت اضحك والف بيها كأننا بنرقص ف باليه احنا اللى مألفين خطواته واحنا اللى واضعين الحانه ٠٠ هى طبعا كانت مبسوطه ومش فاهمه حاجة ٠٠ وانا كنت مبسوط لكن مانسيتش دقيقة واحدة ان ف نص الليل بالظبط تمثال الفرح اللى بين ايدى هايتبخر ويتبخر لحد مايتلاشى ف الهوا ٠٠ لكن انا مش مغفل افسد آخر ليلة بحسرة التفكير واوجاع لسه هاتحصل لما يمشي الحلم ٠٠ ان كنت عاوز تعرف حالتى النفسية بالظبط ليلتها هاأقول لك حاجة واحدة ٠٠ اتصور فالس زى « اصوات الربيع » متوزع على اوركسترا من تسعين نفر ، وف ضهر الفرقة عازف واحد ، واحد بس ، ماسك كمنجة وبيلعب صولو مقدمة الفصل التالت من « الترافياتا » تقدر؟ صعب ، دى كانت حالتى ساعتها ٠٠ وانين الكمنجة وحشرجة المومس البائسة اللى بتموت وثورة فردى كلهم غرقانين ف الـزيطه الايقاعية اللى مليانه الوان وعطور وخمره وضحك الشباب ٠٠

وف نص الليل وصلتها ف تاكسى لحد محطة ووترلو وودعت اختى اللى كانت تاهت منى ف الغابة واحنا عيال وشافتها الغزالة قاعدة تبكي قام حنت عليها واخدتها ورضعتها وربتها وعاشت مع الغزلان ٠٠

وتاني يوم الصبح اخدت شنطتى ف تاكسى لحد محطة فيكتوريا ، وشاورت بمنديلى للجناين والتماثيل والعمارات والناس اللى ف الشارع افتكرونى مجنون ٠٠

عشان كدا أنا باأقول لك ان أنا حظى كويس ف الاسفار ، ودا نفسه مصدر عزاء لان الصور اللى زى دى ماليه دماغى ومالهاش نهاية ، وكل ماتعب شوية من طريق الحياة كفاية اقعد ف كرسى غويط واغمض عنيه واستعرض الناس اللطاف اللى قابلتهم ف مفترق الطرق وابتسمت لهم واتئنست بيهم وبعدين مشيت ف حالى ٠٠ تغمرنى السعادة ، قلت لك دول كتار وبعضهم غيروا اتجاههم ومشيوا معايا شوية ف طريق الحياة

وبعضهم ذكراهم مش من نصيب الحبر والورق لكن نايمين مستريحين ف تجاويف عقلي انا وحدى عشان احميهم من عيون الناس .. لكن دا نفسه مصدر عذاب .. لماأبص ألاقي ان أغلب الناس اللي اتولدوا عشان يكونوا اصحابي بيني وبينهم بحور أو قطر سكه حديد أو فرق ف الميلاد أو غلطه ف العقيدة أو مقابله ماتمتش أو قبر مجدب ماعلهش حتى صحبة زهور . ادفن وشي في ايدى ويملى قلبي الحزن .

كان من احتياطات الحرب اننا ماعرفناش اننا هانركب المركب من تلبورى غير ف آخر لحظة لمابتوع كوكس وزعوا علينا تذاكر القطر حتى قبلها بيوم كان بعضنا بيقول هانقوم من ليفربول . عدد التلامذة المصريين اللي كانوا على رصيف محطة فكتوريا كانوا يطلعوا ميتين لكن مش كلهم سافروا اللي ركبوا القطر كانوا حوالي خمسين واحد . القطر كان مزحوم خالص والرحلة زى المنتظر كانت متعبة وسخيفة لكن قصيرة . ماحدش شاف حاجة في السكة حتى ماحدش فكر انه يطل من الشباك الا يمكن واحنا سايبين لندن وواحنا داخلين تلبورى . أنا لمحت الصبح بيكبر وبينتشر ع المصانع اللي ف أول السكة ، ولما نزلت ف المينا قعدت مشغول بالجمرك ساعتين ع الاقل ، مش تفتيش ، لكن مستنني دورى . الموظفين بتوع الجمرك أخدوا من كل واحد قناع الغارات السامة بتاعه وبطاقة الاكل وكارت تحقيق الشخصية . وقرب الضهر كنا كلنا على ضهر المركب أو طالعين على سلالمها وبنتفرج على حجمها وبنقرا اسمها الكريم المادورا . على خيرة الله .

اتحركنا عشان نخرج من مصب التيمس ، مابديش أوصف لك في البنايات وهيه بتبعد وتتلف ف الهوا الكثيف وتختفي ، ولو أني شفتها وفاكرها ، وكل واحد على الرحلات الاستكشافية بتاعته عشان يعرف الحمام فين والصالون فين والاكل فين ، ومشينا ف المصب ناحية بحر الشمال ساعات طويلة واتعشينا ونمنا وصحينا تاني يوم لقينا نفسنا لسه ف مصب التيمس ، ماأعرفش اذا كنا وقفنا شويه أو رجعنا شويه أو هو المصب اللي طويل كدا . أنا وقعت قرعتي اني أعيش ف كابينه واحدة مع الاستاذ على الجريتلي المدرس ف كلية التجارة والاستاذ

مصطفى عبد العزيز المدرس ف كلية العلوم وحمدت ربنا على كدا • الاولانى كان صديق شخصى ليه والتانى كان من شلة كامبريدج • أصل الرحلة كانت طويلة وزمـلاء الـكابينه أن ماكانوش منسجمين يتعبوا قوى • الساعة خمسة الصبح دخل علينا خدام الكابينه الهندى وصحانا بزعيقه •

ـ شاى • شاى •

وراح حاطط تلات فناجين وفتح شباك الكابينه المدور واحنا عرقانين من غير استئذان رحنا كلنا مفزوعين احنا التلاتة قومنا ف السرير وقلنا بالعربى ف وقت واحد •

ـ ايه يا أخينا دا •

هندى • مايفهمش عربى • كلمنـاه بالانجليزى مافيـش فايده • رد هوه بالانجليزى مافهمناش ولا كلمة •

ـ انت اسمك ايه ؟

دى فهمها

ـ كوتشى صاحب •

بالتمرين عرفنا انه صاحب دى هندى معناها حاجـة زى ياسيدى • كوتشى دا خد منا خمسة وأربعين يوم بلياليهم • مش غريب بقى انى باعتبره من أهم الناس اللى اعترضـوا حياتى • ع الريق المغفل يخش بالشاى ويفتح شباك الكابينه من غير استئذان واحنا لسه بنشر عرق • قلنا له بلاش شاى، قال أوامر الكابتن • قلنا له يسيبنا نايمين ، قال أوامر الكابتن • قلنا له مايفتحش الشباك قال أوامر الكابتن ، كل حاجة يعملها بلزقها ف الكابتن • اطلب منه شاى ف الكابينه بعد الضهر مايجيش ويقول أوامر الكابتن • لكن بالتدريج أخدنا على بعض وحتى كنا نهزر مع بعض من بعيد لبعيد • بالتدريج علمناه انه ينسى الكابتن وينسى الشاى وينسى يصحينا ف الفجر وينسى يفتح شباك الكابينه لحد الصبح العريض • أول يوم نمنا ف المركب كوتشى مش بس فتح شباك الكابينة لكن وقف قدامه وفضل يقول •

ـ لوك صاحب فايف سيب سنك •

ماحدش فاهم • اللى يقول له « يخرب عقلك » واللى يقوله « بلاش دوشه » •

ـ لوك صاحب فايف سيب سنك •

خمس مرات قالها • قلنا لازم دى حاجة ليها معنى مهم • بصينا من الشباك لقيناها صحيح حاجة مهمة • لقينا مصب التيمس مرشوق مراكب غرقانه • اللي باين منها بوز واللي باين منها عواميد خشب واللي باين منها مدخنه • حركة ذعر ف الكابينة • وريني • وريني وبعدما اتفرجنا ابتدينا نفكر ف كلام كوتشي ونحل ف ألغازه • اقتنعنا مرة واحدة ان من السلامة اننا نتعلم لغوة كوتشي عرفنا ان الجملة اللي استفتحنا بيها معناها • بص ياسيدى خمس مراكب غرقانين • قلنايمكن ياواد تحصل حاجةصحيح ييجي ينقل لنا تعليمات مانفهموش أو نطلب منه طوق نجاهمايفهمناش • ابتدينا نقصص فلغته • عرفنا ان كل «ش» بينطقها «س» وانه ماعندوش فرق بين الجمع والمفرد وأن الافعال المساعدةمالهاش وجود ف قاموسه وان طرق النفي وأدوات النفي عنده تتلخص في كلمة «نو» وانه ماسمعش عن أدوات التنكير والتعريف • كل يوم بقى الاستاذ الجريتلي يكتشف قاعدة جديدة ف كلام كوتشي ، وبعد تلات أسابيع ع المادورا لقينا نفسنا كلنا بنتكلم زى كوتشي تمام •

تاني يوم الصبح برضه قمنا مفزوعين وكوتشي وقف فوسط الكابينة ونعق زى البومه •

ـ سيب سينك صاحب لوك •

اللهلايصبحك يابعيد • مركب غرقانه ايه وزفت ايه • بصينا من الشباك لقينا صف مراكب غرقانين بحذا المركب بتاعتنا ، يمكن بتوع امبارح يمكن غيرهم ماأعرفش • احنا لسه فمصب التيمس والمصب واسع ومالوش شطئان وماحدش فاهم المادورا ماشيه ازاى • أنا كنت حاسس ماأعرفش ليه اننا دخلنا بحر الشمال • على كل حال طول النهار واحنا نتفرج على مراكب غطسانه • نبقي فين لسه ف المصب احنا يدوب اتسممنا الشاى اللي كوتشي جابه وعلى غفلة سمعنا حاجات بتقول بم بم بم • بصينا لبعض ، يعنى جاك الموت ياتارك الصلا • وأزيز • وكام طلقة مكتومة • والمعركة انتهت بسلام • انتهت حتى قبل مانلحق نلبس الروبات • بعد كدا عرفنا أن المادورا مش ماشيه لوحدها انما ف قافلة كبيرة ، حسبة خمسين ستين مركب وحاميام

مدمره واحدة ومدمرة جيب وان طيارات ألمانية كانت عاوزة تصطاد حاجة من القافلة لكن ردوها وان القافلة كانت عاوزه قال تحود ع المانش وتخرم المحيط الاطلسى لكن غيرت مجراها لما شافت الشغل حامي تحت وقالت أحسن تلف فوق اسكتلندا . ماحدش طبعا يعرف الحقيقة كلها ايه غير ظباط المراكب . لكن جزء من الحقيقة بالتأكيد اننا حودنا مبحر .

بعد كدا ماشفناش لا طيارات ولا غواصات ولا مراكب غرقانة . مافيش غير بحر الشمال بأمواجه اللى ساعة تبان بلون القصدير وساعة بلون الرصاص والمراكب التانيه قدامنا وورانا وحوالين القافلة طول النهار شايفين المدمرتين رايحين جايين ف اتجاهات عكسية لما واحدة تمشى من راس القافلة التانية تكون سابت ديلها ، زى الدبانات اللى بيمشوا قدام النقط العسكرية . طبعا الاشاعات كانت كتيره بين سكان المادورا . المادورا كانت صحيح صغيرة حمولتها حداشر ألف طن يعنى قد «النيل» وأصغر من «الكوثر» لكن فيه ناس كتير كانوا بيقولوا انها مركب خردة وكانوا هايشركوها لولاظروف الحرب ، مافيش شك انها كانت قديمة لكن الله أعلم سنها كام سنة .

واحنا لسه ف بحر الشمال حصلت دوشه تاني لكن ماأعرفش أصلها ايه . شوفنا المادورا بترمى مواد متفجرة ف المية . ناس قالوا غواصة . ناس قالوا تمرين . ناس قالوا روتين . وظباط المركب ماحدش منهم فتح بقه . مرة تانى ضربوا لنا صفارة الخطر ولبسوا جاكتات النجاة على غفلة ، برضه ناس قالوا غواصة وناس قالوا تمرين وناس قالوا روتين . واحنا عايشين زى الحمير ع المركب ماحدش فاهم حاجة ، على كل حال كان فيه تعليمات مطبوعة معلقة ف كل حتة بتقول ان المسافرين يوم كذا ويوم كذا هايسمعوا صفارة صفتها كذا الساعة كذا لازم يلبسوا جاكتات النجاة ويقفوا ف الحال ع الدك الفلانى وع الدك الفلانى — كل واحد طبعا على حسب نمرة كابينته . والاختبارات الدورية الثابتة دى قعدنا نعملها لحد ماوصلنا مدينة الكاب ، كمان علقوا لنا اعلانات طالبين متطوعين يا خدوا

تليسكوبات ويقفوا على سطح المركب عشان يراقبوا الغواصات. لازم أقول انه كان فيه مصريين كتار اتطوعوا ف الشغلانه دى.

المادورا مشيت مدة طويلة ف بحر الشمال قبل ماتقف على مينا، أكتر من أسبوع وطول الاسبوع دا البار كان مقفول ومافيش لا مشروبات ولا سجاير تتباع. أتارى فيه قانون يحرم على البواخر انها تبيع الحاجات دى طول ماهى فى المياه الانجليزية. دا كان حتة مقلب. ماحدش كان عارف الحكاية وكلنا سجايرنا خلصت من تانى يوم وبقينا نستلف من بعض. تالت يوم كان كل اللى ع المركب بيلموا الاعقاب. رابع يوم السجارة بقت بشلن. خامس يوم السجارة وصلت هاف كراون، يعنى اتناشر صاغ ونصف. بعد كدا انقطعت.

ف الآخر انفرجت أزمة السجاير وأزمة الشرب وكل أزمة تقريبا الا أزمة الزهق. ابتدا الزهق والبوكر ابتدأ. البوكر ابتدا تقريبا ف جزائر الاوركني ومالانتهاش غير ف الكاب، لان الزهق ماانتهاش غير هناك. ف الظروف العادية المركب كانت تقدر توصل جنوب افريقيا ف تلات أسابيع، لكن احنا وصلنا ف خمسة وأربعين يوم. الكابتن لف بالمركب فوق اسكتلندا وغيرنا الساعات، مشى أيام مغرب وغيرنا الساعات ومشى مقبل أيام وغيرنا الساعات وبعدين مشى مغرب أيام وغيرنا الساعات بالشكل دا كل يوم ف اتجاه. كل دا طبعا عشان يتحاشى مناطق الخطر. وحياتنا أصبحت خارطة جغرافية مافهاش غير ميه وخطوط طول وعرض. حتى الخطوط دى ماحدش قال لنا عليها انما استنتجناها من تأخير الساعة وتقديمها. واحنا فوق اسكتلندا قبل مانخش المحيط الاطلسى شفنا الليالى البيضا اللى بيحكوا عنها وفتنا على جزاير الهبريديز. ف اليومين دول أنا بطلت أقعد ف الصالون وسكنت ع الدك الوسطانى عشان أتمتع بكل دقيقة. ف نص الليل شفت الشمس معلقة ف الافق الغربى مالهاش لون والسما منورة والبحر عليه ضوء ف قوة الفجر العريض. الشمس فضلت معلقة كدا ساعات ماتتحركش وكان باين ان الفجر المستمر اللى احنا فيه نوره مش جاى منها لكن من لمبة سحرية مكانها ورا الطبيعة. فجر دايم، سكون دايم حتى صوت الموج وهو بيخور تحت المادورا كان جاى ف

ودني مش زى الصوت لكن زى الوش اللى بيملا طبلة الودن لما بنضرب جنبها مدفع ميدان ، دا لما أحصر انتباهي فيه • ولما أحصر انتباهي ف البحروالسما والشمس والافق الوش يروح وأحس انى لسه قبل الخليقه ف الزمان والمكان أيام ماكان الزمان والمكان فكرة واحدة الميه نفسها كانت زرقا وصافية ومالهاش نهاية •

احنا ماشفناش جزيرة الهبريديز ، لكن عرفنا انها موجودة لما شفنا الطيور البيضا بترفرف كل حته وحتى لما سبنا منطقة الهبريديز وسبنا الطيور ماسبناش منطقة السكون • أنا ماأعرفش اذا كان هدوء الهبريديز كان كامل صحيح وملحوظ والا أنا وحدى اللى حسبته ، يمكن كان فيه أصوات ف الهوا أو ف الميه أو جايه من عالم الاحياء وأنا اللى كتمتها بخيالى لانى قريت ف شعر وردزورث عن السلام المطلق هناك • أنا ماسمعتش حاجة ودا كفاية • يمكن خوار الحبب الابيض وهو بيتكسر على صدر المادورا كان الصوت الوحيد اللى بيمنع فكرة الازل • لولا دا كنا بقينا زى ناس ف الاساطير ركبوا مركب وابحروا ف السما لحد ماطلعوا من منطقة الكرة الارضية ودخلوا ف عالم الصفات المنفية والصفاء اللى مش مسموح للنفس الانسانية انها تفهمه ••

لكن طبعا كل حاجة ليها نهاية مادام المكان بيتحرك ف الزمان، حتى اللانهاية بتاعت الهبريديز كان ليها نهاية • كلها يوم ولقينا نفسنا بنضرب ف الاطلسى ، والاصوات اللى سبناها ف بحر الشمال رجعت كلها • أصوات الطبيعة والاحياء • الموج رجع موج والريح اتنفست تانى والبار اتفتح والبيرة انكبت ع البدل ولغة البوكر ملت جو الصالون والظابط التالت قعد يلعب « الدباسيوناتا » ع البيانو والجماعة بره كانوا بيلعبوا الطوق ويدربكوا ع الدك • وأنا اللى كان عندى فكرة مخيفة عن أمواج المحيط ابتديت أستخف بيه • كنت أقرا في الروايات وأشوف ف السينما مناظر تشيب للمحيط كل دى اختفت لما شفت الاطلسى بنفسى أمواجه معقولة ومش أعلى كتير من أمواج البحر الابيض المتوسط • يمكن احنا كان حظنا كويس ان

ماكانش فيه زوابع يمكن بعد كدا اتعلمت إني أسأل الريح وما أسألش الامواج ، الريح تعرف كل حاجة والاوقيانوس زيي وزيك يبقى زى الريشة قدام نفس الاعصار ..

المادورا كانت تابعة لشركة بواخر انجليزية هندية نص بضاعة ونص ركاب وظباطها كانوا انجليز وبحارتها كانوا هنود والطبيخ فيها كان انجليزى هندى . تركيبه عجيب . وبالنسبة لى نا أكل المادورا كان بيجيب لى دوار أكتر من دوار البحر . لكن كل حاجة تيجى بالتمرين وف آخر لحظة الرحلة الواحد ذوقه مات وبقى ياكل زى التور .

المصريين اللى ع المركب كانوا أمر الله بليغ وأنور فراج ومدام فراج ومصطفى زهدى وعلى صادق وأحمد صادق ومصطفى عبد العزيز وأنا من كامبريدج ومنير صبرى وعبد المحسن بكير من اكسفورد وعلى الجربتلى وسيد سودان وأزؤر يعنى عزت والبطراوى والشرقاوى البكرى ومدام بكرى وجنينه وسيسوزان من لندن وادوار زقلمه من بريستول وعبد الحليم محمود ومرعب ويوسف مجلى من ليفربول وشهدى من اكستر وحسنى عزيز حسن من ودنج وناس كتير تانيين مش فاكرهم دول طبعا كانوا مقسومين شلل شلل ومافيش رابط كبير بينهم . الدكاتره كانوا دايما يمشوا مع بعض وبتوع كامبريدج كانوا دايما يمشوا مع بعض والباقين مش عارف كانوا مقسمين على أى أساس طبعا التقسيم دا ماكانش محكم قوى لان الشلل كانت غالبا متداخلة ف بعض وكان الدكتور البطراوى يسيب الدكاترة ويجى يقعد معانا وسيد سودان كان عمود من أعمدة شلتنا وعمره مايمشى مع بتوع لندن . ومنير صبرى كمان كان معانا وعمرى ماشفته بيسلم على زميله بتاع اكسفورد كل دول انضموا لينا بحكم الصداقة الشخصية والبوكر . غير المصريين كان فيه شحنة انجليز كلهم رايحين المستعمرات فيهم الملكى وفيهم العسكرى . كان فيهم كام شاب صغيرين باين عليهم متخرجين من الجامعة ورايحين يتمرمطوا ف أطراف الامبراطورية . دول كانوا محايدين طول الوقت مافيش احتكاك لا بالوحش ولا بالمليح زى مابيقولوا ف المنيا . لكن كان فيه شلة انجليز تانيه ف منتهى الغلاسة وأغلبهم رجال كبار . واحد منهم كان

شكله عكر وكنا بنقول عليه قاضى ف تنجانيقا وبعدين سميناه « دومينيو » مرة كان اتخانق مع واحد فينا على الدومينو وكان على وشك انه ينضرب وبعدين ازؤر طلع عليه غنيوه مالهاش معنى ولحنها سونج وكل مالراجل يخش الصالون كان يغنيها بعلو حسه ·· لحد الراجل ماقطع رجله من الصالون · الحقيقة كان فيه اشمئناط عمومى بين المصريين والانجليز من أول الرحلة فيه حاجات كتيره بتحصل من غير سبب واضح · التنافر دا كان من الحاجات دى · يمكن السبب هو أن الانجليز من الاول حبوا يشتغلوا علينا ، يعنى يخلونا نحس انهم من جنس تانى أعلى شويه · الحاجات دى مش ضرورى تقولها انما تقدر تعملها · تقدر تعملها مع أى واحد · ييجى واحد يسألك عن الساعة مثلا تقوم تقول له عليها بتأفف · يفهم وتانى مرة مايسألكش · مش بس كدا · يكرهك كمان ، أو ع الاقل يشيلهالك ، وان كان عنده ثقة ف نفسه يردها لك ويبقى مبسوط ، ويمكن سببها ان المصريين كانوا دايما بيعملوا زيطه · ان ماكانوش بيغنوا تلاقيهم بيتخانقوا · وان ماتخانقوش تلاقيهم بيزعقوا ـ أنا ماأفتح بتلاته شلن ـ أشوفك ـ باس ـ أشوفك ـ هات تلاته ـ نمزمز بقى ـ هات واحده ـ سرفى ـ وكمان عشره شلن ـ باس ـ كله جنيه ـ نشوف ساكتين ـ تلاته آس ـ آه يابلاف تكسب · بطل الماسكيه دا ·

والانجليز قاعدين ساهتانين على تربيزه تانيه كل واحد ف بقه بيبه والبوكر بتاعهم بالاشارات · طبيعى انهم يتغاظوا من الشوشره ، وأى حاجه جايز تحصل بعد كدا · جو النرفزة ده على العموم استمر تلات أربع الرحلة · لكن ف الآخر كل حاجة مشيت كويس وحتى قلبت بمجاملات · مرة جماعة من الشبان الانجليز عملوا حفلة تمثيل ومونولوجات ونمر للركاب ، ولما نزلنا الصالون لقينا علمين كبار واحد انجليزى وواحد مصرى مفروشين على الحيطة قبال بعض دى كانت «بوجيســت» زى مابيقولوا · ع الاقل أنا كنت بافتكر كدا · المركب ماكانش فيها ركاب غير انجليز ومصريين وواحد بس اسود من كينيا · ماعرفش جابوا العلم منين انما يظهر ان كل مركب عنــدها

مجموعة كاملة من أعلام الدول عشان المناسبات المختلفة . وبرضه ف مناسبة تانيه العلاقات اتحسنت شوية زيادة عن اللزوم . الكابتن ماعرفش ليه جا يوم من الايام واحنا قرب سانت هيلانه وقال الليلة دى البار مفتوح على طول . يعنى حفلة تمام المصريين كانوامحتلين البار الاصلى اللى ف الصالون أبو كراسى جلدوالانجليز كانوا محتلين البار الغربى أبو كراسى قش . سكرنا وهم سكروا ، وبعد نص الليل ابتدت اللخبطة والانتقال . كنا نطلعدوريات دوريات من الصالون الجلدعشان نغزو الصالون القش ونهيص فيه . والانجليز كانوا بيعملوا نفس الحكاية ، لكن بعد شوية كل السكرانين واللى ناويين يسكروا اتحولوا ع البار القش لان الكابتن وبقية الظباط كانوا بيسكرو هناك . كنت تشوف جماعة بيغنوا وجماعة بيرقصوا ، قصدى يتنططوا ، وكنت تشوف واحد مصرى ماسك كاسين وسكى ف وقت واحد ، واحد باليمين وواحد بالشمال واتنين انجليزموطيين بيشربوا فيهم ، وكنت تشوف واحد مصرى راكب على ضهر واحد انجليزى وبيقول له «حا» سيد سودان وقعف شلةانجليز سكرهم بيطلع بغنا قام عمل لهم رئيس أوركستر قعديعلمهم «خد البزهواسكت » . أزؤركنت شايفه بيشيل الراجل الطويل اللى كنا بنسميه حكمداركينيا من رجليه ويروح ناكته ف الارض ويشيله تانى ويروح واقع به ع الكرسى . الراجل اتبطح ف الحكاية دى تلات مرات ف شفته وف قورته وكان يقوم من الهدر يضحك ويبوط ف عزت شفت بليغ كمان جا وقعديشد شنب الحكمدار ويشكه من ورا ويقول له بالعربى « ياتوتو عليك » ومنير صبرى كان مستفرد بواحد انجليزى وبيدى لهدرس مصارعة غير كده حصل فصلين من ألطف مايمكن . واحد من الركاب ايرلندى باين عليه مايطلعش عشرين سنة من سكره نسى انه موظف ف الحكومة البريطانية وقعدطول الوقت يقف على رجليه ويمد دراعه ويقول « هايل هتلر » . ويقعد ع الكرسى تانى ويقف ويفرد دراعه ويقول « هايل هتلر » ، ويقعد تانى . عمل الحكاية دى حوالى عشر مرات . بصينا لقينا راجل انجليزى كنا بنسميه الديك الرومى مشى لحد عندهوراح ضاربه قلم على قفاه ومسكه ف خناقه .

خلصناهم من بعض وخدناهم لبعيد عن بعض . دى كانت أول مرة ف حياتي أشوف واحد انجليزى « بيتخانق » طبعا بعد كدا شفت كتير لما وصلت مصر قعدت تلات سنين ف انجلترا ماشفتش اتنين ماسكين ف بعض أو حتى بيشتموا بعض . أنا انبسطت قوى من المنظر دا . بعد كدا على طول شفت منظر ألطف وأنكت منه . الساعة دقت اتنين والكابتن لاحظ ان كل واحد أخد كفايته شرب .. هو نفسه كان مستوى وبيتطوح قام أمر بقفل البار وقال للموجودين بذوق :

ـ خلاص مافيش شرب بعد كدا . السهرة كانت لطيفة قوى . بقى كل واحد ينزل على كابينته . جود نايت وراح مدور راسه بسرعة واتسند على درفة الباب وقعد يستفرغ بصوت عالى كلنا ضحكنا طبعا . والظباط سندوه لحد حاجز الدك عشان يفرغ بقية بطنه ف البحر وبعد كدا طلعوا بيه وحطوه ف السرير . الشرب وقف صحيح لكن السهرة استمرت بعد كدا كتير . لحد تلاته ونص قول . واتصور بار فيه خمسين راجل مدرغمين ومافهوش ستات . اتصور الحرية بقى اللى شافوها سكان المادورا . أنا طول الوقت كنت عامل حسابى انى أشرب لكن ماسكرش عشان أقدر أتفرج ع اللى بيحصل وأفتكره تانى يوم ، لكن جت على دماغى ف الآخر . منير صبرى ف درس المصارعة بتاعه انكفا ع الجدع الانجليزى والجدع الانجليزى وقع على عزت وعزت اترمى على وأنا اترميت ع الحيطة. دماغى طقت زى الجوزة الهند وكنت هاسورق لولا المجهود العصبى الشديد اللى عملته عشان مايغماش عليه . بلاش أقول لك ع المجهود العضلى الفظيع اللى عملته عشان أقوم وأنا فوقى تلات رجاله أقل واحد فيهم يوزن خمسة وتمانين كيلو . لكن فعلا دخت وجالى اغماء مؤقت حوالى نص دقيقة . ولما قمت الدم كان بيشر على قفاى وعلى ضهرى من وسط راسى . صبرى جا يعتذر لكن برضه قدرت ابتسم وأفهمه ان المسألة بسيطة. المسألة ماكانتش بسيطة ـ الجرح تلاته سنتى وغويط ـ لكن الحمد لله اللى جت على كدا . لو كانت الخبطة نزلت لتحت شوية ع المخيخ يمكن كنت رحت فيها أو حصل لى فقدان ذاكرة ارتجاج مخى وكنت زمانى ف مستشفى المجاذيب بدل ماأنا قاعد مرتاح

باقرأ كتب وأكتب مذكرات • أخدني دكتور مصرى اسمه عبد السميع للكابينه بتاعته وعمل لى اللازم ، كتر خيره • الاصول كنت أروح أنام ، لكن تعمل ايه ف المقاومة • رجعت الصالون تانى رأسى كلها قطن وشاش ووقفت اتفرج لقيت عزت لخبط قوى • نزل تحت وقلع ورجع الصالون تانى بالفانله واللباس وف ايده حربة طولها متر كان اشتراها من بلاد الزنوج ،وقعد ينشن بيها ع التابلو المدورة قال بيلعب «دارتس» بصيت لقيت الجماعة الانجليز الى كانوا بيلعبوا اللعبة دى ابتدوا ينسحبوا واحد واحد وينزلوا يناموا ، الصالون لما صفصف على أربعة خمسة عرفت ان السهرة انتهت نزلت أنام •

لكن الليالى اللطيفة دى ماجاتش غير ف الآخر • اما ف الاربع أسابيع الأولانية كان الروتين اليومى لينا اننا نصحى حوالى عشرة ونكون ف الصالون حوالى حداشر ونفضل نشرب بيره وندردش أو نلعب بوكر لحد الغدا وبعد الغدا نرتاح شويه أو نقرا شوية لحد معاد الشاى وبعد ماناخد الشاى نطلع نلعب بوكر لحد العشا وبعد العشا نبتدى نشرب من جديد ونلعب بوكر لحد نص الليل • العملية دى كانت بتتكرر كل يوم مع تغييرات بسيطة خالص • من حين لحين كنا نجرى حوالين المركب أو نلعب الكوره أو الطوق أو نخش ف مناقشة • وأنا من حين لحين كنت أقابل على الجريتلى ف الكابينه بتاعتنا وأخليه يقرالى حتت من « فاوست » بالالمانى ويترجم لى بالانجليزى أو أقرأ عليه الشعر الوحش الى أنا باكتبه وهو يسمع ف منتهى الصبر والأدب أو أقرأ عليه منظر من عطيل أو أخليه يقرأ عليه حتت من دى موسيه ف الخمسه وأربعين يوم بتوع المادورا دول كل النشاط العقلى الى قمت بيه انى قريت رواية «حسن» بتاعت جيمس الروى فلكر وكتبت سونيته واحدة بالعربى البلدى • صحيح أنا حاولت أتعلم طليانى زيادة على قدر ماأقدر لكن بعد كدا ركنت الكتاب • البحر كان لسه فيه أمواج ، واحنا كنا لسه ف وسط البحر ، والارض بالنسبة لنا كانت بؤرة أحلام • مين يقدر يشتغل من غير استقرار نفس الحركة الراتبه لفوق ولتحت بتاعت المركب كانت رمز لعدم الاستقرار • وجا علينا وقت كان أى نوع من أنواع الحركة معناه عدم استقرار • أنا

عارف • هيه غالبا الحركة المستمرة اللي خلتنا نعيش زى الحيوانات على ضهر المادورا • الحركة عدوة السكون •

فيه حاجات تانية كنا بنعملها أو أنا كنت بأعملها كانت بترجع لى صفاتى الانسانية المهدورة • كان معانا حسنى حسن ابن الامير عزيز حسن ودا كان شاب بتاع ستاشر سبعتاشر سنة ، مش من دورى أبدا ، لكن كنت كل ماألاقيه بيتمرن على درس البيانو بتاعه كنت أقعد جنبه أسمع • حسن ماكانش ف لعبه مهارة كتيرة وماكانش يعرف البهلوانيات بتاعت بعض الناس اللى صوابعهم سريعة ، لكن من ناحية الاحساس كان الطريقة اللى بيلعب بيها تدل على أن له مستقبل • هو نفسه مره قال لى ان كل امله انه يبقى زى ـ بادرفسكى أو شنابل ويطوف العالم ببيانو فورت •• حسن عمره مالعب حاجة غير شوبان • دا كان يناسبه هو قوى وكان كفايه على أنا قوى • لما الاقى واحد بسمعنى كل صباحية والتانيه مازوركا ولا نوكتورن ولا دراسة ابقى مبسوط خالص •• ولما الاقى واحد زى الظابط التالت بتاع المركب يسمعنى كل ليلة والتانية سوناتا لبيتهوفن ولا رابسودى لليست ابقى مش عايز حاجة تانى • حسن كان يكره « المهاره » بتاعت الظابط التالت وكان دايما يتهمه انه خالى من الشعور •• صحيح لكن حسن كان بينسى ان مهارة غريبه كانت احيانا تعلق الانفاس ••

دى أهم حاجة حصلت ع المركب • ومن سجل المحيط الأطلسى مش باقى ف ذاكرتى غير ليلة ابتديت ف منتهى اللطف وانتهت بغم •• كانت الشلة بتاعتنا بتحتفل بعيد ميلاد أنور فراج بعد العشا طلعنا الصالون كلنا ومالعبناش بوكر انما قعدنا قعده جميلة تحت البار على طول وهات ياشرب وهات ياغنا •• فراج اشترا علبة سجاير وحطها قدامنا وكان بيمضى كل الفواتير بتاعت المشتريات كمان •• وعزت قام بدور العالمه وقعد يغنى طول الوقت ، سوينج طبعا •• والباقيين سميعه ومذهبجية •• بليغ وسودان وصبرى وزهدى وصادق اخوان وانا ومدام فراج قاعدة ومبسوطة اللى احنا مبسوطين • عزت كان صوته حلو ويغنى باصول •• ابتدا بسونج صحيح ، وف الآخر لخبط كان يبتدى أى دور ويروح على غفلة قالبه سونج

وفالس يقلبه سونج • تانجو يقلبه سونج •• كانت حاجة تفطس من الضحك اذا كنت تقدر تتصورها من الزيطه اللى كنا عاملينها •• الناس ف الصالون طفشوا •• وصبرى يطلب دارامبوى ويحرقه ويشربه ويطلب دارمبوى ويحرقه ويشربه لحد ما استوى خالص وابتدا يقلب بعنف • بقى يضرب الترابيزة بأيده البيرة تقع على بنطلونى •• بقى يقف ويمسك المروحة اللى ف السقف وهيه دايره بمنتهى السرعة • بقى يحدف ف كراسى ويضغط ع الكبايات ف ايده يكسرها • عزت كمان عبال ماصوته اتبح من الغنا كانت شرايينه اتملت بالدم وعمل عمايل زى صبرى تمام • احنا كنا ملهيين ف الهيصة بتاعتنا وماحسيناش لما الكابتن بتاع المادورا جامع الظابط وقعدوا جنبنا وابتدوا يشربوا • يظهر الكابتن استحملنا كتير لكن لما شاف الحكاية فيها تكسير كبايات وتوقيف مراوح وجرى ونط والناس نايمين قال ف عقله دا مش شرب دى عربده راح زعق ف صبرى •

ـ انت روح نام •

دى كانت أول مرة نشوف الكابتن • صبرى شخط فيه

ـ انت ميم اللى تقول لى اروح انام • انت روح نام •

ـ انا الكابتن بيتى ، كابتن المركب • باقولك روح نام •

صبرى كان عنيد • مااعرفش كان فاهم الكلام اللى بيقولوا والا لأ

ـ لا انت مش الكابتن • انت مش ممكن تكون الكابتن ••

المسألة دخلت ف دور سئيل • الكابتن بيتى بص للبارمان وقال له ••

ـ ماتدى لوش حاجة تانى

ـ انا آخد بالغصب

احنا أول ماشفنا الحكاية كدا قعدنا نهدى ف صبرى وحبينا ناخده ينام •• لكن هو ابتدا يستعمل الفاظ قبيحة من النوع اللى بيستعملوه العساكر الانجليز ف مصر • مش بيشتم الكابتن لكن قال كلام كتير مالوش معنى أغلبه موجه لأصحابه اللى بيشدوا فيه عشان ينزل •

الكابتن : قلت لك روح نام •

صبري : انا ابوى رئيس وزارة مصر · انا بكره حا ابعت له تلغراف وابقى اتفرج ··

الكابتن : اذا ماسمعتش الكلام انزلك ف فرى تاون

دى كل المناقشة اللى حصلت · بليغ وسودان وعزت زقوا صبرى بره الصالون ، لكن صبرى هرب منهم · مانزلش ينام انما طلع فوق ع الدك الفوقاني خالص · طلعنـــا وراه ندور عليه بين المداخن وف الزوايا مافيش فايده · هوه كان ف حاله عصبية قوى وخفنا انه يعمل ف نفسه حاجة · ولما الظبـاط عرفوا الحكاية اشتركوا معانا ف البحث أخد نص ساعة تقريبا لان الدنيا كانت ضلمه كحل وكل الانوار الخارجية مطفيةعشان حالة الحرب · وف الآخر لقوه نايم ف قارب من قوارب النجاه اللى بتبقى مدلدله ف جنب المركب · سابوه للصبح ·· جت سليمه ان صبرى ماكانش من النوع اللى بيمشى وهوه نايم · كمان جت سليمة انالكابتن قفلالموضوع وماسابوش فى فرى تاون · تاني يوم الصبح كل حاجة رجعت زى ما كانت ··· صبرى كان لسه زعلان رحت انا جبت له ديوان شعر انجليزى فيه قصيدة لوولت هويتمان عن واحد كابتن مركبه غرقتوقلت له يديها لعزت يلحنها سونج · القصيدة اخدت لها يومـين لغاية ماصبرى راق ، لكن يظهر ان زعل الكابتن ماراحش بلاش من يوم الفصل دا نفسنا انكسرت شوية والمادورا رجع عليها السلام ··

دا تاريخ المادورا · باقى تاريخى انا مع البحر والطبيعة · من يوم مافتنا الهبريديزوانا هربان من الامواج المملة اللىكلها زى بعضها ف نفسي وف البيرة وف لعب الورق · لما شفت أن احنا نزلنا مغرب لحد جزائر الازور ف وسـط المحيط بقيت اصلى لربنا ان غواصة تطلع لنا وتطاردنا لحد مانوصل امريكا عشان ننزل نتفرج على بلاد الله · لكن مافيش حاجة من النوع دا حصلت ، والمادورابعد كدا مشيت جنوبا · كنا أحيانانسى خطوط الطول والعـــرض ، لكن ماكناش ننسى ابدا خطـوط البارومتر · دخلنا ف كل المناطق الحرارية تقريبا · طلعت من تلبورى ببليزر وبنطلون فانله وعبال ماوصلنا جـون او ف جروتس كنت مشتى ف كحلى وبعد مانزلنا ف غرب ايرلندا

كانت الهدوم بتخف لغاية ماوصلنا خط الاستواء كل واحد كان داير ببدلة بحر أو بنطلون شورت • وعند مدار الجدى ابتدينا نلبس هدوم تحتانية وعبال ماوصلنا الكاب لقينا الشتا طالع واستقبلنا الربيع • وزى ماشفنا النهار الطويل شفنا الليل الطويل • ولكن أهم من كل دا كان لون السما وقت الغروب.
كنت تشوف الشفق الافريقى يبتدى من الضهر لحد الليل وبين الضهر والليل خمس دقايق مافيش غيرهم وقرب الليل كنت اشوف الشفق فيه كل الالوان الرئيسية وكل الالوان اللى مش ممكنة وان كنت تقدر تتخيل ألوان جـــديدة كمان متخافش تتصور انها كانت موجودة ف الســـما قعدنا تلات اربع أيام فطسانين من الحر ونتفرج على تابلوهات مش هاترجـــع تانى الأيد الخفيـــة اللى بتعرضها بتخبيهـا تانى عشـان ماحدش يفهمها تمام • اسأل سيد سودان يحكى لك على سهام الشمس النازلة واشكال الغمام • ماكانش فيه سحاب ابدا • كان فيه غيم • السحاب ابيض بيعوم قدام نفس الريح لكن الغيوم ثابتة وداكنة وحمرا وصفرا وكل حاجة • دى الخواطر بتاعتى انا ع الاقل ، وانت حر • فيه تغيير ف سما افريقيا الاستوائية لو تعرف تقراه تلاقيه زى التعبير اللى على شـفايف الزنوج اللى ساكنين تحت الارض كله قوة وشهوانية وجمال وضاح مش منظم • ولو عندك خيال شوية تقدر كمان تشوف الغيم النبيتى والتمنتانى والاسمر قاعدين عليه اطفال الزنوج ، سودو عريانين وبيفتحوا ف الغيم بصوابعهم الصغيرة الفحمية • اى واحــد يعيش تحت السما دى لازم ياكل لحوم البشر دى حــاجة ف المناخ • فيه حاجة صريحة ف افريقيا الاستوائية مابافهمهاش من موسيقى رافيل ولا من صور جوجان لكن بافهمها من أى رومبا واى كونجا • اركب المادورا تفهمها •
المادورا ماوقفتش غير مره واحدة ف الرحلة الطويلة دى • من تلبورى لغاية فرى تاون عاصمة سيراليون شوط واحد •• يعنى شهر تقريبا •• كان لازم نرسى ف فرى تاون افتكر عشان نجدد اكل ووقود وميه • ولما اشرفنا ع البلد لقيناها عبارة عن شوية بيوت مش واضحة على تل اخضر وف سفحه فرى تاون ماكانش ليها مينا عشـان كدا المركـــب بتاعتنا مادخلتش ع

الساحل انما وقفت بعيد فالبحر الغويط على بعد كيلو ونص تقريبا ٠٠ كان فيه مراكب تانية كتيره حوالينا ومن بعيد قوى شفنا مركب مـــرفوع عليها العلم المصرى ٠ اتفرجنا عليهـــا بالتلسكوب وافتكر قرينا عليهـــا اسم « ردامس » وانت ف مصر ماتقدرش تتصور الفرح اللى فرحناه لما شفنا المركب دى كانت صغيرة ، لكن زى بعضه كفاية الواحد يحس ان بلـــده ليها بواخر بتشق المحيطات وتقتحم موانى العالم ٠ حتى من كتر الزيطه والهرج بتاعتنا والتلســكوب بيفوت من يد ليــد الركاب الانجليز اللى مركونين ع الدك اتحرك فضولهم وعرفوا الحكاية حجزونا ف المركب ساعتين وبعد كدا سمحوا لنا ننزل ف المينا ونرجع الساعة خمسة بالظبط ٠٠ أول المادوراماكانت قربت على فرى تاون وربطت بصـــينا لقينا الزنوج جايين من قوارب صغيرة قوى مدببة وضـــيقه ومطبوله ، من النوع اللى بيسموه بالانجليزى كانو ٠٠ كل كانو يساع راجل واحد ٠٠ الزنوج اتلموا تحت المركب وكان شكلهم يضحك ٠٠ كانوا عريانين خالص وسود غطيس بيعملوا بهلوانيات ٠٠ واحدمنهم كان جسمه عريانملط ولابس ياقةسهره منشية وبرنيطهعالية زى بتوع اللوردات الانجليز وطول الوقت يغنى هللويا مش هللويا بتاعت موتزارت ٠٠ هللويا أمريكانى من اللى المبشرين بيعلموهم للزنوج ٠٠ دول طبعا كانوا شحاتين ٠٠ كنتترمى للواحد بنس والا اتنين ينط من الكانو ويغطس يجيبهم ٠٠٠ الركاب طبعا كانوا عشان يخيلوهم يرموا لهم فكه كتيره قوى ف كل اتجاه والزنوج زى العفاريت مايطلعوش للسطح غيربعد مايلموها كلها ٠٠ قعدنا نضحك نص ساعة وبعـــدين جـت القوارب تاخدنا للساحل ٠٠ نزلنا فرحانين وركبنا نلـف ف البلد وزى العادة ف كل مينا التراجمه اتلموا علينا ٠٠ غوطنا ف البلد فراج ومدام فراج وانا دخلنا الدكاكـين واشـــترينا برانيط ومباسم عاج وحرب صغيرة وسمعنا ناس بيتكلمـــوا عربى ٠ اتارى البلد فيها جاليه سورية مشقليلة وكلهمفاتحين دكاكين وبعضهم كمان بيصدر للخارج منتجات المناطق الحارة الشوارع كانت وسخه وكلها تراب والبيـوت مكسره وواطيه وبعضها مبنى بالبوص والجريد ومغطى واحسن بيت فيها بيت

الحاكم العام الانجليزى كان زى بيت عمدة ف الريف المصرى لفينا البلد كلها ف ربع ساعة ع الاقـدام وف الآخـر لقينـا انفسنا بنخش ف الغابة اللى طالعه ع الجبل • قلنا لحـد هنا كفاية وقعدنا ع الارض بين شجر الموز والمنجه والنسانيـس بتتنطط حوالينا • أنا طبعا ماكنتش قاعد على بعضى وطـول الوقت باتصور ان تعابين كبيرة جايه علينازى الهيدرا والكوبرا والانواع اللى كنت باشوف صورها وانا صغير مرسـومه ف قاموس وبستر وانشف ف جلدى • وما صدقت معاد الغدا جا قلت نرجع • رجعنا المركب وكل الناس • والمادورا سـابت المينا وبعد شويه الضلمه جت ولقينا نفسنا بين الميه والنجوم• النجوم كانت اوضح من أى نجوم شفتها ف حياتى واكتـر . والميه كانت زى العادة بتلطش ف نفسها لكن تبص فيها تلاقى تحتها حاجات بتنور وتنطفى ، زى ماتكون لمبه كهربائيةمولعه جواه ، دورق مليان ميه سودا ، قالواسمك • ما اعـرفش • وف النهار شفنا حوت غطسان وبينفخ من خرم راسه نافورة ميه افتكرناها من بعيد بريسكوب غواصة • وف النهار شفنا لغم طافى والبحارة ضربوه عشر مرات بالرصاص عشان ينفجر ماحدش عرف يصطاده • سابوه وف النهار فتنا جنب سانت هيلانه وماشفنهاش ، لكن الطيور قالت والريح ناحت • وروح قوية غضبانة حامت على وش المياه • الانجليز رقصوا طول الليل وأنا سحبت شـوب البيره بتاعى وانزويت على جنب استعبر باللى كان واتأمل ف اللى هايكون •

بعد كدا ما شفناش غير الميه والافلاك • خلصوا الواحـد واربعين يوم • وبالليل شفنا جبل منور من راسه ، وع الجبل شوارع وميادين وف الشوارع حياه . كاب تاون •

رأس الزوابع

وصلنا كاب تاون ليلة ٢١ أغسطس ١٩٤٠ . قالوا لنا المركب هاتبات ف المينا وهاتقوم فالضحى، نزلت انا وحسن لابسين بلاطى المطر لان السما كانت بتندع . عدينا الجمرك ومشينا ورا الانوار ، لان منظر الانوار كان يفرح القلب بعد سنه سودا ف انجلترا وخمس أسابيع ع المحيط الدامس . حتى السجاره ماكناش نقدر ندخنها ع الدك بالليل بأمر الكابتن . حسيت بالسعاده لان اخيرا حطيت رجلى على جزءمن العالم مافهوش حرب وما بيفكرشف حرب . لكن اغلب سعادتى كانت جغرافية ، سببها انيكنت حاسس انى ماشى ف آخر نقطة ع الخارطه اللى ف الأطلس منتحت ، وانى أقدر اقول انى عشت ف آخر افريقيا من الشمال وف وسط افريقيا الاسود وف آخرافريقيامن الجنوب كأنى صحيح مشيت الاطوال العجيبة دى كلها على رجلى . لأ مش كفاية انى أتفرج على كيب تاون . لازم «انام» ف كيب تاون عشان اسجل الذكريات وأبنيها على أساس . طبعا أنا ماقلتلش الخواطر دى لحسن واحنا دايرين من سينمالسينما ومن شارع لميدان قلت قلت له .

ـ اسمع ياحبيبى • بقى انا ادى خمس اسابيع بانام عـــلى مرجيحه . انا الليله دى لازم انام على سرير ثابت واحس بانى على تيرافيرما •

الفكرة عجبته • احنا حجزنا اودتين ف لوكانده اســـمها « جراند اوتيل » ونزلنا تانى نتفسح ف البلد لقينا فيلـــم لنلسون ادى وجانيت ماكدونالد ف سينما اسمها البلازا دخلنا أنا طلعت مبســوط وهو طلع قرفان • لكن تانى يوم الصبح اتفقنا اننا نمنا مرتاحين • ومن كتر النشاط نزلنـــا ســـوا نشترى له جزمه قبل مانرجع المركب •

المركب شالت الركاب وابتدت تخـرج من المينا ، لـكن القارب اللى كان هايمشى قدامها عشان يوريها الميه الصالحـــه للملاحه خبطها ف ضلوعها قام جنبها اتطبق • المادورا وقفت بعد مالفت وقفت مدة طويلة • قالوا ان شركة التأمين رفضت تضمنها اذا خرجت من المينا وف الاخر جانا الخبر اليقـــين ان المادورا هاتنام اسبوع فـمدينة الكاب • نزلنا ع البلدجرى ولفيناها شلل شلل زى الدوريات • قبل مانخش جنـــوب افريقيا كنا سمعنا عن مشكلة الالوان فيها لكن انا شخصيا ماكنتش فاهم معناها بالظبط كنت أفتكر انهم بس بيدققـوا ف الاجناس اللى بتدخل عندهم• لكن لما قالوا ان البيض لهم قانون والسود ليهم قانون قلت مش معقول . الحقيقة ان كل المصريين لما سمعوا بالحكاية دى استنكروها وخافوا على نفسهم وبقم كل مايروحوا حته يبقوا مستعدين للخناق • طلعت انا والاستاذ الجريتلى نحقق الحكاية دى ف النهار • شفنا كـــل اللوكاندات والسينمات مكتوب عليها « للاوروبيين بس » شفنا الاتوبيسات مكتوب على نصها « للاوروبيين » والنص التانى « لغير الاوروبيين » شفنا مراحيض عامـــة للبيض ومراحيض للسود • شفنا بارات نصها للبيض ونصها للسود ، ولما وصلنا دربان أنا شفت كنيسه ـ بيت الله ـ ليها بابين • واحد للبيض وواحد للسود • البنك • القطر • المواقف • والمنتزهات • كل حاجة مقسومة نصين : أبيض واسود • ابتـــدينا نخـاف • المشكلة بقت بالنسبة لنا : ياترى احنا يامصريين بيض ولا اسود

قلت للجريتلي يللا نجرب • دخلنا بار واستعبطنا •
أنا : اتنين وسكي صودا من فضلك •
البارمان ــ آسف •
انا : ماعندكش ويسكي ، طب هات اتنين بيره .
البارمان : آسف •

هزيت كتافي وخرجنا • البارمان ماقالش غير الكلمة دي • كل حاجه كانت واضحه لكن أنا كنت باعمل عبيط • اذن المصريين ف جنوب افريقيا حاسبينهم سود • انا دمي فار من غير مسوغ • قبل مانخش البار كنت فاهم انه يمكن فيها كسفه ، ولما حصلت الكسفه ثرت كأن المسألة كانت جديدة علي ، وقعدت اشتم ، اولاد الكلب السفلة ، بكره نعمل امبراطورية ونوريهم • بعد كدا الواحد بقى ماشي مدووش • مرة سألت واحد ف السكه عن الساعة مارضيش يرد علي ، اتهيأ لي انه يصح في أي لحظة انه ييجي واحد ويوقفني ويقولي ، انت ماشي من الشارع داليه ، انت اسود « او » انت بتشرب سيجاره ليه ، «انت مش ابيض » صحيح لحد دلوقت ماشفناش شوارع مكتوب عليها الوان ولا اعلانات تمنع التدخين على غير الاوروبيين لكن بعد الحاجات اللي فاتت على اتهيأ لي ان أي حاجة جايز تحصل ف جنوب افريقيا • لحد دلوقت طبعا ماكانش واضح عندنا اذا كان المصريين ف قانون البلاد دي من الشعوب الملونة ولا من الشعوب اللي مش ملونه •

البارمان لما قال لي « آسف » يمكن كان فاكرني هندي • طيب الجراند هوتيل قبلتني ليه الليله اللي قبلها ، وسينما بلازا ، لأ البارمان مش قياس • على العموم احنا قررنا اننا نمشي ف الحكاية للاخر • واللي يحصل يحصل • ركبنا الاوتبيس عشر مرات مع الاوروبيين ماحدش قال حاجه • وبالليل دخلنا مع بليغ وسودان وفراج سينما تاني واتفرجنا على مستر روبرت تيلور وفيفيان لي ف « جسر ووترلو » ماحدش قال حاجه • ورحنا احسن رستورانت ف البلد ماحدش فتح بقه •

انا ما اعرفش اصحابنا الباقيين حصل لهم ايه بالظبط ف المسألة دي ، لكن اعرف ان بليغ وفراج وسودان • وصبري وعزت وزهدي اول ليله دخلوا قهوة كبيرة اسمها

« دل مونيكو » وقعدوا يشربوا من سكات وبعدين جم اتنـــين عساكر سكرانين وقعدوا يترازلوا عليهم . العساكر ابتدوا :
ـ انتوا قاعدين هنا ليه ؟
ماحدش رد عليهم .
ـ انتو مش ف الجيش ليه ؟
ماحدش رد عليهم .
ـ انتو من انهى داهية .

لما الجماعة شافوا ان مصر بقت داهية عرفوا ان التلبيـــــخ هايشتغل . كل واحد كان عارف ليليتها ان المركب هاتقـوم تاني يوم الصبح بدري ، وماحدش قايم عنده نية انه يبات ف الكركون ويخليها تفوته . عشان كدا المصريين احتملوا كتير . بليغ كان ناصح ، راح قايم من سكات وقابل مدير المحل وشرح له المسألة وطلب منه انه يرمي العساكر بره ، وفعلا مدير المحل نزل معاه وخلاهم سابوا المكان . بعد دقيقة العساكر رجعوا تاني ورا بليغ من جديد . واحد منهم مسك بليغ من قفـــاه التاني زغده ف راسه وقال له .
ـ انا سألتك انت من انهى داهية . ماترد .
بليغ وقف على رجليه وقال له
ـ حاضر هارد .

وراح شايل كرسي وطاخ على دماغ الجدع ، دمه ساح لكن قام وحب يهجم . كمان ترابيزه على دماغه نزل فلات .. سودان كمان وقف على حيله ومسك التاني من ياقته وبوكس ف صدغه الشمال وجزمه ف بطنه نزل فلات . البوليس جا وشالوهم على نقالة .. مدير المحل شهد ان العساكر هم العايبين والليلة انتهت بسلام . الناس اللي كانوا بيتفرجوا ع الخناقة اتلمـــوا ع المصريين وقعدوا يسلموا عليهم وكل واحد طلب لهم بيرة على حسابه دا طبعا دليل على أن جنوب افريقيا بلد لســـه بكـر ، واهله يحبوا اعمال الفتونة وشغل « الـــكاوبويز » تاني يوم الصبح الخبر كان على كل لسان لما وصلنا دربان بعدها بعشرة ايام لقينا الناس لسه بتتكلم ف الموضوع .
ادي اول حاجه عملوها المصريين ف جنـــوب افريقيـــا .

دافعوا عن كرامة بلادهم ، وفهموا كل الناس ان مصر فيهـــا رجاله . وعلى حس خناقه دل مونيكــو كان فيهأ كتر من ميت مصرى عاشوا شهر ونص ف جنوب افريقيا روسهم مرفوعه . تعرف الجزاء كان ايه ، بدل الحكومة المصرية ماتطلب نيشان الجداره لبليغ وسودان بعد مارجعوا رفضت انها تاخدهم ف الجيش نهايته خلينا ف عالم الذكريات ، لان عالم الذكــريات مش مر زى عالم الواقع .

تانى ليلة بليغ وشلته داروا يشمشموا على نادى ليلى لغاية ماعتروا ف واحد ، وف النادى لما شافوهم غامقين شـــــويه تعبوهم شويه ماتفهمش خافوا منهم والا ايه ماقدروش يقولوا لهم ممنوع الدخول لغير الاوروبيين قاموا قالوا لهم ان النادى مابيديش مشروبات دخلوا وقعدوا وهم ناويين على نيه سودا. كلمة واحده خارجه عن حد الادب وهم يشطبوا المحل عـــلى الطريقة المصرية ، صبرى نزل جرى ع المادورا عشان يجيب شرب لقى البار قافل ، راح واحد بحار بكام شلن وخلاه يسرق له قزازة جن من أودة الكابتن . رجـع بيها النـــادى الليـلى والجماعة قعدوا يمزمزوا عليها لحد ماخلصت . الناس اللى كانوا بيرقصوا بطلوا رقص وكل واحد قعد كاشش من وجود الجماعة دول . المرح راح من الصالة ، لكن مصر اقتحمت « بالعافية » وكر من اوكار الاوروبيين . ودا كفاية . انا عندى حاجة زى كدا فيها دعاية لمصر اكتر من لما نفتح قنصلية وسفارة ونبعت بدل بقصب وقواصين . فيه ناس تخاف ما تختشيش . دول خوفهم تعيش مرفوع الجبين .

اول يوم الصبح رحنا الجريتلى وانا طرف البلد من تحت ، حته اسمها سى بونيت ، كاب تاون زى ماقلت لك مبنية على جبل اسمه تابل ماونتن ف خليج اسمه تابل باى ، وفعلاالجبل لما تشوفه من بعيد وانت داخل المينا تلاقى شكله زى ترابيزه حجر . منظر البحر من ناحية المينا ممل لانه مستأنس شـوية ومليان مراكب وف ضهره ونشات مالها عدد وترسانة وخط سكه حديد وعربيات مليانه فحم وشـيالين وعمـال وموظفـين الجمرك . كل الحاجات دى تضيع هيبة البحر . انمـا اذا كنت

عاوز تتفرج على عناصر الطبيعة ف حالتها الاولى تلاقيها فـحته تانية من الساحل زى سى بونيت ، نزلنا من الاتوبيـس وكان لازم نمشي مسافة بانحدار • لقينا دكان دخلناه نشـــترى سجاير . لقينا بنت حلوه عمرها حوالى تمنتاشر سنه وشـها صبوح واقفه تاكل قشطه وتضحك طول الوقت عرفنـــا من لغتها ان البنت ماكانتش انجليزية انما افريكان ، يعنى من اصـل هولندى ، ولما شافتنا وقفت تتفرج علينـا زى ماكنـا بنتفرج عليها هيه وقفت تتأمل فينا لانه كان باين عليناغراب • لازم افتكرتنا اسبان أو برتغاليين • احنا وقفنا نتفرج عليها لانها اول خلقه تضيفه شفناها بعد اربعين يوم من القحـــط الشديد • صحيح المركب كان فيها تلات اربع بنات انجليـــز باين عليهم كانوا رايحين يشتغلوا ممرضات ف الســـودان وباقى نواحى الامبراطورية ، لكن دول كان شكلهم غلط عـلى الاطلاق ويمكن ف ظروف تانيه الواحد ما يرضاش يتعـــرف بيهم • هم كمان ف الظروف الاستثنائية دى استغلوا قانون العرض والطلب اشنع استغلال وابتعدواعن كل الناس وفاتت اربعين يوم على اربعين شاب من غير مايتبادلوا تحية الصباح مع واحده من الجنس التانى • القسوة اللى فى الموقف واضـحة عشان كدا البنت اللى شفناها واقفة تاكل قشطه وتضـــحك جنب الشاطىء هبت علينا زى نفحه زكية من عالم الارض وفيها اتجسدت كل معانى الحياه • واحنا نفسنا كان باين علينا اننا ملاحين من عالم بعيد محصور مافيش بينه وبين الارض تجارة• سبناها ونزلنا الشــاطىء لقينا صبرى كمان نازل يتفســـح قعدنا ع الصخر ضهرنا لكوينز هوتيل وبقية الفيلات وعنينا مرخية على مفرق البحور ، شفنا المحيـــط الاطلسى بيضرب ف المحيط الهندى والاتنين بيضربوا ف الصخور والجو كان صافى والافق ممدود ابعد من المعتاد والميه بتلمع تحت الشمس والهوا بيمسح السخونة من خدودنا ، ولو كان نظرى بعيد شــوية كنت شفت المحيط المتجمد الجنوبى طالع منهم زى بحيرة قزاز بتتمخطر عليها البنجوين وسـيندرلا بتعمل باتيناج • البحر كان هايج وماكانش فيه امواج ، كان صدر الميه كلها يتملى غضب ويرتفع وبعدين ينطوى حوالين نفسه او على الصخور الساحل لحـــد

ماقوته تتبخر ف الهوا ويهبط لأصله • ولو كنت قاعد لوحدى يمكن كنت عملت بتين شعر أفتكر بيهم أقصى الجنوب والشعور جالى وأنا قاعد ع الحجر كأن الارض مسطحة وكأنى قاعد على حرف الارض ومدلدل رجلى ف الفضا ، لكن أنا ماكنتش لوحدى وكان عندى حاجة أحسن من بيتين شعر أفتكر بيها المكان •• البنت الهولندية جت علينا وقعدت بعدنا بصخرتين وكانت لسه بتاكل قشطه ، أهو أنا بعد عشر سنين ها أنسى مدينة الكاب وشوارعها وميادينها وباراتها واختباراتها مش ها أفتكر من كل اللى شفته غير لسان الارض عند سى يونيت والبنت الهولندية ماشية ع الساحل بتاكل قشطة فستانها طاير ف الهواء وعينيها بتجول من غير اكتراث ف مجمع البحور ، كمان ها أبقى أفتح الاطلس عند خريطة العالم وف ايدى دبوس وأشوف آخر نقطة ف افريقيا من تحت ، وبين اللون الاصفر بتاع اليابس واللون الازرق بتاع الميه أغرز الدبوس زى ما واحد رحال لما يوصل قمة افرست ويغرز علم بلده ، وأقول هنا قعدت ع القارة ودلدلت رجلى ف المحيط •

دى هيه السعادة الجغرافية اللى قلت لك عليها ، الاسبوع فات هوا وشفنا كل بيت ف كاب تاون وكل شجرة ، بلد جميلة نضيفة صغيرة جديدة صحيح مافهاش آثار زى مصر لكن دمها خفيف وصحيح أصغر من اسكندرية بمراحل لكن عامله زى الموانى السحرية اللى ف أمريكا الجنوبية اللى قريت عنها وماشفتهاش ، أسبوع كامل ف مدينة الكاب ماقيناش واحد من الاهالى نكلمه حتى كمسارى الاتوبيس كان ياخد فلوسه من سكات ، اللى يحكم بالمظاهر يفتكر ان البلد دى جد ف جد • لكن أنا قادر أتصور الافراح المستخبية والليالى اللطيفة اللى ماشفنهاش ، اللى مايشفهاش السايح لكن يشوفها واحد استوطن ف بلد وانسجم مع أهلها ، أنا متأكد انى أبقى سعيد لو عشت سنتين ف مدينة الكاب ، أنا ماكانش عندى فلوس كتير عشان كدا كانت القاعدة انى أطلع الصبح والضهر أرجع اتغدى ف المركب وبعد الضهر أنزل البلد تانى وع العشا أرجع آكل وأنزل تاني وف آخر الليل أرجع المركب أنام ، العملية دى كانت بتوفر لى جنيه بالراحة كل يوم •

ولكن دى كلها اختبارات شخصية وأهميتها محدودة ، أهم منها الحاجات اللى اتعلمناها عن جنوب افريقيـــا مش بس ف أسبوع الكاب لكن كمان ف الشهر اللى قضـناه ف دربان ف مشاهدات الحياة ، اتعلمنا انسكاناتحاد جنوب افريقيا خليط مش مزيج ، لان الشعوب اللى فيهــا مش راضية تندمج ف بعضـــها لا ف اللغـــة ولا ف الدين ولا ف الدم عن طريق التزاوج ولا حتى فى العادات ، الانشقاق دا طبعا وصل للقمة أيام حـرب البوير ، لـكن حتى دلوقت أنا ماأقدرش أسمى سكان جنوب افريقيا « شعب » عشان مافيهمش وحـده ٠٠ ومالهمش غرض مشترك ، دا مايمنعش انهم ناس متمدنين قوى ف حاجات كتيرة ، وحتى مالوش دعوى بالحكاية دى ٠ المدنية شيء والنضوج السياسى شيء تانى ، شعوب جنوب افريقيا ليها عدد ومعروفة ، أولا فيها بيض وسود ، البيض نوعين ناس أصلهم انجليز وبيتكلموا انجليزى وناس أصلهم هولنديين وفرنساويين كان أصلهم هيجونوت طفشوا من اضطهاد الـــكاثوليك زمان ودول بيسمو نفسهم افريكان وبيتكلموا لغة مولودة من اللغة الهولندية اسمها برضه افريكان ، السود برضه نوعين ، فيهم الزولو ودول السكان الاصليين وأصـــلهم صنف من الزنوج وبتكلموا لغة اسمها البانتو ، وفيهم هنود هندوس على مسلمين ٠٠ ودول ساعة يتكلموا انجليزى وساعة هندى وأصلهم كانوا الانجليز جابوهم من الهند وسيلان أيام ماكانوا بينشروا زراعة السكر ف جنوب افريقيا ، دى هيه الاجناس الرئيسية ، لكن طبعا فيه ناس مولودين نص دمهم أوروبى ونصه مش أوروبى ٠٠ وبين السود نفسهم فيه ناس هندى على زولو ٠

تلاقى بين العناصر الاربعة دى فيه شقاق مســـتمر ، لكن مش دايما ظاهر تلاقى الانجليز والافريكان منضمين لبعض ومسميين نفسهم أوروبيين عشان يحكموا السود ويستغلوهم ، الحكومة فى ايدهم وطول الوقت يطلعوا تشريعات ضد السود ، الحالة فـجنوب افريقيا بطاله خالص لان الحكومة المركزية « معترفة » بأن فيه ألوان ، كل واحد يعرف ان الولايات المتحدة كان فيها ويمكن لسه فيها مشكلة ألوان ، لكن حكومة واشـــنجطون من أيام

ابراهام لنكولن عمرها ما اعترفت بأن زنوج أمريكا مش مواطنين ليهم نفس الحقوق وعليهم نفس الالتزامات بتاعت البيض، بالتأكيد فيه لكن فيه كراهيات واضطهادات كتيرة شغاله ويمكن الحكومة نفسها مشتركة فيها لكن مش بشكل رسمي ، فجنوب افريقيا مش كده بقى ، الحكومة هي اللى فاصلة السود عن البيض ف كل المرافق العامة وهي اللى مانعة السود من الجماعات وهي اللى عاملة أجرة الاسود أقل من أجرة الابيض وهي اللى مطلعة قوانين للاوروبيين وقوانين لغير الاوروبيين ، ف غير كده تلاقى الانجليز والافريكان يكرهو بعض وطول الوقت يتنازعوا ع السلطة بدرجة ان البلد ليها لغتين رسميتين الانجليزى والافريكان وعاصمتين كيب تاون وبريتوريا وحزبين فيلد مارشال سمطس اللى عايز جنوب افريقيا تستنى حتة من الامبراطورية البريطانية وحزب هرتزوج ودكتور مالان اللى عايزين بلدهم تنفصل منها والطابور الخامس اللى عايز اتحاد جنوب افريقيا يبطل حرب ويعلن انفصاله من الامبراطورية بيشتغل بمنتهى النشاط ، حتى واحنا هناك سمعنا عن مؤامرة عاملينها الافريكان لقلب نظام الحكم لكن مافيش حاجة حصلت . والسود كمان حالهم ألعن من البيض ، طبعا ف أى حاجة ضد البيض تلاقيهم مع بعض لكن ف غير كدا تلاقيهم منقسمين ، الهنود لانهم مش غامقين قوى زى الزولو عاملين انهم أعلى منهم ف الجنس ٠٠ والقوانين ين نفسها بتشجعهم لان الحكومة بتفرق بين سواد وسواد وف مقياس الانسانية سكان جنوب افريقيا ترتيبهم من أعلى الى أسفل : الانجليز ، الافريكان ، الهنود ، الزولو ، حالة تحزن صحيح ٠٠

لما استقرينا شوية ف البلد اتعرفنا بناس من كل جنس ، الزولو كانوا بيشتكوا لنا من الهنود والهنود كانوا بيشكوا لنا من الاوروبيين ، نسأل الانجليز يقوموا لنا دول الافريكان هم المسئولين ، نسأل الافريكان يقولوا لنا دول الانجليز هم المسئولين ٠

الاسبوع فات والمادون صلحوها بالاسمنت وخرجت من المينا ودخلت ف البحر العريض ٠

حياة الصالون اللى مليان دخان سجاير وكبايات بيرة ع الترابيزات رجعت تانى لكن ماكانش فيه لعب ، قعدنا أول يوم الاستاذ الجريتلى وأنا نبحث ف مشكلة الالوان لكن ف ظروف مش عادية أبدا ، أنور فراج والست بتاعته سابونا ف الكيب لان الست كانت حامل ودكتور المركب قال : دى تكمل الرحلة بالقطر . دى ماتحتملش الامواج اللى هاتفوت فيها . الامواج اللى كنا هانفوت فيها كانت الأمواج اللى فات فيها بارثولوميو دياز .. ورأس الرجاء الصالح كان زمان اسمه راس الزوابع وكل المراكب اللى لفت حواليه لفت ف دواماته واستقرت فى بطن المحيط ، لحد ماجه بارتولوميو ديازوقيد الريح وأخضع اللج وفات بسلام وغير اسم المكان ، الريح ماضيعتش وقت وابتدت تصفر والموج اللى عملته ماكانش زى قمم الجبال لكن زى الجبال نفسها ، وبين الجبل والجبل أخدود ، والاخدود زى الهاوية ، والمركب تنحدر ف الهاوية ونشوف بوزها بزاوية ١٣٠ درجة نغمض عنينا ونقول هانخبط ف القاع ، والجبل المتجدد يحط كتفه تحت المركب ويطلع بيها من قدام نغمض عنينا ونقول المركب شالت ميه من ورا ، وطول الوقت خشب الكباين بيزيق زى سقف بيت خربان ، وان ماغمضناش عنينا نشوف الكراسى والطقاطيق والبيانو نفسه بيدحرجو على أرضية الصالة ، أنا بحار كويس عمرى مادخت من الميه ولا استفرغت ولا حتى فقدت شهية ، لكن المرة دى خفت صحيح .. الميه كانت تطلع لتالت دك وتتحطم عند جزمتى وتبل بنطلونى ، أخاف ولا ما أخافش ؟ مجرد النظر للبحر كان يخلى الواحد يفكر ف تفاصيل الغرق ، ولقيت أسلم حاجة ان الواحد يحتمى ف الصالون ويشتغل بكتاب يصرف تفكيره ويعمل حسابه أن عنيه ماتقعش ع الافق اللى بيطلع ويختفى بره الشبابيك ، نص الركاب استفرغوا والمرح بتاع دل مونيكو طار من الشفايف الصفرا والاجسام المرضانة اللى كانت مرميه ع الكنب أو مسنوده ع الحيطان .

اربعة أيام بالشكل ده ف مركب كهنة ضلوعها ملصمة بالاسمنت وحمولتها بتاعت بحر مش محيط ..

وأنا ماأعرفش أعوم ، اللى زيى طبعا كان يطب زى الزطل .. يغطس مايطلعش ، لكن دى فكرة مش منتجه ، يعوم مين

يا عم ، ولا جونى وايسمولر ولا اسحق حلمى يثبتوا خمس دقايق على بعض ، من الأول كنا عارفين انهم هايبقوا بالشكل ده ، ومن عنف المحنة أنا شخصيا ابتديت أشك اذا كان رجانا الصالح ف دربان كان له محل والا لأ لكن أفظع وقت فات على صحيح كان لما يجي وقت النوم ، فالنهار الموت يجي والواحد يشوفه ف صدر الموجه المالحه ويغالبه ويشربه ويطفحه ويضربه بايديه ورجليه ، ف النهار الواحد يقدر يشوف له طوق والا جاكتة فلين والا قارب نجاه والا حتى لوح خشب يتشعبط فيه زى روبنصون كروزو .

لكن بالليل كل ما أحط راسى ع المخدة أتصور انى نعست وصحيت مرعوب لقيت المحيط بيتدفق من باب الكابينة زى الشلال ، ساعتها يبقى قضى الامر ، فطيس ، أو أتصور انى رحت فى نومه وتانى يوم الصبح ماصحيتش .. يعنى مت من غير ماخد بالى .. فطيس .. أو أتصور نفسى قال ف قاع المحيط راقد مسجى ما فياش حياة والسمك حوالى بيقزقز ف صوابعى وبعض ف جزمتى ، لأ بلاش نوم ، أقعد ف السرير أقرا من غير فهم وأنتبه للسقف اللى بيزيق وأسمع رغاء الثبج وهدير العناصر وأبص ف وش على الجريتلى ألاقى عليه صفاء نورانى مافهوش تعبير زى واحد ارتفع عن الدنيا وبيبص وراه وبيتأمل عمله ف حياته ومش شايف فيها حاجة تزعل ولا حاجة تفرح ولا حاجة تكسف ، حتى مش شايف فيها حاجة تستحق الاهتمام ، أهو ده لو انتهى دلوقت يبقى طلع كيت من الحياة ، وطلع كيت مع الحياة ، وأبص للسرير اللى تحته ألاقى مصطفى عبد العزيز وشه بينزعرق ف المخدة وقورطه مكفهرة وخدوده بتتنفض وطول الوقت بيمضغ حاجة زى واحد ضميره تقيل وعقله الباطن مشحون أحقاد وآلام ، تلاقيه كان بيفكر ساعتها ف رسالة الدكتوراه اللى كان سابها ف ايدين الممتحنين وركب المركب قبل ما يعرف النتيجة ، الساعة اتنين ، ألبس الروب وأطلع ع الصالون ماالاقيش جنس مخلوق عرفت ان أنا الوحيد اللى أعصابه خسرانه ع المركب ، والساعة أربعة تكون أجفانى بتتناوب وشفايفى دبلانه وعقلى منهوك ، أنزل كابينتى وأقول لحد كده

كفاية ، دى بقت حرب ع الحياة مش حرب ع المـــوت ، اللى يموت ف ستين داهية ، وأصحى مع الغدا ··

أربعة أيام بالشكل ده ، ونسـينا العبيد بتوع كاب تاون واليفط اللى بتقول «للاوروبيين بس» نسيناها ، ماكانش عندنا غير فكرة واحدة ، زى مابتشوف الريح أحيانا تتجمع عـلى بعضها ف شكل مخروط من الدخان وناس تقول عفريت وناس تقول اعصار كمان المحيط كله لف حوالين نفســه ف دوامة واحدة ، أربعة أيام بالشكل ده ، وف الصبح شفنا الطيور طيور دربان ، وبالليل حلمت حلم جميل ·

٣ اكتوبر ١٩٤٠

حلمت أن المادورا غرقت وانى ماشى ف قاع المحيط · لكن الاهوال اللى شفتها على وش الميه اختفت ومافيش حوالى غير سكون زى سكون المرتفعات وصفاء زى صفاء السما عنــد القطبين · موج مافيش رياح · فيه بس اوقيانوس مالوش حدود من الزرقة الرايقة اللى بتتمرجح من غير صــوت زى الوان والت ديزنى والا السائل السحرى اللى ف بنورة لص بغداد · فاتت على سمكة حمرا ف حجم الرمانة بترمى هالة حمــراء منين ماتروح ولعبت قــدامى شوية وقبلت الميــه بين ايدى وهزت النور اللى ف ديلها فهمــت انى لازم أمشى وراها · لو كنت ع الارض كنت افتكرتها النجم الهادى اللى مشى قدامه الرعاه لحد بيت لحم ووقف عند بيت النبى المولود قلت دى رسول من عند ملك محجوب وأنا على وشك رؤيا ·

فضلت ماشى والسمكةتنور طريقى · وع البعد شفتغبش سد البحر ، البحار يشوفه صخرة من فوق واللى يعــــرفوا أسرار الخيال يشوفوه قلعة ليها سبع أبراج وقبة كبيرة ·

شوية شوية لقيت نفسى على أعتاب كهف عظيم بابه ضئيل والسمكة حنت رأسها وهزت ديلها النورانى وقبلت الميه بين ايدى وانطفت على طول • دخلت الكهف لقيت دهليز وف آخر الدهليز صالة كبيرة مسقوفة بالزمرد واللولى واليـــــاقوت المعشقين بدهب مصبوب • شفت الحيطان مرجان ، والارض واسعة ومكشوفة ، بلاطه مرمر ، وبلاطة فاروز ، وف آخـر الصـالة شفت ملك قاعـد على عرشه تاجه فصوص الماظ وف ايده الصولجان • لابس كسوة لونها حشيش مفضض وحواليه بنات البحر والفرسان • خفت شويه لكن مشيت بثبات لحد مابقى بينى وبينهم حاجة بسيطة وركعت تلات مرات وصرخت بصوت عالى :

ـ يامولاى ، أنا شفت نور عجيب ومشيت وراه • ياترى أنا وصلت والا لسه كتير ؟

الراجل اللى ع العرش رد :

ـ أهلا وسهلا هنا ماحدش يعرف الشك ولا الغلط ولا الضلال •

فهمت التلميح وعرفت ان دا هو المكان • قلت :

ـ فين أنا يامولاى ؟

ـ أنا ملك البحر ودا قصرى ودول بناتى وأصهارى وانت ضيفى اذا حبيت •

ركعت تانى وقلت :

ـ أنا ف خدمة مولاى •

ملك البحر ضحك وقعد يلعب فى دقنه البيضـــــا بتأنى ورد :

ـ ماتوعدش يا ابنى بحاجة بعدين تندم عليها • قبلك برضه واحد زيك وعد وأقسم لكن نسى الأيمان • اسأل بنتى دى عن بقية الحكاية •

بصيت للبنت اللى شاور عليها اتهيأ لى انى شفتها قبل كدا • قعدت أحقق ف شعرها الازرق الطويل وعنيها الجميلة المرخية وبعدين افتكرت كل حاجة •

أنا : انتى اندين ، مش كدا ؟

اوندين : أيوه • ازاى عرفتنى ؟

أنا : شفتك مرة بتتشمسى على رمل الشـــــاطىء جمالك سحرنى ومن يومها بقيت أمشى ورا ظلك من ساعة ماقابلتى هانز لحد ماغطستى ف البحيرة تانى • لكن دا كلام قـــديم قوى ، ازاى أنا فاكره ؟ انتى لسه جميلة قوى ياأوندين •

ملك البحر : انت يظهر تعرف حاجات كتيره ••

أنا : أنا شفت حاجات كتيره يامولاى ••

حتى القبة دى متهيأ لى انى شفتها قبل كدا •

ملك البحر : فين ؟

أنا : يمكن ف المنام •

ملك البحر : لأ •

أنا : يمكن ف وجود سابق •

ملك البحر : لأ •

أنا : آه افتكرت • ف زانادو • دى لازم قبة السعادة اللى بناها كوبلاخان ف زانادو •

ملك البحر : لأ يا ابنى • دى اختها الكبيرة ، كوبلاخان نزل ضيف عندى آدى ألف سنة ، ولما رجع الارض بنى واحدة زيها ، أنا حذرته •

أنا : من ايه ؟

ملك البحر : قلت له مايبنيش قبة السعادة ع الارض ، ماصدقنيش • ضيع نص عمره يلم ف جواهر العالم وضيع النص التانى يبنى القبة بالجواهر • أنا فاكر تمام • دا كان آخر يوم ف حياته • حط آخر جوهرة لنفسه وقعد ع العرش واستريح • القبة وقعت عليه مات •

أنا : انت اللى قتلته • انت اللى قتلت هانز •

ملك البحر : أنا ماقتلتهوش • أنا حذرتهم • اللى قتلهـــم القانون •

أنا : أى قانون ؟

ملك البحر : القانون • اللى يكسره يموت •

أنا : أى قانون ؟

ملك البحر : القانون • اللى يعرفه يموت •

أنا : أنا عاوز أعيش • دا كلام قريته ف التوراه • أنا عاوز أطلع من هنا يامولاى •

ملك البحر : (يضحك) انت خايف ؟ مافيش خمس دقايق كنت بتقول انك ف خدمتى • انت حظك كويس • دايما أكسر الوعد قبل ماتعمله • اوعى تكسره بعد ماتعمله القانون واحد ومابيتغيرش • دايما أفتكر هانز وكوبلاخان وكل الناس اللى ماتوا •

أنا : كل اللى كسروا القانون ماتوا ؟

ملك البحر : كل اللى ماتوا كسروا القانون •

أنا : كل الناس بتموت •

ملك البحر : كل الناس بتكسر القانون •

أنا : لكن مولاى لسه عايش •

ملك البحر : يوم ما أكسر القانون أموت • ومع ذلك أنا باأموت موت بطىء • حتى الملوك بيكسروا القانون • والآلهة كمان • بروميثيوس مثلا ، كسر القانون • تلاقيه لحد دلوقت مربوط ف صخرة وسط المحيط • أطلس كمان تلاقيه لحد دلوقت محبوس ف الجبل اللى جنب قرطاجنة • كل الآلهة اللى حبوا يتشبهوا بالبشر وكل البشر اللى حبوا يتشبهوا بالآلهة ماتوا •

أنا : دا يبقى قانون أعمى •

ملك البحر : ماتكفرش •

أنا : ايه الفايدة ؟ فيه حد ماكسرش القانون ؟

ملك البحر : فيه

أنا : القديسين ؟

ملك البحر : لأ • ناس عاديين زيك والمجانين والناس اللى مالهومش أرواح واللى بيسموهم ع الارض الخطاه •

أنا : دول خالدين ؟

ملك البحر : لأ • دول برضه ماتوا •

أنا : ازاى ؟

ملك البحر : دول ماكسروش القانون لكن ماتوا • ماتوا لأنهم ماكسروش القانون •

أنا : مولاى •

ملك البحر : مافيش غير شيء واحد مايكسرش القانون ودا القانون • واللى مايكسرش القانون يموت لأنه عرف القانون أو فهمه أو أخد صفة من صفاته •

أنا : يعنى مهما عملنا نموت •

ملك البحر : مهما عملنا •

أنا : مولاى •

ملك البحر : أنا باأقرا ف عقلك فكرة رهيبة •

أنا : أيوه فكره رهيبة • هانز ماكانش غلطان • كوبلاخان ماكانش غلطان • أنا عاوز أكسر القانون •

ملك البحر : تحب تبنى قبة السعادة ع الأرض ؟

أنا : لأ عاوز أعرف القانون •

ملك البحر : انت مجنون • انت مش عارف بتقول ايه •

أنا : عاوز أعرف القانون •

ملك البحر :أناباحذرك ••

أنا : عاوز أعرف القانون ••

ملك البحر : ياشعاع •

« طلبها تلات مرات »

أنا : مولاى •

ملك البحر : اتحد مع الشعاع •

أنا : مولاى •

ملك البحر : اتحد مع الشعاع •

الشعاع نفذ فى • نفذ فى الشعاع اللى سقط من سقف القبة والمعجزة حصلت بصيت لقيت نفسى جسم نورانى أو نور فى هيئتى البشرية بس ليه أجنحة والاجنحة رياشتها من النور الأزرق وف الحلقة معايه الملايكة سابحين زى عصافير الجنة ف الفردوس ولقيت نفسى داخل حلقة الأبدية والعالم بيسبح على محيط الحلقة والحلقة ليها مركز وف المركز شفت القانون •

شفت القانون • شفت القانون متغطى بأوراق الورد • رفعت أوراق الورد وعرفت القانون • لقيت القانون كلمة كلمة نايمة تحت أوراق الورد • القانون قال :

ـ أنا الكلمة اللى مش ف أى لغة • أنا الكلمة اللى مش ف

القاموس • تقدر تشوفنى لكن ماتقدرش تفهمنى • انتمشيت نص السكة بس •
قلت :
ـ أنا هلكت •
القانون : تقدر تخرج من الحلقة الأبدية وتقدر تستتنى ف مكانك وتقدر تنام زيى تحت أوراق الورد •
أنا : واذا طلعت من حلقة الأبدية يحصل لى ايه ؟

القانون : تعيش وتموت • يرجع لجسمك الطين ، تاخـــد جناحك معاك • تعيش غريب ف وسط أهلك والعـــالم كله يضيع عليك • تتوق للنور وتحوم حوالين النجوم زى الفراشة ماتطير حوالين اللهب والناس تتفرج على جناحك وتتعجب • العاقلين يعرفوا الحقيقة ويقولوا هللو ، واللى مش عاقلين يقولوا عليك مجنون • اللى تشتهيه ماتنولوش واللى ماتقدرش تنوله تشتهيه • جسمك يعذبك وجناحك يعذبك ، لكن بعد ماتموت الطين يرجع تراب والجناح يرفرف على وش البسيطة •
أنا : أبقى شاعر •
القانون : ومن وقت لوقت تحكى للناس عن حلقة الأبدية وأوراق الورد اللى شفتها من بعيد • برضه ناس تسمع لك وناس تقول مجنون •
أنا : وأقدر أرجع تانى ؟
القانون : بعد ماتحكى للناس « كل » اللى شفته ف حلقة الأبدية • وانت ع الأرض ان طفيت جناحك ف مية الدهب تهلك • تنسى كل اللى شفته ، وجسمك يرتاح ، لكن يوم ماتموت طينك يبقى تراب ، لكن الجناح • آه • انطفا ف مية الدهب •
أنا : وان ماسبتش حلقة الأبدية ؟ •
القانون : ايه يحصل ؟ تبقى زى الملايكة اللى انت شايفهم بيضربوا النور الابيض بأجنحتهم الزرقا • دول كانوا ناس زيك ، دخلوا الدايره من باب الفضول زيك • خافوا يناموا معايه تحت أوراق الورد وخافوا يرجعوا الأرض تانى • ان استنيت مكانك ف حلقة الأبدية تقعد فيها للأبد • أمال هيه

اسمها حلقة الابدية ليه ؟ جسـمك النوراني يستنى نورانى وجناحك الأزرق يهيم جوه المحيط ومن وقت لوقت تزهق وتجى تسند راسك على أوراق الورد من بره ويمكن كمان ترفعها وتتأمل ف الكلمة لكن تخاف وتغطينى تانى بأوراق الورد • الى الابد ترفرف حوالين الكلمة والى الابد ترفرف داخـل المحيط • كل الملايكة بيسبحوا بالكلمة اللى تحت أوراق الورد لكن مايفهموهاش •

أنا : يعنى أبقى ملاك ؟

القانون : ومن وقت لوقت نبعتك الأرض برسالة • نبعتك تهمس ف ودن شاعر أو تضرب بسيف النار جيوش الظلام •

أنا : وان اندمجت ف الكلمة ؟

القانون : اقفل علينا أوراق الورد تعرف أنا ايه •

أنا : أنا خايف •

القانون : خايف من ايه ؟

أنا : خايف ادخل ما أطلعش •

القانون : تقدر تخرج ، لكن اذا خرجت تبقى شيطان •

أنا : يا الله •

القانون : تبقى شيطان لأنك فهمت سرى ومشيت • كل الشياطين كانوا ملايكة اندمجوا فى وبعدين فاتونى • عشان كدا أنا ربطتهم بالسلاسل جنب بحيرة النار والكبريت •

أنا : اذن سر الكلمة مع الشيطان •

القانون : أيوه • لكن مافيش حد منهم باح بيه غير ابليس• عشان كدا أنا عملته رئيس الشياطين مرة كسر السلسلةوهرب وباح بالسر لآدم وانت عارف ايه حصل لآدم • مرة تانية حب يبوح بيه لفاوست لكن فاوست مات قبل ما يحطم الأكوان اللى أنا بنيتها • عشان كدا أنا ف حرب دايمة مع ابليس ، وان غفلت عنه دقيقة على جبل الزيتون يجمع الرياح الأربعة ويقرا عليها الكلمة والسر يبقى زى نور النهار • عشـان كدا أنا باأبعت ملايكة تنام ف قلوب العباد وملايكة تحرس أحلامهم

وقت النعاس وملايكة تنظم الفوضى بتاعت الوجود · تعـالى اتحد مع الكلمة · كل واحد يندمج ف الكلمة يدينى قوة ·

أنا : أنا خايف ·

القانون : خايف من ايه ؟

أنا : خايف أضيع ف الكلمة ، وان حبيت أمشى أصير الى شيطان · ازاى أتحد مع قانون ما أعرفوش ؟ ·

القانون : أنا سمعت كتير عن خوف البشر ·

أنا : أنا باسميه حذر ·

القانون : أنا أسميه خوف ·

أنا : ماتفتكرش انى هاأنسى نفسى وأثور لكرامتى ، لو كان دا ف طبعى كان زمانى بقيت سياسى ولا قديس · أنا راجل عادى ·

القانون : ارخى علينا أوراق الورد ·

أنا : قول لى ع الكلمة وان رضيت بيها دخلت عندك ·

القانون : تعال وأنا أعملك حاكم على السبع أكوان ·

أنا : مفيستوفوليس ·

القانون : تعال وأنا أعملك حاكم على حلقة الابدية ·

أنا : فاوست ·

القانون : تعال · تعال · تعال ·

أنا : لأ · لأ · لأ ·

سبت أوراق الورد وطرت ف الحلقة المقفولة وأنا ف شك مريع · هو الطين اللى عمل كدا · لو كنت من أصلى مخلوق نورانى ماكنتش شكيت · قلت « ياملك البحر » قال لى : « لبيك » · قلت له : « عاوز أنزل الأرض » ، قال لى : « بأسرع من الخاطر ف عقل الراجل المحموم » · بصيت لقيت نفسى تحت البحر تانى وفوقى قبة السعادة ، وحوالى بنات البحر والفرسان وقدامى ملك البحر قاعد على عرشه والجوهرة ف تاجه زى عين التعبان · حسست على جسمى لقيت البدلة زى ماكانت خشنة على جسمى وف أكتافى جناحين بلون الموج الغميق ·

ملك البحر : فهمت القانون ؟
أنا : لأ شفت الكلمة ·
ملك البحر : انت نادم ؟
أنا : لا يامولاى ، أنا من زمان بافتش عن أجنحة وعن ملاك يغنى ف ودنى من وقت لوقت ، وخلاص لقيتهم ·
ملك البحر : وعن قبة السعادة ؟
أنا : وعن اوندين ·
ملك البحر : اللى تشتهيه ماتنولوش واللى ماتقدرش تنوله تشتهيه ·
أنا : الكلمة ·
ملك البحر : ماتقدرش تبنى قبة السعادة ع الارض · افتكر كوبلاخان ·
أنا : افتكرت ·
ملك البحر : اوندين نسيت البشر · افتكر هانز ·
أنا : افتكرت ·
ملك البحر ·· ··

أنا : أنا ماجيتش هنا من نفسى · مولاى بعت لى رسوله ، السمكة الحمرا اللى عاملة زى رمانة النور هى اللى جابتنى ، كنت عاوز منى ايه يامولاى ؟
ملك البحر : أبدا · احنا بس ناس كرما · لما عرفت ان مركب غرقت ، قلت لازم عندنا ضيوف جداد ، والضيوف محتاجين للمساعدة ·
أنا : متشكر يامولاى ·
ملك البحر : ان كنت عاوز تعيش ف مملكتى زيك زى بقية الفرسان دول على الرحب والسعة ·
أنا : لا ، متشكر · أنا أفضل أرجع الارض ·
ملك البحر : عاوز حاجة تاخدها من هنا قبل ماتسافر ؟ جواهر ؟ تذكار ؟
أنا : لا يامولاى ، أنا صحيح رجعت لعقلى ، لكن مش ناوى أطفى جناحاتى ف مية الدهب ، والتذكار اللى ف عقلى يغنينى عن الفين تحفة وتحفة · بس عاوز تلات حاجات ·

ملك البحر : أطلب على كيفك ، عشان لما هاتوصل الارض كل حاجة هاتطلبها مش هاتجى لك •

أنا : أولا أنا عاوز البركة بتاعتك يامولاى •

ملك البحر : ابراكاد ابرا • ابراكاد ابرا • ابراكاد ابرا •

أنا : آمين •

ملك البحر : ايه تانى •

أنا : كمان ابعت معايا السمكة الهادية تنور طريقى لغاية مأطلع من مملكة اوقيانوس •

ملك البحر : وهبتك السمكة الهادية تنور طريقك لغاية ماتطلع من مملكتى •

أنا : كمان ادينى اوندين ، الموجة العذراء تعيش معاى ع الارض ، تلهمنى وتمسح على فؤادى الشتيت • وكل ماأشوف شعرها الازرق المرسل أفتكر النعمة اللى بين ايدى ، وابنى لها بيت من الميه العذبة على رمل الساحل عشان ماتشعرش بالغربة •

ملك البحر : الموجة العذراء بقت أرملة من يوم عينها ماوقعت على هانز •

أنا : فهمت وكل يوم تنزل تتشمس ع الحصى ، وأجيب لها الموجة المالحة تسرح لها شعرها والموجة العذبة تغسل لها رجليها •

ملك البحر : انت طلبت تلات حاجات وهاتاخدهم ، بس عندى تلات شروط • اوندين هاتمشى وراك لحد الخط الازرق مايدخل ف الخط الابيض وان التفت لورا قبل ماتخطى حدود مملكتى اوندين هاتتحاش ف شبكة اوقيانوس • قول أنا راضى •

أنا : يا الله •• الآلهة مرة قالت كدا لاورفيوس لما نزل العالم السفلى يطلب اوريديس • دا امتحان عسير يامولاى ، لكن ها احتمل بشجاعة • أنا راضى •

ملك البحر : اذا اوندين وصلت الارض هانز هايقوم من الاموات •• هايعرف ان مراته موجوده على سطح

الارض ٠٠ هايسأل عنهـا المـوجة المالحـة والموجـة الحلوة ٠٠ هايسـأل أمواج السـما ، وهايسـأل الصدى عن مقرها ، لكن بأمرى أنا ماحدش هايقـول له ٠ هايجوب المعمورة وهاينادى ف أركانها الاربعة ٠ هايفتش القصور والاكواخ ويرفع الاحجار ويكشف عن عيون الميه ٠ هاينادى ف كل وادى ٠ اذا سمعته اوندين أو شافته هاتفتكر كل اللى كان ، هيه لسه بتحبه لكن تحت ستارة النسيان ٠ اذا اوندين شافت هانز هايرجع لها الحب العظيم وهاتسيبك وحيد وشتيت ٠ قول أنا راضى ٠

أنا : يا الله ٠ أنا راضى ٠

ملك البحر : لو راحت معاك اوندين هايسيبك المـلاك اللى بيهمس ف ودنك ويلهمك هايغير منها ويسيبك ٠ مش أنا اللى أمرت بكدا لكن أنا بأقول لك ع اللى هايحصل لازم تختار بين الهام اوندين والهام الملاك ٠ اوندين هاتهمس ف ودنك كل آيات الحب والملاك هايهمس ف ودنك هللويا اللى سمعتها ف حلقة الأبدية ٠ لكن جناحك هايبقالك وهاتقـدر تعـمل الاناشيد ٠ قول أنا راضى ٠

أنا : أنا راضى ٠

ملك البحر : على خيرة لله ٠ على بركة الله ٠ ف حفظ الله ٠

وخرجت من قبة السعادة قدامى السمكة الحمرا اللى زى الرمانة تنور طريقى وورايا اوندين همس الملاك انقطع عرفت انه سابنى وطار ٠ تلات أيام بلياليها والسمكة تنور قدام عينى وعينى تعبت من التحديق ٠ ولما السمكة انطفت عرفت ان الرحلة انتهت وانى على ساحل الحياة ٠ صوت من ضميرى قال لى « انت لسه ف ملك اوقيانوس » مشيت شوية لوحدى بارتجف لحد ماشفت الافق الازرق اختفى تحتى والافق الابيض ظهر واكتمل قلت ياقدرة الرحمن ، بصيت وراى لقيت أوندين بتستريح على ساحل الارض وبتنفض الميه المالحة من شعرها الازرق الطويل ، ومن الفرح صليت وباركت ملك البحـر والموجة العذرا وسائر الاحياء ، بصيت قدامى لقيت هانز قاعد ع الشط وف ايده شبكة بيصطاد ٠ قلبى ارتجف والدم هرب من وشى ٠ تمتمت :

ـ المقدور •
همس ف ودنى الملاك :

ـ ماتحزنش • أنا اغنى لك زى اوندين •
رجع لقلبى السلام وقلت :
ـ الوداع يااوندين •

اوندين ثبتت مكانها مسحورة ، وعنيها المفتوحة فهمت كل حاجة • الملاك قال لى : يللا نضرب فى الرحاب وابتدا يغنى لى ع الناى • ومشينا ع الارض السهلة لحد ما اختفى الشاطىء، وسبنا اوندين بتفتكر وسبنا هانز بيصفى الشبكة بتاعته من الاصداف • الراحة شاعت ف كيانى وقلت للاكى :

« احكى لى عن الغرام اللى ماكانش وغنى لى سيرة سيرانو دى برجيراك » •

كوراس العبيد

لما نزلنا دربان شركة كوك اللى كانت متعهدة بترحيلنا لمصر من اول السكه لآخرها قدام الحكومة المصرية وزعتنا بين اللوكاندات . ناس راحوا المارين هوتيل وناس راحوا الامبريس وناس راحواالكمبرلاند وانا قرعتى وقعت ف البتروويرث . البتروويرث كانت اوحشهم كلهم . كانت ف وسط البلد ومافيش مناظر حواليها واللى ساكنين تحت مافيش مانع يسمعو التاكسيهات بتزن ف الشارع والعربات الكارو بتكركب . كان فيه كمان مزلقان وخط اوتوبيس . المارين افتكر كانت احسنهم مع ان اللوكاندات الباقية كلها كانتبتدى ع البحر . البترويرث دى اللى كانت اوحشهم كانت بتاخد مننابين ١٥ شلن وجنيه ف اليوم الواحد ـ انا مش فاكر كويس ـ نظير النوم والاكل والحمام وشاى خفيف الساعهخمسه وكانت أحسن من المتروبوليتان ف مصر بمراحل . حسن عزيز حسن كان معانا ف البتروويرث وماعجبوش الحال قام طلب يروح المارين قالوا له نص كروان زياده ف اليوم ، لكن

مالحقش يعزل لان الطياره عزلته خالص بعـد تلات أيام • بقية اللوكاندات كان سعرها واحد •

دربان اجمل من مصر • دربان اجمل من اسكندرية • مافيش شك ف كدا مصر واسكندرية بالتأكيد فيهم حتت أحسن من أي حاجه تقدر تشوفها ف دربان ، لكن انا باخد بالمتوسط ٠٠انا باضرب بولاق ومصر عتيقة وباب الشــعرية وتحت الربع ف الزمالك وجــاردن سـيتي وفؤاد الاول ومصر الجـديدة وآخد المتوسط • دربان مافهاش حاجة زى المعادى • مافيش بلد ف الدنيا انا شفتها فيها حاجه جمالها زى جمال المعــادى ٠٠ ولا لندن ولا باريس • لندن وباريس فيهم أحياء اجمل من المعادى لكن جمـــالهم مش زى جمـــال المعـــادى ٠٠ دربان مافيهاش حاجه زى المعـــادى • لكن كمـــان مافيهـــاش حـــاجه زى بولاق • حتى البيـــوت الفقـــرا من بره نضيفه وداخله التنظيم وبسيطه ف تركيبها وشكلها العمومى عامل زى الخرط النموذجية اللى بتصممها وزارة الاشغال للعمال ومن جوه صحيه وفيها سراير ودواليب وكابانيهات ومافيش مانع بقه أو اتنين ماشيين ع الحيطه انا كان عندى فرصه ادخل احسن بيوت واوسخ بيوت ، عشـــان كدا انا فتحت الموضوع دا ٠٠ انما بالاجمال ، اذا كنت عاوز تتصور التأثير اللى سابته مبانى دربان ف نفسى تقدر تتصور ضاحية زى مصر الجديدة • الشوارع طبعا هناك اوسع والطراز مختلف شويه والبلد اكبر خمسين مره لكن التأثير واحد ف الحالتين • أول حاجه تلاحظها ف دربان انها بلد مبنيه جديد على احسن طراز • أغلب سكانها من اصل انجليزى لكن طراز العماره بتاعتهـــا زى طراز المدن بتاعت البحر الابيض المتوسط فرنساوى على طليانى بس فيه مسحه امريكية • نهايته • ف الاول ماكنش فيه مكان كفايه قام سكنت اسبوعين انا والاستاذ على الجريتلى ف اوده واحده ، وف الكام يوم دول ـ طلعت مداعبه • كان يصحى الصبح مايلاقيش الشبشب بتاعه وبعد شـــويه يبص يلاقينى راجع من الحمام وشبشبه ف رجلى • الحقيقه هو الشــبشب دا بس اللى كان موضوع النزاع الحقيقى بيننا ، لكن كان كل يوم له مأساه • كمان لاحظت ان هدومى قربت تخلص ودا كان بسبب غلطه انا

عملتها وانا ع المادورا • المادورا لما قربت على دربان ، كوتشى خدام الكبينه دخل على وقال •

ـ صاحب • الرحلة انتهت صـاحب • عندى مره وتمان عيال صاحب •

فهمت انه عاوز بقشيش ، لكن ماعرفتش اجيب له فلوس منين ، ودى كانت حسبه كبيره • واحد يخدمك خمسه واربعين يوم تدى له ايه ؟ الاصول مش أقل من اتنين جنيه • مافيش اتنين جنيه رحت فتحت الشنطه وعطيت له بدله من بدلى وجوز جزمه وطبطبت على كتفه وقلت له •

ـ كوتشى • البس دول • وان كانوا مش على قدك بعهـم يجيبوا عشره شلن •• مافيش فلوس كوتشى •

كوتشى أخـد الهدوم وعليهـا شـوية غيـارات تحتانيـة لكن زعل طبعا •• اسياد ايه دول اللى بيشحتوا هدومهم •• كمان عيال ما وصلت بترويررث هوتيل وفتحت الشنطه لقيت بدله تانيه ناقصه والمايوه يظهر انى نسيتهم ف المادورا كمان لقيت الشبشب مقطوع رميته • وبعد يوم جالنا مندوب كوك وقال لنا ندى له كل حاجه عندنا عشان يبعتهامصر بالمركب لان الطياره مش هاتقبل اكتر من اربعه واربعين رطل • النتيجة كانت ان كل واحد فينا قعد ببدله واحده وغيارين تلاته بس •

لكن كـل الحاجـات دى مالهاش أهميه كبيره • اول حاجه عملناها بعد ما استقرينا ف دربان عملية الاستكشاف المعهوده ودى تقريبا اخدت لها يومين • عرفنا السينمات ودرسنا خارطة البلد وعرفنا منين نشـترى امواس الحلاقه واللوازم الخفيفة وازاى نتفسح ع البحر وازاى نختصر المسـافات بتقطيبه ف الحوارى وازاى نروح بنك باركليز وازاى نروح شركة كوك • لكن ماانساش أقول ان فكرة اسود وأبيض كانت منتشرة ف تفكيرنا كلنا أو عـلى الاقـل ف تفكيرى أنا فى الايام الاولى • مره مثلا جيت اخش سينما اسمها كنجر عشان اشوف « ذهب مع الريح » وكنت خايف طول الوقت ان البنت اللى بتقطع لى التذكرة تقول لى « آسفه » زى البارمان بتاع كاب تاون ما قال لى« آسف » ، لكن جت سليمه • بعد كدا دخلت سـينمات كتيره وماحصلش حـاجه ابدا • الحاجـات دى كـانت تخلينى

استغرب خالص . انا صحيح مش أسمر قوى لكن بالتأكيد انا مش فاتح زى الانجليز والافريكان . صحيح ممكن واحد يقول على اسباني او برتغالي او طلياني لان فيه ناس من شعوب البحر الأبيض المتوسط غامقين زى المصريين ، لكن دى عاوزه شوية خيال اولا ، وثانيا عاوزه واحد يكون اختلط كتير بأجناس الارض . ما افتكرتش ان البنات اللي بيقعدوا ف شبابيك التذاكر بتوع السينما عندهم خيال أو اختلطوا كتير بأجناس الارض . ف الاول قلت ف عقلي يمكن لقونا لابسين تضيف يمكن انضف من الاوروبيين نفسهم ، قاموا اتحيروا فينا . هم ف العاده متعودين يشوفوا الاجناس الملونه ف بنطلونات مرقعه وقمصان مقطعه واحيانا دايرين حافيين ف الشوارع لان اغلبهم عمال يمكن . بعدين قلت ف عقلي يمكن كان باين على منظرنا اننا اغراب ، سواح مثلا ، اوناس بيغيرا مركب بمركب يمكن . كمان قلت ف عقلي لازم بيتكسفوا لما يلاقوا شبان باين عليهم اولاد ناس ومتربيين . على كل حال ما حدش ف المصريين صادف اى تعب بالنسبة للحكايه دى غير مره واحده . واحد زميلنا (١) كان ماشي ف الشارع في منتهى الامان وبعدين قابله شاب افريكان كان سكران ومن غير مناسبه ضربه ف صدغه واسنانه وقعت ..

تاني يوم الصبح كان فيه وفد من المصريين ف ايدهم مذكره احتجاج وطافوا على ادارات الجرايد . المسألة كبرت ودربان كان فيها دلوقت حوالى ميت مصرى من احسن شبان البلد . الجرايد كلفتت الموضوع لانه اذا انتشر يبقى معنى كدا ان عمدة دربان لازم ييجي لحد عندنا ويعتذر عن اللي حصل لكن ف نفس الوقت حلوا المسأله بشكل تاني . الجرائد الرئيسية ف البلد ناتال مركيورى وناتال ديلي نيوز طلعت تاني يوم وفيها خبر بالبنط التقيل معناه ان فيه جماعه مصريين صفتهم كيت وكيت راجعين بلدهم من انجلترا وان اهل دربان لازم يكرموهم منين مايروحوا وبالاخص ان مركز مصر الحربى فى منتهى الاهمية

(١) الدكتور جاك سميكة استاذ الاحصاء بكلية العلوم جامعة القاهرة ، المنتدب حاليا خبيرا فى الامم المتحدة ، « منظمة الاغذية والزراعة » ..

للدول المختلفة • العباره الاخرانيه دلت على ذوق مجليط لكن ماحدش من الاهالى اخد باله من الصيغة لما الخبر انتشر ف البلد زى الوباء • بعد الفصل دا الامور انتظمت وشفنا عهـــد من البحبحة مش هانشوفوا تانى مدى الحياه •

البلدية بعتت لكل مصرى ف دربان ابونيه مجانى على كل خطوط المواصلات بكل انواعها جوه البلد ، من باب اصلاح الموقف طبعا • وكان عندنا احسن من ستين اعتذار • اناشخصيا ماستعملتش الابونيه دا ابدا لكن فهمت المعنى اللى فيه • بعد كام يوم ابتدينا نفكر تفكير عملى شويه • رحنا كوك عشـــان نعرف امتى هانرجع مصر ، قالوا لنا الطياره بتقوم مرتين ف الاسبوع بس ومابتاخدش غير اربعتاشر راكب كل مره • طبعا المصريين ما يقدروش يحتكروا خط المواصلات الجوى مدة شهر • كوك قال نص الركاب بالتقريب حايكونوا مصريين والنص التانى ركـاب عاديين ، قلنـا معقـول • كوك كمان قال دفعة المادورا تستنى لحد الدفعة اللى قبلها ماتسافر ، قلنا معقول لكن لما جا دورنا اكتشفنا ان فينا خيـار وفقوس • ف الظروف العادية ماحدش كان يهتم لكن ايامها كان الجرايد كل يوم تطلع علينا باخبار الحرب • جراتسيانى دخل السلوم • جراتسيانى دخل مرسى مطروح • جراتسيانى دخل سيدى برانى • الفكره اللى شغلت بالنا كلنا كانت واحده ازاى نوصل البلد قبل جراتسيانى مايدخل مصر • كوك هز كتفه وقال انا ما اقدرش أعمل أكتر من كده • عملنا اجتماع وبحثنا الموقف طبعا على اساس ان مصر تقريبا ف حالة حرب ووصلنا لخمس قرارات : ـ

١ ـ الدكاتره المتجوزين ياخدوا أول طياره •

٢ ـ المتجوزين اللى مش دكاترة ياخدوا تانى طياره •

٣ ـ الدكاترة اللى مش متجوزين ياخدوا تالت طيارة ••

٤ ـ اللى هايتطوعوا ف الجيش والمهندسين ياخـــدوا رابع طيارة ••

٥ ـ الباقيين يعملوا قرعة بنمر ويســـافروا على حســـب نمرهم •

عملنا قرعة وطلعت طيارتى آخر طيارة ، ورحنا بلغنـــا القرارات دى لكوك وسلمناه النمر ، تانى يوم بصينا لقينا كل

النظام اللى بنيناه اتهد ، اتهد بسبب الاستثناءات منير صبرى أبوه كان رئيس وزارة ومصطفى زهدى أبوه كان وزير دفاع وحسن عزيز حسن أبوه كان برنس وعلى صادق وأحمدصادق ماكانوش وزرا ولا برنسات لكن كان ليهم ناس بيشتغلوا ف مصر جامد ، دول كانوا أول ناس سافروا زعلنا طبعا وعملنا اجتماع تانى ف بترويرث هوتيل واتفقنا على أن الخـلل اللى حصل مش لازم نخليه يلخبط النظام اللى وضعناه كان واضح ان فينا دم أزرق وشعب ، وبعد آخر نقطـة من الدم الازرق ماسابت دربان كل حاجة مشيت مظبوطة والشعب عرف ينظم أموره ٠

أول الجرايد ماكتبت ان فيه مصريين ف دربان ماعرفناش نلاحق ع العزايم منين ولا منين ، ف الاول جم شوية هنـود وعزمونا ع الغدا ، بعدين جم هنود تانيين وعزمونا ع الشاى ٠٠ بعدين جم هنود تالتين وعزمونا ع العشا ، تانى يوم نفس الحكاية ، تالت يوم نفس الحكاية ، رابع يوم ، خامـس يوم بالشكل دا كل يوم لحد ماسافرنا من البلد ، وبعد ما سافرنا الهنود استلموا المصريين اللى جم بعدنا ، أنا شخصيا مش فاكر انى أكلت ف اللوكاندة بتاعتى أكتر من خمس أكلات طـول شهر سبتمبر طبعا الدعوات دى ماكانتش كلها زى بعض ٠٠ يوم مثلا الدعوة تيجى من أفراد ، ويوم تيجى من الاورينت كلـوب ويوم تيجى من الآفالون ويوم تيجى من الرابطة الاسلامية ، كمان ماكانتش كلها أكل ف أكل كانوا أحيـانا يعزمونا على رحلات ف عربياتهم عشان نتفـرج على منطقـة الزولو وينظموا لنا حفلة رقص مخصوص ويرقصوا فيهـا السكان الاصليين ، أو يعزمونا على رحلة ف وادى التـلال الالف ، أو يعزمونا على شرب ورقص أو يعـزمونا على أفلام هندية أو يعزمونا عشان نديهم خطب ومحاضرات ، يوم مثـلا لقيت تلات هنود بطرابيش حمرا طويلة مالهاش زر واقفين بره اللوكاندة بتاعتى وبيطلبوا مستر عوض ٠

ـ أنا مستر عوض ٠٠

ـ احنا جايين باسم الرابطة الاسلامية وعايزينك تعمل لنا محاضرة ٠٠

ـ معلش اعفونى المره دى ٠
ـ لا ٠٠ احنابنرجوك انك تعمل محاضرة للهنود ٠٠
ـ انتو مين اللى قال لكم على ؟ ٠٠
ـ مستر بالى (قصدهم أمر الله بليغ) ٠٠
ـ اتكلم ف أى موضوع ؟ ٠٠
ـ اتكلم ف أى موضوع ٠٠
ـ أصل أنا راجل ثقافتى ف موضوع واحد ، أنا بتـــاع أدب ، وما أفتكرش ان الادب يهم حد ٠٠
ـ احنا متأكدين ان الادب يهم كل الناس ٠٠
ـ طب حددوا انتو الموضوع ٠٠
ـ لأ انت اللى تحدد الموضوع ٠٠
ـ طيب ادونى مهملة أفكر ٠٠
ـ لأ ٠٠ مافيش وقت ٠٠
ـ أقدر أتكلم عن الادب والمجتمع ؟ ٠٠
ـ عال قوى ، ماتقدرش تتصور قد ايه احنا ممنـــونين يا مستر عوض ٠

طبعا كلامهم كان الطف من كدا بكتير والمجاملات الهندية ليها فى قلبى ركن كبير ، اتفقنا ع اليوم وبعد كدا أنا نسيت كل حاجة عن المسألة ، بعد كام يوم بصيت لقيت أوتمبيل ربط قدام اللوكاندة ٠

ـ احنا عاوزين مستر عوض ٠٠
ـ أهلا وسهلا ، اتفضلوا خدوا الشاى ٠٠
ـ لأ ٠٠ مافيش وقت ، اتفضل اركب معانا ٠٠
ـ على فين العزم ٠٠
ـ على سينما أفالون ٠٠
ـ ليه ؟ نتفرج على فيلم ؟ ٠٠
ـ لأ ٠٠ عشـــان انت تتكلم عن الادب والمجتمع ٠٠ انت نسيت ؟ ٠٠
ـ لأ مانسيتش ٠٠ هيه النهاردة ؟ ٠٠

لا مانسيتش ، وقعتكو سودا ، طبعا ماكانش عندى فكرة الجمهور بتاعى جنسه ايه ٠٠ مازعلتش قوى لان أنا بطبيعتى

أكره التحضير والقراية من ورقة ، ف الاول كنت فاكـرانى ها أروح أدى محاضرة عن الادب والمجتمع لطلبة الجامعة وناس ف مستواهم ، عيني ضربت ف شباك الاوتمبيل لقيت اعلانات ملزوقة ع الحيطان زى بتوع السينمات وبتـــوع كرافن ايه وصابون بالموليف بس اسمي عليهم وأسامى ناس تانيين ، أنا ماكنتش فكرت ف الموضوع قبل كدا على انى أتكلم فيه ، لكن أعرف عنه حاجات كتيرة ، غمضت عينى وحصرت أفـــكارى ورتبت كام نقطة ف عقلى ، ولما فتحت عينى كان صــــاحبى الهندى بيفتح باب الاوتومبيل ، دخلت السينما من باب الممثلين لقيت كراسى مرصوصة على المسرح وميكروفونات وجمهـــور راكب على بعضه ف الصالة واللوجات والبنوارات ، سود على بيض ، عرفت ان دى حاجة شعبية عرفت انها « حفلة » مش محاضرة ، بلعت ريقى وقلت ياساتر استرها ، أنا ماعنديش حاجة شعبية أقولها للغنم اللى قاعدين دول عن الصلة بين الادب والمجتمع .

قعدت ف الوسط دا وعلى يمينى قعد الاستاذ صالح عبدالعزيز اللى دلوقت مدرس ف معهد التربية (١) وعلى يمين صالح قعد الاستاذ شهدى عطيه اللى دلوقت مدرس ف المدارس الثانوية ، ف الجناح التانى قعد الاستاذ أمر الله بليغ اللى دلوقت من اعيان الشرقية ، والاستاذ مصطفى عبد العزيز اللى دلوقت مدرس ف كلية العلوم وأفتكر قعد مستر كادجى صاحب الدعوة ودا كان بيقولوا مليونير هندى ، وشوية دخل عمده دربان وخطب خطبة رحب فيها بالمصريين وشكرنا ع المجهود اللى كنا لسه ها نعمله وبعد ماخلص وخطب والناس سقفت لقيته سحب شوية أكاليل من الزهور البيضا زى الاكاليل اللى بيلبسوها البنات ف هنولولو وراح ملبس كل واحد فينا اكليل وزق عجله ، كل واحد كانت له تسقيفه ، فهمنا ان دى طريقتهم ف التحية ، أنا قعدت مبلول طول الوقت وكل ما أشوف الاكليل مدلدل على صدرى وأشوف النمل اللى ف الصالة بيبص لى أتكسف زيادة ، أنا عملت ايه عشان أستحق كل دا ؟ ماعرفتش .. لحد دلوقت مش عارف طبعا ، أنا كنت مصمم انى أمشى ف المحاضرة بتاعتى زى ما كنت حاطط تصميمها ، واللى يفهم يفهم

---

(١) حاليا عميد كلية التربية .

واللى مايفهمش عنه مافهم ، أنا كنت عارف انى لو عملت أى تغيير ف الطريقة أو تبسيط ف العناصر ها أتلخم وها تبقى حكاية . فى الآخر مستر كادجى وقف وقدمنى للجمهور بكلام ما استحقوش ، مع انى ماقابلتوش قبل كدا ولا مره ، بعد كدا اتكلمت ، شرحت كل النقط اللى كنت مرتبها ف دماغى جوه الاتومبيل ، اتكلمت نص ساعة كأنى بأحاضر ف انفتياتر بتاع جامعة وقعدت والناس سقفت كتير ، ومستر كادجى شكرنى كمان ، أنا متأكد ان ما فيش ميه فهموا الكلام اللى قلته ، لكن زى بعضه ، بعد كدا قام صالح عبد العزيز واتكلم نص ساعة عن التعليم ف الهند وبعده شهدى اتكلم عن الشرق والغرب ، والحفلة انتهت بسلام ..

تانى يوم قابلت ست يهودية صحفية اسمها دورا حاجة وناقشتنى ف الكلام اللى قلته ، وفهمت منها انه كان فيه ف الاجتماع حوالى ألف وميتين شخص منهم ناس ف جامعة ناتال وصحفيين وأشخاص برضه بيفهموا ، اطمئنيت شوية ، بعد كدا جالى ف اللوكاندة شاب زولو اسمه بيتر تلات مرات عشان يتعرف بيه ويكلمنى ف الموضوع ، دا فصل من الفصول اللى حصلت ..

وبالتدريج بقى واضح أن المصريين ليهم رئيس ، والريس دا كان أمر الله بليغ ، تمام زى أى مجتمع تظهر فيه دواعى النظام لازم يطلع فيه ناس ياخدوا المسئولية ، بليغ كان أظهر واحد فينا وبعد يومين كانوا كل هنود البلد يعرفوه ، وبعد أسبوع كان كل الانجليز كمان يعرفوه ، بليغ كان تقريبا يرد على كل السلامات والترحيبات اللى ف الحفلات باسم المصريين ، كمان من الناس اللى الجرايد اهتمت بيهم منير صبرى وحسن عزيز حسن ، وأنا كانت شغلتى انى أخطب وأعمل محاضرات ، بليغ هو اللى كربسنى ف الحكاية دى الله يسامحه بقه ، لدرجة انه فاتت على أيام كنت أضطر أتكلم مرتين وتلاته ف يوم واحد ، المسألة ف الاول ابتدت بهزار ، كل ما يحتاجوا لواحد يتكلم بليغ يقول عوض مع انه كان فيه ناس أحسن منى كتير وأحيانا كان بيعملها من غير انذار ، يقوم عوض يدش له كلمة فارغة وكلمة مليانة ، ولما المسألة دخلت ف دور جد بليغ طلع

منها زى الشعرة من العجين وسابنى لايص ، وبعد هو ماخد الطيارة قعدت أنا بالقصور الذاتى أعمل محاضرات حوالى خمستاشر يوم ..

مره مثلا نادى الروتارى عمل حفله غدا للمصريين بتوع اكسفورد وكامبريدج ، وكانوا كل الناس المهمين ف دربان موجودين . انا فا ر تمام يومها انا فضلت اشرب نبيت احمر لطيف مع الغدا اللطيف لحد راسى ماتقلت صحيح ، وابص الاقى بليغ بيشكر اصحاب الدعوة وبيقول .

ـ دلوقت دكتور عوض هايكلمكوا عن مصر .

فقت دقيقة وسبت السيجارة تتحرق وقعدت ادش . بليغ نفسه كان مشعشع من كتر النبيت اللى شربه ، والباقين . طبعا بليغ كان اتفق معاى قبلها انى اتكلم وانا كنت عارف انه يبقى عبث لو انا شرحت لاعضاء نادى الروتارى حالة الادب أو الثقافه ف مصر . عشان كدا انا اتفقت معاه انى اتكلم عن حالة مصر الاقتصادية ، وحتى يوميها الصبح اخدت اذن من الاستاذ على الجريتلى انى اتطفل ع الشغل بتاعه وطلبت منه مساعده والراجل خدمنى كتير . انا مش فاكر انا قلت ايه ، لكن فاكر انى اتكلمت عن توزيع الثروة ف مصر وعن مصر الزراعية ومصر الصناعية وعن موارد مصر المدفونة وحاجات تانيه من اللى تلاقيها ف كتاب كراوتشلى . لكن اغلب الوقت كنت ف حالة غيبوبة خفيفة من النوع اللى يخليك تنسى الكلام اللى قلته لكن يدوبك تقدر تفتكر الكلام اللى هاتقوله .

تانى يوم الصبح لقيت نص الخطبه منشور ، ف أول صفحه من الناتال مركيورى والناتال ديلى نيوز تحت عنوان « موارد مصر الصناعية » . حتى جرنال الهنود اللى اسمه « النداء » كتب ف الموضوع .

لكن اللى بوخ الحكاية مسألة حصلت بعد كدا . كنت قاعد ف الصالون بتاع بترويرث هوتيل وبعدين واحد طلبنى ف التلفون .

ـ انا بروفسور باروز ، استاذ علم الاقتصاد السياسى ف جامعة ناتال . انا كنت حاضر ف الغدا بتاع نادى الروتارى وانبسطت قوى من الحديث بتاعك عن مصر . تسمح تدينا

محاضره ف نفس الموضوع ف صالة البلدية بدعوه من جامعة ناتال ؟ .

حط نفسك ف مركزى ساعتها . تقدر تقول لأ ؟ لأ ليه ؟

ـ بكل سرور ، بروفسور باروز . بس تسمح تيجى تتعشى معاى بكره ف اللوكانده بتاعتى ؟

ـ بكل سرور ، دكتور عوض .

بليغ عملها وطار . قال على انى دكتور ف كل حفله وف كل مناسبه ع الطريقة المصرية زى كل واحد ما يقول للتانى يابيه واللى يخش الجامعة يبقى استاذ واللى يطلع منها يبقى دكتور . اهى دخلت ف الرسميات . أعمل ايه انا دلوقت ؟

قلنا ف نوادى الهنود معلهش ، ماحدش عارف حد وقلنا ف نادى الروتارى مش مهم دول جماعه من الاغنيا ورجال الاعمال ومش هاتفرق معاهم كتير اذا كنت انا دكتور ولا ماجستير . قلنا كمان الجرايد والاعلانات هاتتقرى وهاتترمى وكل واحد هاينسى التاريخ اليومى بتاعها ومش هااقدر اقف وسط المحتفلين واقول يا اخواننا بليغ بيبالغ شويه أو اكتب تصحيح ف الجرايد واقول ماعنديش دكتوراه، لكن لما ترسى انى اندس بين اساتذة جامعة ناتال بلقب علمى ماكانش عندى نبقى دخلنا ف دور الدجل . لحد الجامعة واربط . ف نفس اليوم بروفسور باروز ضرب لى تليفون تانى .

ـ انا معاى سميث استاذ علم الأقتصاد ف الجامعة ويحب ييجى ع العشا . يقدر ؟

ـ بالتأكيد انا لى الشرف .

تانى يوم الصبح بروفسور باروز ضرب لى تليفون تانى وقال لى انه فيه تلات اساتذه تانيين ف جامعة ناتال يبقوا مبسوطين لو جم ع العشا ، قلتله أنا كمان ابقى سعيد انهم يتعشوا معاى وعشان اوفر عليه تليفون كمان عطيته ساعتها كارت بلانش انه يدعى باسمى أى عدد يعجبه من الاساتذه ف جامعة ناتال . طبعا انا استغربت شويه من الطريقة دى ، وفهمت ان الناس ف جنوب افريقيا بيرفعوا التكاليف بسرعه . انا طبعا طلعت كسبان ف الحكاية دى لانى اتعرفت معرفة شخصية بأهم ناس ف البلد . لكن المشكلة عندى اصبحت ازاى انا وحدى هااقدر

اكلم خمس ست انفار كلام معقول مدة ساعتين • جت لى فكره لطيفه • قلت مادام كل الضيوف من اعضاء هيئة التدريس ف جامعة مصرعازمه جامعة ناتال ، وفعلا ضربت تليفون لبروفسور المصريين اللى هايدرسوا فى جامعة مصر لما يرجعوا ، ويبقى اسمها جامعة مصر عازمه جامعة ناتال ، وفعلا ضربت تليفون لبروفسور باروز وقلت له ع الترتيب الجديد • احنا كنا ستة • وانا اغتصبت لنفسى راس السفره على اعتبار انى القاسم المشترك بينهم وحطيت جنبى باروز على اعتبار انه ضيف الشرف • انتهزت الفرصه دى وفهمته انى مش دكتور ، انما طالب دكتوراه بس • كمان فهمته ان انا مش متخصص انما متطفل ع الاقتصاد وانى مش ممكن اتكلم فى صالة الجامعة عن التطور الاقتصادى ف مصر الحديثه واقترحت عليه بدل ما انا اتكلم ساعه لوحدى عن مصر ان الست أساتذة المصريين الموجودين يتكلموا كل واحد منهم على وجه من وجوه الحياه المصريه اللى هو متخصص فيه ، قام انبسط من الفكره • انا اخترت نقطة التقدم الثقافى ف مصر الحديثة والدكتور فطين المدرس ف كلية الطب اختار التقدم الطبى والدكتور مصطفى عبد العزيز المدرس ف كلية العلوم اختار التقدم العلمى والاستاذ عبد المحسن بكير بتاع الآثار اختار التقدم الاركيولوجى ف مصر الحديثة والاستاذ قدرى المدرس ف معهد التربية اختار التقدم التعليمى • بعد كدا الراجل طلب منى لسته بكل التفاصيل دى والدرجات العلمية بتاعتنا عطيتهاله مظبوطه وكتبت قدام نفسى بكالوريوس ف الادب ، والحفلة نجحت تمام •

بعد كام يوم كنا ف صالة بلدية دربان بنتكلم • قبل مانبتدى جالى واحد من المصريين كان زميلى ف كامبريدج بيتنفض من الزعل وبيهز ف وشى ورقه كانت معاه ••

ـ خد ياسيدى اتفرج • انت المسئول عن كل دا ••

ـ ايه الحكاية ؟

بصيت ف الورقة لقيت مطبوع عليها اجراءات الاجتماع •• مافهمتش هو زعلان ليه ••

ـ فيه ايه ف الورقة ؟

ـ شوف اسمى مكتوب جنبه ماجستير ف العلوم • انت نفسك عارف انى اخدت دكتوراه كامبريدج • ليه تكتب كدا ؟

ـ انا عارف انك ها تاخد دكتوراه من كامبريدج انشاء الله لكن لحد دلوقت انت افندي زيي زيك ٠
ـ ابدا انتعارفاني سلمتالرسالة للممتحنين قبل ماسافر والاستاذ بتاعي طمني ٠
ـ كل دي حاجات ماتهمش ٠ رسميا انت ماجستير بس لحد ماتطلع النتيجة ٠
ـ اشمعني انت بتقول على نفسك دكتور ف كل مكان ٠
ـ انا عمري ماقلت على نفسي كدا ٠ دا بليغ هو اللي عملهافيه قبل مايمشي وانا اضطريت ابلعها ومع ذلك دكهـــا كانت ف تهريج حفلات واحنا دلوقت ف جامعة يا أخينا ٠
ـ انا باقول لك اهو ٠ ان ماكنتش تروح لبروفسور باروز وتفهمه انك كنت غلطان ف الدرجة بتاعتي وتخليه يصلحالمسألة وهو بيقدمني انا مش هاتكلم ٠٠
فصل بارد صحيح ٠ قعدت اشتم ف سري ٠ عقلية اطفال ٠ لكن طبعا كنت خايف انه يعملها ويبوظ الشغل ٠ قــررت اني اضحك عليه بلعبه صغيرة ٠٠
ـ طيب اذا كنت مصر انا هااعمل اللي انت عــايزه تحـــت مسئوليتك ٠ حاضر ياافندم اديني رايح ٠٠
مشيت لغاية بروفسور باروز وقعدت اكلمه ف موضوعات كتيره لكن طبعا ماجبتش سيرة لمسألة صاحبنا ٠ لاحظت انه بيتتبع كلامنا من بعيد وشفت ف وشه علامات الارتياح ٠ دا بالظبط كان المطلوب ان الاستاذ يرتاح ٠ الاستاذ افتكر اني كلمت بروفسور باروز عنالموضوع قام ارتاح ولما جا دورهوقف ع المنصة وف ايده مذكرته وبروفسور باروز قدمه للجمهور ٠ بروفسورباروز ماقالشانهدكتور ٠ الاستاذلبسهاطبعامايقدرش يأجلالحديثويشرحللموجودين ازاىانههو دكتور ، الاستاذ قال الكلمتين بتوعه ونزل ، انما كان باين عليه عايز يفترسني ٠٠
الاجتماع خلص ونجح وبروفسور باروز وصلني بالعــربية بتاعته لحد اللوكاندة بتاعتي ٠ وف السكة اقترح عــلى اقتراح لطيف ، ان جامعة ناتال وجامعة مصر يتبادلوا الاســاتذة اثناء الاجازات ٠ لاحظ انه لما بيكون فيه أجازة الصـــيف ف نص الكره الجنوبي احنا بيكون عندنا شتا والجامعة تقدر تستفيد من الأستاذة الزايرين ٠ اعكس المسألة تلاقيها مظبوطة ٠٠ وعدته

انى اكتب تقرير لمدير الجامعة بتاعتى عن الموضوع وودعنا بعض الساعة كانت حداشر تقريبا ، قمت اتعشيت وقريت الجرايد ونمت • الساعة اتنين جالى خدام من اللوكاندة وصحانى ••

ــ تليفون ليك •

قمت مفزوع ولبست الروب وبصيت ف الساعة لقيتهااتنين نزلت على كابينه التليفون وانا مستغرب من الناس اللى بيقلقوا الناس ف وش الصبح • قلت •

ــ هالو • مين •

ــ انا فلان •

فلان دا كان الاستاذ الدكتور اياه •

ــ ازيك يافلان • عايز حاجة ؟

ــ انا طيارتي هاتقوم الساعة خمسة الصبح •

ــ طيب مع السلامة • ابقى سلم على مصر • انت لازممبسوط انك هاتسافر ؟

ــ ايوه مبسوط اللى هاارتاح من دناءتك وسفالتك •

ــ بتقول ايه •

قفل السكة • تصور واحد يصحيك من النوم الساعة اتنين عشان يشتمك • نهايته ربنا يسامحه • لأ • ربنا يكون فعونه لانه أول ماوصل مصر استلم تلغراف من انجلترا بيقول له انه سقط ف الدكتوراه ••

انا باحكي الحاجات دي من غير ترتيب زى مابتيجي ف عقلى الانجليز اللى ف دربان اكرمونا اكرام شديد وكانوا طول الوقت ســهرانين على راحتنا • مره عملـوا لنا حفلة كوكتيل لطيفة حضرها كل الناس المهمين ف البلد •• ومره اخدونا رحلة برم البلد نتفرج على مصانع السكر بتاعتهم • كان كل يوم تقـريبا فيه فسحة بس اللى كان عنده وقت يروح • احنا طبعا فاضيين للسهرات والحفلات والاعمال الاجتماعية دى لكن واجب علينا نوزع نفسنا توزيع عادل على اصحاب الدعــوات • كان لازم نروح للهنود مثلا • وكان كتير يحصل انه الدعوات تتعارض ف الوقت لكن انا مهما وصفت ف كرم الهنود ماقدرش اديهم حقهم ••• حفلات الهنود كانت تمتاز انها كتير ومليانه خيرات ومافيهـاش نظام وخطبها كتيره •• قد ايه الهنود يحبوا الكلام •• الشاى كان يبتدى الساعة اربعة وضرورى يخلص بعد سبعة •• كمان

كان فيها نوع من الجليطه · نوبه عزمونا ف نادى بتاعهم اسمه اورينت كلوب · دا كان اول ماوصلنا وكان ماحدش لسه لحق يسافر · اللفتنانت منير صبرى كان لسه موجود والبلد كلها كانت عارفه انه ابن رئيس وزارة مصر وحسن افندى عزيز كنا دايما بنسميه برنس حسن والبلد كلهـــا كانت عارفه انه من الاسرة المالكة · بعد ماخدنا الشاى رئيس النادى قام يعمـــل الواجب ، لكن المسكين انتقل من تلبيخ لتلبيخ · قال ··

ـ احنا النهاردة حصل لنا شرف كبير لان ضيوفنا المصريين اتنازلوا وقبلوا دعوتنا · ودا يوم خالد فتاريخ النادى بالاخص لان بين المدعوين فيه اتنين من اعظم المصريين · اللى قاعد هنـــاك دا مستر منير صبرى ابن رئيس وزارة مصر وباذن اللهو نفسه هايبقى رئيس وزارة مصر ف المستقبل القريب واللى قاعد هناك دا يبقى برنسحسن ابن عم جلالة ملك مصر وباذن الله هو نفسه ها يبقى ملك مصر ··

الهنود سقفوا والمصريين اتكسفوا وحسن وشه احمــر ·· جليطه · واضح ان رئيس النادى كان عايز يجامــل وماكانش فاهم هو بيقول ايه · صبرى معلهش · حتى نتمنى له انه يبقى صدر اعظم اذا كانت الامانى تفيد · لكن عرش مصر حاجة مش خاضعة للامانى · الخطيب استمر ·

ـ دى مش اول مرة النادى يستقبل ضيوف مهمين من مصر ليدى كرومر لما زارت جنوب افريقيا شرفت النادى بتاعناوسجلت اسمها ف الدفتر ·

الهنود سقفوا والمصريين اتكسفوا وبعضهم ابتدا يشوشر ·· لكن احنا مانسيناش اننا ضيوف والشاى انتهى بسلام ·· كل مرة بعد كدا المصريين بقم يروحوا للهنود سكرانين ، ويخطبوا فيهم وهم سكرانين · نوبه الهنود عزمونا ف مكتبة غاندى ·· وكانوا عاملين اجتماع حضره حوالى الف نفس فكرنى باجتماعات السياسية اللى بيعملوها ف مصر ايام الانتخـــابات والمصريين اتكلموا فيه ·· بليغ كان طبعا اول واحد اتكلم باسم المصريين قعد يلعب ف شنبه طول الوقت وبعد ماقال سيداتى وسادتى ابتدا الخطبة بتاعته بكلام من هاملت ··

سمع الحتة كلها زى درس محفوظات بس بقى يقفـــل عنيه احيانا من باب التمثيل ويوطىصوته ويروح معليه على غفلة زى

مابيعملوا الممثلين المصريين ويشد ف شنبه ، والهنود مبحلقين فيه وساكتين كأن على رءوسهم الطير .. انا متاكد ان خمسة وتسعين ف المية من الهنود اللى كانوا ف الاجتماع كانوا اميين ودا اللى ستر الموقف ماحدش فاهم حاجة . والهجص بتاع بليغ اتفهم انه علـم غزيرحتى المتعلمين فيهم افتكـــروه بيتكلـم بالرموز .. بليغ قعد وصبرى قام ، صبرى صاحب الطبع النارى العسكرى اللى كان يشرب الدرامبون فى المادورا ويوقف المراوح بايده ويخبط ع الترابيزات ، قام وخطب . وخطب ف السياسة يدخل ف مشكلة الالوان وشتم حكومة جنوب آفريقيا . وشـتم الهنود وقال عليهم جبنا ونسوان .. وكان القرار اللى دايمـــا يرجع له كل كام جملة . عودوا الى الهند . لازم تكسروا الاغلال عودوا الى الهند . لازم تحطوا الرجل الابيض ف مكانه .. عودوا الى الهند . لازم تشتروا حريتكم ولو بالدماء . الشعب هاج وحصل فوران . والتسقيف العالى كهرب الجو زيادة. .. كان واضـح ان اغلب الناس كانوا مبسوطين من الكلام بتاعه . لكن المليونيرات الهنود اللى كانوا منظمين الاجتماع كانوا بيرتعشـــوا .. كانوا خايفين على نفسهم . كانوا عارفين ان كل اجتماع يعملوه الهنود او الزولو لازم يبقى فيه جواسيس من الحكومة . ناس منهم قاطعوه صبرى . قال « اخرس » استمر ف كلامه . مستر كادجى رئيس الاجتماع حب يصلح الموقف قام انتهز فرصة سكون ووقف على رجليه وقال ..

ـ مستر صبرى قصده يقول ..

صبرى بسرعة زقه ف الكرسى بتاعه وقال له ..

ـ إنت تقعد انا اعرف انجليزى زيك .

واستمر ف الخطبة بتاعته .. دا كان اجتماع مايتنسيش . ليلتها صبرى ارتفع ف نظرى كتير وعرفت ان تحت العنف بتاعه فيه شخصية ومبدأ واقدام .. الاجتماع كمان كان مايتنسيش لانه حصل ف مكتبة غاندى . غاندى برضه لما كان صغير ورجع من اكسفورد جديد اشتغل محامى ف ناتال وابتـدا جهـاده السياسى ف دربان بالدفاع عن قضية السود ..

صحيح غاندى وصبرى ماقالوش نفس الكلام لكن الغـــرض

كان واحد · صحيح صبرى ف الفجر اخد الطياره واول ماوصل ممباسا بعت تلغراف لبليخ يطلب منه تخفيف الخطبة قبل ماتنزل ف الجرايد · لكن اللى قاله كان كفاية · اللى قاله فهم الهنود أن فيه ناس بيشعروا بآلامهم ·

دربان بلد غنية ومليانة يهود · اليهود نتوعها مسيطرين على عدد كبير من الاعمال العامة ممولين طبعا زى العادة ·· لكن مافيش مشكلة يهود بالرغم من كدا ·· اتحاد جنوب افريقيا كله مليون ونص · فيهم حوالى مليون انجليزى ومليون افريكان ومليون هندى والباقى زولو ·· اغلب الزولو طبعا بيشتغلوا عمال ف المناجم · وف المدن تلاقيهم شيالين وعتالين وحاجات زى كدا ·· تلاقيهم لابسين بدل مقطعة وبرانيط وماشيين حافيين ف الشوارع وبعضهم تلاقيه لابس الحلقات الوطنية ولابس ريش طويل حوالين راسه وبيجر عربية حنطور صغيرة ـ بعجلتين اسمها الركشو ·· دول حالتهم تبكى بالنسبة للهنود ·· على الاقل الهنود مستورين شوية وفيهم التجار وفيهم العمال الزراعيين وف وسط الفقر الشنيع دا تلاقى الاوروبيين منغنغين ·· تلاقى كل كام اوروبى عندهم اوتمبيل · الهنود كمان عندهم اتومبيلات كتيره والناس الموكوسين صحيح هم الزولو ··

دا بس سكتش لبعض الحاجات اللى حصلت لنا ف دربان أو ع الاصح دى بعض الذكريات العامة بتاعتنا · ولو تسأل أى واحد من المصريين اللى فاتوا ف جنوب افريقيا يحكى لك اضعاف الحكايات دى ·· كل واحد فينا رجع ومعاه كتاب من الذكريات اللطيفة اللى مش مكتوبة ·· لكن ايام دربان ماكانتش كلها مزحومة بالشكل دا ·· دربان كمان عطيتنا ايام وليالى من الدعة والراحه انا شخصيا كنت موفق قوى ف ظروفى وأسباب السعادة كانت بتيجى لى من تحت الارض ·· مرة كنت قاعد ف الصالون بتاع البترويرث هوتيل ·· وجا تليفون للاستاذ فؤاد جلال المدرس دلوقت ف معهد التربية ·· جلال ماكانش موجود رحت انا آخد الرسالة ··

ـ هالو ·· مين اللى بيتكلم ؟
ـ انا اسمى الدكتوره جونام عاوزه اكلم مستر جلال ·

ـ مستر جلال مش هنا اقدر آخد له الرسالة ؟
ـ اصل مستر جلال خطب النهاردة ف النادى الهندى وأنا حبيت اعزمه ع الشاى ٠

ـ حاضر هابلغه الكلام دا ٠ امتى وفين ؟
ـ انت مين بيتكلم ؟ ٠٠
ـ انا لويس عوض ، واحد من المصريين ٠
ـ تقدر تيجى معاه ع الشاى ؟
ـ متشكر قوى ٠ اقدر آجى ٠

ـ كمان جيب معاك تلاته اربعة من اصحابك ٠٠ أنا احب اتعرف بالمصريين ٠٠
ـ انا ماقدرش اوعد انما هااتصل بيهم ٠
ـ وانا هافوت اخدكو من اللوكاندة بكره الساعة خمسة ٠ ساعتها ماكنتش عارف انى هاقابل واحدة ست من احسن الستات اللى قابلتهم ف حياتى ٠

قلت لجلال ٠ جلال كان مشغول بعزومه ٠ عرضت الدعوة على كام واحد ماالقيتش غير مصطفى عبد العزيز وعبد المحسن بكير ٠٠ تانى يوم العصر كنا احنا التلاته ف عربية دكتورة جونام وهيه بتفسحنا ف البلد ٠٠ اخدتنا بيتها اللى على مرتفع بره البلد وعرفتنا بأمها وبقية عيلتها ٠٠ اخدنا شاى وسمعنا شوية مزيكة وبعدين أخدتنا العيادة وعطت كل واحد فينا كام جن ولايم ٠٠ وبعدين ساقت بينا ٠٠ على حتة خلوية ع الساحل وركنت ٠٠

كان فيه اتومبيلات تانية راكنة وناس جوه الاتومبيلات بيشموا الهوا زينا ويسمعوا هدير المحيط ٠٠ أول يوم ماشفتش ف دكتورة جونام اى حاجة مش عادية لكن انتهزت الفرصة وعزمتها ع العشا تانى يوم من باب رد الجميل ٠٠ طبعا ماكانش ممكن انها تتعشى معاى ف اللوكاندة لانها هندية قام اخدتها ف رستوران هندى أو على الاصح هى اللى اخدتنى ٠٠ ع العشا قعدنا نتكلم ف السياسة والاجتماع وامور الدنيا ٠٠ ابتديت احس انى مع شخص ناضج ٠ شخص يمكن بيفهم كل حاجة ٠٠ عرفت منها انها عاشت سبع سنين ف ادنبره بتدرس طب وانها كانت تعرف بعض المصريين هناك وان عمرها تلاتين سنة ٠ ماكانش فيه ف

دربان غيرها ٠٠ فهمت منها انها بتعبد حاجة اسمها مصر ٠٠٠ حسيت من نبراتها انها فـ منتهى التعاسة ولما اتصاحبنا اكتر قالت لى ان مصدر عذابها المقيم هو الحواجز اللى البيض عاملينها بينهم وبين السود ٠٠ بعد سبع سنين من الحرية والمساواه ف اسكوتلانده رجعت تتبهدل ف بلدها ٠٠ دكتورة جونام باينه ع البعد دلوقت زى روح متألمة حايمه حوالين المكان ٠٠ وانا هناك كانت باينه لى انها اذكى شخص ف دربان كلها وان ثقافتها اوسع من ثقافة اى انسان تانى ف البلد كل الهنود كانوا يشتكوا من المعاملة الزفت بتاع البيض ٠ لكن دكتورة جونام عمرها مااشتكت دكتوره جونام كانت تشتم وتلعن من غير ماتخاف ٠٠ ودا اللى عجبنى فيها ٠٠ كانت تشتم الحكومة وتشتم الانجليز وتشتم الافريكان وتشتم الهنود ٠ كانت تتكلم ف أى حاجة وتدور وترجع للسياسة ٠٠ طبعا كل الناس كانت تعرفها ف دربان ٠ الهنود والزولو والانجليز لكن ماحدش من الكبار كان يحبها ٠٠ شفت

المليونيرات بتوع دربان كلهم بيتملقوها لكن الابتسامة الصفرا ماتخفاش على حد ٠ الهنود كانوا يكرهوها عشان صراحتها والانجليز كانوا يكرهوها عشان افكارها ٠٠ مافيش غير انا اللى حاولت أفهمها ٠٠ لولا دكتورة جونام كنت قعدت شهر ف دربان اتصفح وشوش آلاف العمال من غير ماقرا السراير ٠٠ هيه اللى حكت لى حكاية السود والبيض على حقيقتهم ٠٠

ـ تعرف فلان دا ؟ دا بيتاجر ف مليون جنيه وعامل زعيم الهنود هنا ٠ تعرف دا عمل فلوسه ازاى ؟ كان ف الحرب اللى دا ن بيورد انفار سود للحكومة ٠ وياخد عن كل نفر تلاته جنيه يحط اتنين ف جيبه ويدى النفر جنيه ٠

علشان اكرمنى كتير ٠ عشان كدا ما اقدرش اقول على اسمه فلان دا كان يمسك سماعة التليفون ويطلب دكتورة جونام ويقرا عليها رباعيات من عمر الخيام وكل ماتاخدها ف بيته بوطى على ايدها يبوسها ٠٠ واحد يعمل كدا يديك فكرة انه بنى آدم عنده

شعور وعواطف لكن الاعمال اللى بيعملها ف حياته الخاصة والعامة كانت توقف الشعر ٠٠ انا طبعا ماشفتش حاجة بنفسى ٠ لكن دكتورة جونام قالت لى على كل حاجة ٠٠ مره بس كان عازم ست

سبع مصريين على حفلة ساهرة شفت كل الناس بتشرب بصراحة وشفته بيشرب الويسكي سك ف فنجان شاى يومها شرب عشرين فنجان شاى والعرق كان بينقط من خدوده لكن ماضاعش اتزانه لحظة واحدة بلا وعي .. من يومها عرفت انه شـــخص اتقن فن النفاق .. فلان كان مسلم وبيلبس طربوش طويل من غير زر زى كل الهنود المسلمين بتوع جنوب افريقيا . ولماسألته عن فناجين الشاى اللى بيشربها وطى عـــلى ودنى وقال : اذا بليتم فاستتروا ..

لكن دى كلها مسائل شخصية ماتهمش حد .. فلان حياته العامة كانت انجس من حياته الخاصة .. جـــزم الانجليز كان يمسحها لكن بتمن عالى الجزمة بألف جنيه .. يقولوا له الجيش عاوز هنود . يقول بكام .. يتفقوا ع التمن وتانى يوم صاحبنا ينظم حملة سياسية عشان البهايم يتطوعوا . اجتماعات ف كل بلد . وف الاجتماعات اعـلام وع الاعـــلام نداءات . انصروا الديموقراطية .. أنقذوا الحرية .. والســـياسة تتخلط ف المسألة واللى يحقق ف الاعلام يلاقيها شيكات قدام الهنود يسميها سياسة عليا وقدام الانجليز يسميها خدمات اجتماعية لكن عند دكتورة جونام وعندى وعند مدير البنك بتاعه كلنا عارفين انها تمن الخيانة .. تمن يهودا ..

هنود جنوب افريقيا ليهم زعماء كتار بالشكل دا وكلهم من اصحاب الملايين وهم الزعماء دول اللى كانوا بيعـــزموا المصريين ويكرموهم والمصريين مايعرفوش حاجة عن الموضوع واحد منهم كان مستر كادجي واحد تانى كان اخوه .. كمان كان فيه مستر رستم جى .. الباقين مش فاكـر اسـاميهم .. طبعا ماكانوش كلهم بيشربوا الويســـكى ف فنـاجين الشاى .. لكنهم كلهم مسئولين عن انحطاط الشعب الهندى ف جنوب افريقيا . كانوا كلهم يقدروا يعملوا حاجة لكن ماعملوش .. انا ماقدرش الوم البيض بس ..

الدكتوره جـونام حطت البويك بتاعتها تحت تصرفى لحـــد ماركبت الطيارة . كانت ف النهار تعرفنى بالحياة الهندية وبالليل تفسحنى ف البلد او عند خلجان المحيط الهندى .. أو عـــلى المرتفعات جنب بيرمان درايف اللى فيها القرود والاحراش ...

وكل يوم يفوت كان يقربنا من بعض لدرجة اننا تعبنا قوى يوم ماجيت اسافر ·· ليلتها اشترينا قزازة جن وسهرنا للفجر وفى الفجر انتهت افراح دربان وانطوت مآسيها · وأخدتنى بالعربية بتاعتها لحد المطار ·· وشاورنا لبعض وزعلنا ·· لكن لما لقيت نفسى ب اشاور لدربان كلها منا الجو عضنى الالم ف قلبى ··· لانى كنت عارف انى مش هاارجع لها تانى مدى الحياة ·· سمعت كوراس العبيد بيغنى ف ودنى والصوت جالى زى لحن حزين من الحان بول روبسون مخلوط بوش الطيارة ·· امتى تتفتح ابواب السجون والآلهة الغضبانه ترضى عن البشر ، امتى ينزل العفو السماوى عن الملايكه اللى وقعوا غلط ف اطباق الجحيم ؟ امتى تنزل اليـد الخفية وتفك السـلاسل التقيله ودكتورة جونام تلاقى نفسها تانى بتمشى على صدر الارض الواسعة راسها مرفوعة وبتتنفس نسيم الحرية ؟ كل ماافكر ف الماضى افتكر احــزان الكوكب المنحوس بتاعنا لكن اعزى نفسى بأنى اعرف انســان واحد ع الاقل ف نص الكرة الجنوبى اتحققت فيه صـــفات الانسانية : الدكتوره جونام ··

لو كنت روسو كنت كتبت للعبيد انجيل حروفه نار وصحايفه بلون الدم الصبيب لو كنت بايرون كنت سليت سيف العـدل والجهاد وماغمدتوش قبل ماشوف بعينى عملاق الظلم مضرج على سهول بريتوريا ··

لو كنت شلى كنت غنيت مع الصبح ومليت الآفاق باناشـيد الخلاص ·· لكن انا ضعيف وروحى مكسورة وريشتى هزيلة ودمى مهدور ف خدمة الاحرار ·

الوداع يا جنوب افـريقيا ·· يا بلاد الجمال والكـــرم اللى مالوش نظير والغنى الممجوج والقلوب الحجرية ·

مصر مرة ثانية

الطيارة كانت مائية ، سندر لاند ، من خطوط شركة المواصلات الامبراطورية دى كانت أول مرة أركب فيها طيارة • قبل ما أحط رجلى فيها كنت فاكر انه هايملانى شعور غريب أول ماتشعلق ف الهوا • لكن دى فكرة ب تيجى للواحد من عدم الاختبار • الواحد وهو ع الارض كل ما يشوف طيارة ويتصور حالة الناس اللى فيها ، وبالاخص الناس اللى سايقينها بينهيأ له ان دا عمل عايز قلب حديد ويمكن نوع من البطولة • ف الواقع المسألة مش محتاجة لحاجة من دى • اتصور نفسك ف أتومبيل • حتى بمجرد ماحصل الارتفاع أنا كنت أقدر أنسى بسهولة انى ف طيارة حتى الشعور اللطيف انك بتعمل عمل عظيم يروح منك وف الوقت المناسب برضه يجى لك الملل • تحس طول الوقت انك راكب ف عربية دملر وماشى ف طريق مرصوف ، ومن وقت لوقت تفوت ف مطبات الهوا والطيارة تقع بيك امتار على غفلة • ف أول مطب قلبك يقع ف معدتك لانه ب ييجى من غير انذار لكن بعد كدا تحس انك راكب تور نيكروفت هلكان من أتوبيسات الحرب وانه وقع بيك ف حفرة • مطبات الهوا دى مجرد طبقات من

الهوا تخلخلت بسبب اختلاف درجات الحرارة • الحقيقة انك
طول ما انت فوق ماتعرفش انك بتتحرك • تحس ان الدملر
واقفة ع الارض • الواحد بيعرف ان القطر اللى هو فيه بيتحرك
لانه بيشوف عواميد التلغـــــراف بتظهر وتختفى والغيطان
بتنطوى والبيوت والقرى علامات ف الســـكة • الواحد ب
يتحرك بالنسبة ، ولو غمضت عنيك الحركة تنتفى لكن ف الهوا
مافيش علامات ف السكة تدى فكرة الحركة • الدملر ثابتة
ومريحة • حتى لما تبص للارض على ارتفاع عشرة آلاف قدم
وتشوف الغابات والافيال فيها زى الكلاب ماتحســـش انك
بتتحرك بسرعة تلتميت ميل ف الساعة • تتفرج ع الفيل او
تنظر على حزمة شجر ويتهيأ لك انك فوقها بالضبط والشجر
ما اتغيرش • ماتعرفش انك بتتحرك غير لما تفوت ف ســحب
وتشوفه زى الدخان الابيض اللى بينفخه وابور السكة الحديد
وتطلع منه ، او تفوت فوق سحاب وتتفرج عليه عامل أحيانا
زى القطن الطبى وأحيانا زى لحاف رمادى بيتغطوا بيه المردة •

مسحنا أفريقيا بالطول ف خمسة أيام • كل يوم نطير كام
ساعة وبعدين ننزل ف محطة كنا دايما نقوم ف الفجر ونطير
لحد الضهر ـ من ستة لواحدة تقريبا ـ ونبات ف آخر نقطة
نرسى فيها • أول يوم قمنا من دربان ونمنا ف موزمبيق قدام
مدغشقر ، تانى يوم نمنا ف كيسومو من اعمال كينيا ، تالت
يوم ف الخرطوم ورابع يوم ف الاقصر • خامس يوم نزلنا مع
الضحى ف روض الفرج • دى المحطات الكبيرة لكن بين كل
محطة والتانية كان فيه محطات صغيرة نزلنا فيها ربع ساعة ع
الماشى عشان بنزين وتشحيم والذى منه • قبل مانوصـــل
موزمبيق فتنا على لورنزو مركيز وبيرا وبعد موزامبيق نزلنا
ف دار السلام وف أوغاندا نزلنا ف بورت بل ولما دخلنـــا
السودان نزلنا ف جوبا وملكال • حتى ف الدر نزلنا • كنا
تقريبا كل ساعتين ننزل ونطلع تانى •

ف موزامبيق نمنا ف عوامه كبيره بتاعت شركة المواصـــلات
الجوية الامبراطورية والطياره نامت جنبنا ع الميه زى بجعه كبيره
مالهاش قلب • ماكانش فيــه حاجه نعملها حتى الكوتشــــينه
مالقيناهاش • وانا لاحظت انى ف حالات عدم الاستقرار دى

مخي بيقف خالص · حتى صور الماضي ما اقدرش استرجعها ومن باب أولى التفكير ف المستقبل بيبقى عندي مســـتحيل · اما الحاضر فمش موجود · سواعي كنت ارقد ع السرير واتأمل شويه ف حالتي ، وسواعي كنت اطلع على سطح العوامه وابص مشرق ف الامواج اللي بتغسل سماء الافق واضغط على جفوني يمكن اقدر اشوف مدغشقر ، لكن قالوا لي ان احنا على ساحل افريقيا والبوغاز اوسع شويه من صورته اللي ف الاطلس · وان بصـيت مغرب ما اشوفش حاجه · الافق القاره كلها زي ماتقــول غرقانه ف المحيط ··

ف موزامبيق الناموس بس اللي تعبني · لكن في كيســومو شفت الويل · كيسومو على خط الاستواء واحنا كنا ف سبتمبر يعني الشمس نفسها كانت فوق روسنا على طول ، يمكن جوا الاود بتاعتنا بالذات · لكن الدنيا ماكانتش حر من الجحيم · الحر كان يخنق لكن زي مصر افتكر عشان الحته كلها عباره عن هضبه عاليه كذا الف قدم عن سطح البحر · شوف كتاب الجغرافيا بيقول ايه · الطياره رسيت زي العاده ف الميه مية فيكتــوريا نيانزا واحنا شحنونا ف اوتومبيلات لغاية اللوكاندة الوحيدة ف البلد · اللوكاندة كانت على قد الحال ، لكن واسعه الجماعة كلهم حجزوا الاود اللي هم عايزينهم وانا اتأخرت شوية قام الست الانجليزية اللي ف المكتب عرضت على اني انام ف « بنجالو » ملحق باللوكانده بينه وبينها جنينه متوحشة مافهاش مسالك واضـــحه · قلت مافيش مانع · قالت لى كمان ان مافيش غيرى ساكن ف الملحق دا قلت برضه مافيش مانع · ساعتها الدنيا كانت نهار وصحيح ماكانش فيه مانع · لكن لما دخل الليل عرفت معنى الندم · عرفت انه كان أحسن لى ميت مره اني أنام ف حضن واحد صاحبي على سرير واحد · قعدنا العصرية كلها ف الصالون اللي كان مدروز ظباط انجليز ، والحر خنقنا · لما الشـــمس اتكسرت طلعنا نستكشف ف الادغال اللي حوالينا لكن ماوصلناش بعيد · من باب اللوكانده لحد البحيره كان فيه طريق ضيق معفر يدوبك يفوت عربيه واحده ، وعلى طـــول الطريق وحوالين اللوكانده كان فيه اشجار من نباتات السفانا ما اعرفش كانت بتعمل ايه عند خط الاستواء · حوالى فدانين سفانا وبعدين تلاقى الاحراش المخيفه المظلمه وانواع الشجر اللي بتقرا عنه فكتب الجغرافيا ،

الشجر التخين والشجر العالى اللى اوراقه اكبر منه والشجر اللى بياكل البنى آدمين اذا كان دا ممكن • وكل دبانه اشوفها اقول تسى تسى • وكل زنجي اشوفه عريان وبشفاتير اقول نيام نيام • قالوا لنا ان اللوكانده بعيده قوى قوى عن البلد ، كمان قالوا لنا ان اقرب مركز للمدينه كان على بعد اربعة كيلو واللى يحب يخرم ف الغابات اويعوم فكتوريا نيانزا • كان معاى الاستاذ فؤاد جلال والاستاذ عبد المحسن بكير والاستاذ عبد العزيز المراغي وقعدنا نمشى رايح جاى ع الطريق المعفر لحد الليل مادخل • الليل دخل واحنا برضه بنمشى ماكانشي فيه نور عشان الانجليز كانوا لسه بيحاربوا ف الصومال الايطالى • الليل دخل واحنا بنتكلم ف الموضوع الوحيد المناسب ، موضوع الخوف • طبعا ما حدش فينا جاب سيرة ابو رجل مسلوخه ولا البعبع • المناقشة كانت علمية ناشفه وماحدش كان مرعوب • واحد يقول الخوف غريزة ، التاني يقول لأ استعداد • جلال يقول فرويد بيفسر الخوف بانه نزاع بين الايجو والسوبر ايجو • المراغي يقول دا تخريف • لكن الامثلة كلهاكانت على نمط ليه الانسان بيخاف من التعابين ، اذا طلع علينا دلوقت تعبان نعمل ايه ؟ » الموضوع كان طبيعى وكل حاجه حوالينا أوحت بيه من غير ما ناخد بالنا حتى أنا ما أخدتش بالى من كدا غير تانى يوم ف الطياره وانا باحلل الموقف زى العادة • لكن لو كنا عاقلين كنا بصينا لبعض من سكات واتحاشينا الكلام فيه قبل النوم ع الاقل ، زى راجل ومراته مايغلطوا ف حق بعض عن معرفة وبعدين يتجنبوا المناقشة والعقاب ، والازمة تفوت من نفسها • احنا ماكناش عاقلين لكن انا لوحدى اللى دفعت التمن • الليل اتقدم ورحت انام • الساعه حداشر ونور النجم مش كفايه ، مشيت ف الجنينة اخبط ف تكعيبه واطس ف زهرية واحضن الاشجار واخلص هدومى من النباتات المتسلقة • ماشى وراى عبد شايل شمعه • المغفل كانوا باعتينه يورينى السكه • قلت له يمشى قدامى بالشمعة قعد يبرطم بالسواحيلى لغة كينيا ، عرفت ان مافيش فايده • بقيت ماشى وايدى ممدوده لقدام بتحسس الطريق • وصلت السلم الخشب اللى قالوا لى عليه وطلعت وعديت تالت

باب وفتحته • اتفتح • العبد سابني ورجع ، والأودة كان فيها لمبة كهربا ضعيفة وعريانه وعليها تراب • قفلت الباب ورايا بالمفتاح ، وبصيت ف زوايا الاوده لقيت سرير زهر مقشر عليه ناموسيه وكومودينو مخلع ومرايه سليمه بس قديمه وشـباك كبير مغطى بسلوك قلت كويس • ضمنا ان التسي‌تسي‌مايدخلش قلعت ورقدت وطفيت النور ، والافكار ابتدت تخبط ع الباب وتخش واحده واحده من غير اذن • قبل كدا انا ماكنتش خايف انما كنت متضايق من حظى الزفت ف اختيار الاوده ومن‌القرف اللى شفته ف الجنينه • لكن بعد الافكار ما خبطت ع البـاب ودخلت قفلت الباب وراها ابتديت اخاف • كل المناقشة اللى حصلت عن الخوف رجعت لى حرف حرف • دفنت راسي تحت المخده مافيش فايده • لكن يظهر انى نمت من الاختناق لانى بعد شويه صحيت مفزوع بكابوس وأول حاجه عملتها كانت زر الكهربا طبعا • ف تلات ثوانى بالظبط كنت جوه البدله زى مايكون ، ونزلت اجرى ع السلم الخشب وف الجنينه ، لغايه ماوصلت باب الصالون • اطمأنيت وابتديت افكر ف الكابوس اللى جالى • الحلم كان قصير قوى • كان عباره عن حيه قطرها قد المسطره وطولها تلات امتار كسرت الشباك السلك وابتديت تزحف على •

بصيت‌ف الساعه‌لقيتها واحده ونص • وبعدين ، ايه العمل؟ ارجع الاوده تانى ؟ مستحيل • اترميت على فوتيل ف الصالون وقعدت افكر • بعدين قمت ع المكتب وابتديت اكتب جوابات لمصر وجنوب افريقيا • كتبت تلات سطور ف تلات جوابات وبعدين لكلكتهم ورميتهم ف السبت • الغفير جاع الخشخشه • كان عملاق اسود لابس بالطو اصفر من بتوع السلطة ع اللحم وعلى راسه طربوش جربان من غير زر ولا خوصه • وقف قدامى • بصيت له شويه واستمريت ف الكتابه • ما اتحركش‌بصيت له تانى واستمريت ف الكتابه • الغفير ماقالش ولا كلمه لكن فضل واقف قدامى بمنتهى الثبات • ما اعـرفش ايه اللى كان بيدور ف عقله ساعتها • ارتبكت شـويه وفى الآخر قلت له بالانجليزى وانا بابتسم‌عشان اتملقه هو بالتأكيد كان سـيد الموقف • ايده كان فيها عكاز واسنانه كانت بتلمع • •

ـ انت عاوز حاجه ؟
الغفير ضحك ، مش فاهم ليه ، وقال :
ـ نـــو ٠
لكن ماتحركش ٠ ابتديت اخاف شويه ٠ صــحيح ضحكته ماكانش فيها اى شر ٠ كمان وقفته والتعبير اللى على وشه كانوا هاديين قوى ٠ كنت اقدر ابتدى معاه سين وجيم ، « طيب واقف ليه ؟ » « ماتروح حته تانية » ، « انا كمان مش عاوز حاجه »٠ لكن قلت بلاش الحاجات اللى تجيب الشكل ٠ ابتديت استعمل كل الملكات اللى عطيتها لى امنا الطبيعة عشـــان حفظ الذات ٠ طلعت نص كراون وحطيته ف ايده وقلت له :
ـ روح هات لى علبة سجاير بحارى من فضلك ٠
الغفير حط الفلوس ف جيبه وقال :
ـ نـــو ٠
« نو » يعنى ايه ؟ ٠ ابتديت اشــك انه يعرف انجليزى ٠ شاورت على جيبه وابتديت اكلمه انجليزى بطريقة وست ٠
ـ مى سيجاريت ٠
هز راسه لكن ما اتحركش ٠ رحت مطلع علبة سجاير بحارى من جيبى وقلت له تانى :
ـ سيجاريت ٠ زى دى ٠
الراجل ماردش انما قلد صوتى تمام من غير مايبان ف حسه انه فاهم حاجه ٠
ـ سيجاريت ٠
ومشى ٠ خرج من الصالون ومارجعش ٠ على العموم دا اللى كنت عايزه ٠ انا ماكنتش عايز ســجاير انا عطيته الفلوس عشان يمشى ٠ حتى انبسطت شويه انه مارجعش لانى اتصورت الموقف الغــريب دا ازاى هايتجدد اذا رجع وف ايده علبـــة السجاير ٠ برضه كنا اقول له « مرسى » وبرضــــه ها يستنى واقف زى اللوح ٠ بعد مامشى اترميت انا على كنبه وقعدت افكر ف الحكاية دى ٠ خطر لى انه شك فيه وافتكرنى حرامى ، ومادام هو الغفير بتاع اللوكانده يبقى معنى كدا انه لازم يقف جنبى طول ما انا قاعد ف الصالون ٠ ما اعرفش بعد نص ساعه عينى تعبت وحسيت بنعاس شديد ٠ ما قدرتش ارجع الاوده بتاعتى

وقررت اني انام ف الصالون ع الكنبة زى ما كنت • لكن خفت انعس تروح على نومه والطياره تفوتني • قلت لازم اشـــوف واحد يصحيني • مشيت لآخر الصـــالون ادورع الغفير تاني مالقيتش حد ، رجعت مكاني وقعدت وسندت خدودي بايدي من شدة التعب وبعدين بصيت لقيت واحد اسود تاني جاى على • دا كان طويل برضه زى الغفير لكن كان لابس جلابية بيضـــا بتلمع على جتته السودا اللى بتلمع عرفت انه واحد من الخدامين • لما وصل عندى مد لى ايده وفيها شلن وســـته بنس • قلت الغفير دا لازم امين اشترى السجاير وباعتها لى مع الراجل دا هيه وبقية النص كراون اخدت الفلوس وانتظرت شويه وضحكت عشان افهمه ان ممنون ، ماعطانيش حاجة تاني • قلت له •

ـ فين السجاير • الفلـوس دى باقى النص كراون • فين السجاير ؟ •

يظهر انه مافهمش لانه ماردش خالص • قلت :

ـ انت تتكلم انجليزى •

قال لى •

ـ كاكا •

ماعرفتش « كاكا » دى تطلع ايه • قلت افرض ان معناها « ايوه » أو « شوية » طلعت علبة السجاير بتاعتي ومديت ايدى وقلت له :

ـ سيجاريت •

ماردش خالص • فكرت شـــويه وخطرت لى فكره • يمكن الغفير افتكرني عايز اشترى له هو علبة سجاير قام راح اشتراها لنفسه وبعت لى البـاقى • معقـول • لكن دا يبقى تفكير معقد خالص وفيه عمليه رياضية • لكن برضه معقول لانه شاف معاى علبة سجاير ومافيش حد بيشـــيل علبتين أو يمكن افتكرني حرامي وعاوز ارشيه بعلبة سجاير • طيب ورجع لى باقي الفلوس ليه ؟ دا يبقى شخص غير عادى • نهايته قفلت الموضوع • حاجه تدوش الدماغ صحيح • قلت للخدام :

ـ انا عاوز انام • صحيني بعد ساعة •

قال لى :

ـ كاكا •

ابتدت « كاكا » يبقى معناها مهم • ياترى معناها ايوه واللا لأ ؟ وابتديت انا اعبر بالاشارة شاورت عليه وقلت « انت » وهزيت نفسي بايدى وقلت « تصحيني » وشاورت للساعة وعملت له تلاته بصوابعي وبعد ماخلصت العملية المتعبة دى قال لى بكل هدوء

ـ كاكا ..

قلت بالعربى : يخرب عقلك .. كاكا ف عينك .. ورحت متمدد ع الكنبة وعطيته ضهرى وقلت اللى يحصل يحصل بقى غالبا الدوشه بتاعة الجماعة ف الصالون لما يصحوا هاتصحيني • وفعلا صحيت ع الدوشة وف ربع ساعه كنا كلنا ف الطيارة لكن مالحقتش اغسل وشى قبل الخرطوم •

لما نزلنا ربع ساعة ف جوبا حسينا لاول مره اننا على ارض مصريه لقينا البلد عباره عن كشك زى اكشاك المهندسين عايش فيه شاب متخرج من اكسفورد جديد وشاب سورى مستوطن • اهو دا عمره مايكتب جوابات للرياسه بتاعته مليانه شكوى زى الموظف المصرى لما يحدفوه ادفو • جنب الكشك حته من النيل كانت بتجرى ف حجم الترعة الابراهيمية بس فيها تماسيح بتقب وتغطس ، بعدين تلاقى صحارى واشواك واقرب نقطة للمدينة كانت عشش السودانية على بعد خمسة كيلو • أجدادنا كانوا بيحسبوا ان النيل بينبع من الجنة • انا اللى شفت منابع النيل يعنى جوبا والبحيرات اقول لك ان النيل نازل من الجحيم

• ولما نزلنا ربع ساعه ف ملكال حققت كويس ف النيل والبيوت والطبيعة لان ابويا كان بيشتغل باشكاتب المديرية هناك من قيمة عشرين سنه لقيتها مش احسن من جوبا كتير • بس بدل الصحارى كان فيه اعشاب سفانا وبدل الترعه الابراهيمية فيه نهر كبير مش منتظم ماتعرفش ماشى ازاى عامل زى البحيره البيضا اللى قعرها واطى وسايحه على نفسها واعشاب طويله ماليه الميه وباينه فوق السطح زى غيطان الدره الشامى لما يغرقها النيل وقت الفيضان وبيوت السودانية زى خمسين قمع طين مرصوصين جنب بعض •

نزلنا ف الخرطوم بعد كدا وكان لازم نبات فيها • قوارب شركة الطيران الامبراطورية خطفتنا من الطياره لغاية شاطىء

النيل • واتومبيلات الشركة خطفتنا من الشاطىء لحد البلد • دخلنا اللوكانده وعنينا مكبوسه تراب لقينا الظباط الانجليز ف الصالون بيشربوا بيره • انا خرجت على طول ودرت ألـــف ف البلد • مشيت ع النيل وسألت عن البيت اللى اتقتل فيه غوردون باشا ودلونى عليه • كمان زرت نادى لطيف عاملينه للموظفين المصريين ف الخرطوم وكل الناس كانوا لطـاف لكن برضه مافيش فايده • مشيت ف الشوارع اتفرج ع البيوت الوســخة والبيوت الفقيرة والعفار منين ما اروح يملا جزمتى ويخش ف شرابى • الخرطوم ليها معنى عندى اكتر من اغلب الناس لانى عشت فيها خمس سنين على بعض اول خمس سنين ف حياتى • حتى كان لينا بيت ف الخرطوم وبعناه لما رجعنامصر ايام ثورة ١٩١٩ تقريبا • الحاجات دى رسيت ف ذاكرتى لكن طبعا ما سابتش تفاصيل ماكانش معاى عنوان وخارطه البلد ماكنتش فاهمها لكن كان عندى احســــاس طول الوقت انى لوشفت بيتنا اعرفه بالالهام • مشيت ف الشواع اجهدذاكرتى واستحضر صور ماضى سحيق زى يوم الميلاد لكن طبعا عرفت بعد شويه انه مافيش فايده من التجول دا • رجعت اللوكاندة لقيت اصحابى العبطا اللى خدوا حمام ساعة ماوصلوا بياخدوا حمام تانى • انا استنيت بترابى لحد المغرب ماجا واتأكدت انه مافيش خروج تانى • حتى قبل ماأستحمى عملت حسابى انى أشوف أم درمان واقف عند ملتقى البحرين واتفرج ع المناظر المشهورة ماكانش فيه منظر مشهور ، تانى رجعت اودتىوقلعت ومليت البانيو ميه بارده ونزلت فيها وطلعت منها مفزوع • الميه البارده كانت بتغلى بس ناقصه الحركة والبخار • افتكرت أن واحد صاحبى حب يهزر قام قفل الحنفية الســخنه ، وفعلا رحت زعقت لهم كلهم لكــن ف الآخــر فهمت ان دا من عمـل الطبيعة مش من عمل الانسان • انا عايز أ • ب • هربرتيزور الخرطوم عشان يكتب مقاله عن حماماتها وطرق اصلاحها زى ماعمل مع حمامات لندن •

مافيش فايده انى اكلمك عن الحرف الخرطوم •• الشـــمس كانت فوق خط الاســتوا لكن هلكتنا تحت مدار السرطان • كيسومو كانت زى المطهر جنب جحيم الخرطوم ، وبورت بل كانت مصيف جنب جوبا ••

انتهت المذكرات

كلمة للطبعة الثانية

... واخيرا صاحب الكتاب

لم أكره في حياتي رجلا مثلما كرهت هذا الرجل ذلك اليوم . فقد كان غريما لي . جاء ينازعني حضانة ولد عاش معي قرابة ربع قرن من الزمان . لقد كنت اعرف أن الولد غير لقيط ، وأن له ابا ، ولكني كنت حللت من هذا الولد محل ابيه . الى أن جاء اليوم الذى فيه فضحت نفسي ، وكشفت أمرى فجاء الاب الشرعي ينازعني في ولد تبنيته عشرين عاما من الزمان .

في أحد أيام صيف عام ١٩٤٥ تعرفت بقلم شاب كان يكتب بعض الكلمات المتفرقة، على صفحات جريدة « منبر الشرق» التى كنت أعمل محـررا فيها . وما ان تبودلت بيننا بعض الرسائل حتى كلفني بأن أقدم له اوراقه ليدخل كلية الحقوق بالاسكندرية . لقد كان حلمه أن يصير محاميا ، ولـكن ظروف حياته منعته من تحقيق هذا الحلم ، فاشتغل موظفا صغيرا في الرقابة . وكان لزاما عليه لتحقيق أمنيته ان يجرب حظه في جامعة القاهرة . وكان لزاما عليه أن يتردد على الاسكندرية . وكانت موارده لاتسعفه بمصاريف النزول في فندق . أى فندق كان .. فكان ان اتخذ من بيتي فندقا . وكأنما احس بعد أن تكررت زيارته لي أن الواجب يقتضيه أن يحمل هدية للمضيف يرد فيها جميل الضيافة ولكنه كان فقيرا كما قدمت .

فلما جاء الذات يوم في احدى زياراته المتكررة حمل الى هدية قدر امكانياته انها .. كتاب مكتوب على الآلة الكاتبة ، ومجلد سنه من احدى المجلات الخاملة الذكر ... وقال لي في حياء ظاهر . اعرف انك صـــحفي واديب ، تحب

القصص • وهذه قصة لعلها امتع ماقدم لنا في الرقابة ، كما ان هـذه المجلة قد يكون خلا منها متحفك الصحفي •

وكنت في هذه السنة اعاني في نفسي فراغا اضيق به • فما كادت تنتهي آخر ليلة من عام ١٩٤٤ حتى اخذت معها صديقا شابا كان توام روحي في الادب والحياة • مات عن ثلاثة وعشرين ربيعا •• فكنت في عام ١٩٤٥ ابحث جاهدا عن صديق يملأ على فراغا تركه في نفسي صديقي حسين محمد عبدالخالق

وذات ليلة جلست على سريري أتصفح الهدية التي حملها الي صديقي الجديد • لقد كانت تجربة باللغة العامية • ولكن اى تجربة • لقد بدات اقرا اولى صفحاتها فشعرت بشيء يشدني اليها ويربطني بها • واذا بي اطوى الصفحة اثر الصفحة حتى تنبهت الى اني قطعت ثلثي الليل وان على ان استريح ساعة قبل ان يطلع النهار • كنت اقرا الصفحات ببطء شديد كاني حديث عهد بحروف الهجاء ، وكاني اخشى ان ينتهي حديث هذا السمير الجديد •ومن يومها وذلك الكتاب اصبح سميرى • آنس اليه ، والوذ به كلما استوحشت روحي الى انيس ••

قراته مرة ، فمرة • ثم تحفظت عليه • لافرط فيه • وكتمت سره على جميع من عرفت من الاصدقاء فلا يستعيره مني احد ، ولا يعلم بمكانه احد فكم من الكتب اعرتها فلم استرجعها من المستعير • وكم من كتب لم اعرها ولكني افتقدتها لخفة يد صديق •

ومرت الايام والسنون ، وانا انتقل من بيت لبيت ، ومن حال الى حال وذلك الكتاب لايفارق مكمنه عندي • وتزوجت واصبح لي اطفال وشغلتني مشاغل العيش عن الكتب • واصاب اطفالي معظم كتبي بالتلف • ولكن نجا من عبثهم هذا الكتاب • وجاء يوم • رايت فيه ان انزح الى الحجاز بعد ان ضاقت في وجهي وجوه العيش في الاسكندرية وكان على ان اخفف حملي ، واختزل مالدى من كتب ، واتخلص مما ليس له شان عندي • وراجعت كل كتبي• فاهديت منها مااهديت • وبعت منها مابعت الا هذا الكتاب الذى لااعرف سر الرابطة التي بيني وبينه •

وقبل ان اعود من الهجرة • سبقتني زوجتي الى الاسكندرية لتنقل اثاثنا من المخزن الى البيت الجديد • وجئت لافحص كتبي فافتقدت كتبا عزيزة على • لعلها • سرقها الحمالون • لعلها سقطت من سيارة النقل • لعلها نسيت في المخزن • افتقدت ديوان وطنيتي الذى اهدانيه استاذي على الغاياتي •افتقدت قصيدة مطبوعة نادرة « الحقوق الضائعة » اهدانيها صديقي الشاعر الكبير احمد محرم • ولكني وجدت هذا الكتاب •• كان هذا الكتاب سميرى • لم اعد الى قراءته قط • ولكن احداثه كلها كانت في قلبي • اعيش في فيوض منها •• واذكرها كلما ذكرت شبابي • ولم يكن في ذهني قط اني املك نسخة لايملكها احد سواى •• اذن لسارعت الى استئجار خزينة في بنك مصر لأودعها فيها • ولا اقول في ذلك هذرا فاني مولع بالتحف من الكتب والصحف •• واحتفظ

بجرائد اللواء والمؤيد وحمارة منيتي والهلال وسركيس والمجنون والمسلة والاهالي والافكار وغيرها .. وغيرها .. من الصحف والمجلات التي لا يعرف عنها شيئا ابناء هذا الجيل ... والتي لايحتفظ بشيء منها من ام يزل من قرائها على قيد الحياة ..

ومات أخي الشاعر محمد محمود حسنين وقبضت امه وزوجته مبلغا كبيرا من المال من شركة التامين الى جانب المعاش الشهري . وقلت لامراة ابي . ساعديني على نشر ديوان اخي فان هذه كانت آخر امنية له في الحياة فقالت الأم : « ماعندناش فلوس » قلت . لقد دفعت لك شركة التامين مبلغا يقرب من الألف جنيه . قالت المراة « يوه ... سددنا بيها الديون .. الى قلبه على أخوه ينشر له ديوانه « وسكت » .. وتاملت نفسي .. غدا يحضر صديق لي من القلة القليلةالتي بقيت لي من الاصدقاء يقوللزوجتي انشري ديوانكناري .. كناري الذي قال في اخريات عمره :

قربتني الايام من آخر الشـ
ط فمرحي سلخت جل نهاري
وغدا يقبل الظلام .. فيطفي
غلة المتعب الشديد الأوار
يحمل النوم للكليل المعنى
مقلة اعشيت .. من الابصار
قد قطعت انطريق .. الا قليلا
فاعزفي يا طيور ... لحن انتصاري
في غد تقبل الوفود تعزي
ويقول الرعاة ... مات الكناري
ويقوم الهزار يحتل عشي
وانا ساخر لحمق الهزار
هذه قصة توالت كثيرا
... وعلى مسرح .. قديم الستار

وترد زوجتي مرددة ماقالته امراة أبي . وترد زوجتي مرددة ماقالته زوجة عبد الحميد الديب . وما قالته زوجة فلان وفلان من الشعراء .وتضيع أوراقي لدى عم محمد بتاع الفلافل ، وعم علي البقال .. وحسبت ماستقبضه زوجتي من تامين ومعاش فهالتني الارقام واستبشعت الجريمة . وامسكت ورقة صغيرة كتبت عليها « دار النشر للجميع » وبدات العمل .

اخرجت أول مااخرجت كتيبا صغيرا .. مقال ترجمته عن الامريكية .ثم اتبعته بمنشور ثان . مقال آخر ترجمته عن الامريكية كذلك . اما ثالث منشوراتي فكان ديواني ايناس . طفلتي الحبيبة المدللة التي قتلت نفسها قبل موت اخي بخمسين يوما . ثم .. توقفت هل استمر في نشر مؤلفاتي.. اذن ماهو نصيب هذا الشعار من دنيا الحقيقة .. «دار النشر .. للجميع » لا

دار اذن على الاطلاق ولا مجد لها على الاطلاق .. اذن فعلى ان اغير الخطة . وان انفذ مفهوم التسمية . انها دار نشر للجميع . ولكن اى جميع . هل هناك من يعطيني مؤلفه انشره هدية بلا اتعاب . وتذكرت على الفاياتى . ان احدا لم يذكره حتى الآن . وهو ايضا لم يذكر لى انه الف كتبا غير ديوانه انقديم : « وطنيتى » وديوانه الجديد . « هجرتى » وانى لى هذا الديوان ..

وتذكرت ذكرياته التى نشرها تباعا فى منبر الشرق ، قبل وفاته تحت ضغط مريديه واصدقائه الاصفياء . فعمدت الى هذه الذكريات فجمعتها ونشرتها فى كتاب «فجر الثورة» ساعدنى على بعض تكاليفه صديقى وصديق الفاياتى احمد حسين المحامى . وساعدنى بقليل من المال مرسى العصافيرى المحامى احد تلامذة الفاياتى .. وصدر الكتاب . ضبعت منه اغفى نسخة كلها عادت الى من شركة التوزيع . وضاقت بها دواليب البيت ... ولكن انتبه الى اهميتهـا قليـل من النقاد .

وجلست افكر من جديد . ماهو الكتاب التالى . وكان محافظ البحيرة توجيه اباظة يستعد للاحتفال بمهرجان احمد محرم فى دمنهور . فاعلنت عن اخراج رسائله . وقيل فى ذلك يومئذ ماقيل ولكنى اخرجت الكتاب . انه يكشف عن مرحلة حرجة فى تاريخ الادب . مرحلة تبين ازمة الضمير . ولم اعط «رسائل محرم » الى شركة توزيع قد تلقيت منها فى التجربة الاولى درسا لن انساه .

فوزعت الكتاب بالطريق الشخصى . وبقى عندى من الالف نسخة بضع مئات . زادت فى بيتى من ازمة التخزين . وسـوء التفاهم بينى وبين امراتى التى لا تعرف ماذا اصاب زوجها . فلا يخرج مؤلفاته فتقول انه يعمل لنفسـه .. ولا هو يربح من مؤلفات غيره فتقول انه يعمل للكسب . ولكنها خسارة تلو خسارة ليس وراءها شرف .

وفرغت من رسائل محرم لأبحث عن الكتاب التالى . قلت ليـكن ديوانى القط » الذى كان متوقعا أن يكون أول دواوينى ... لولم تقتل نفسها .. طفلتى ايناس . وكتب لى صديقى الدكتور حسن ظاظا استاذ الساميات بجامعة الاسكندرية مقدمة للديوان الجديد .

« ان كنارى يمجد القط . ليخسا بعض بنى آدم ممن لم يصلوا فى مجـال النفس الى مرتبة هذا الحيوان ... ومع ذلك فهو بلا شك ، وكما قال صـاحبه ... شعر انسانى » ..

واعددت العدة لنشر هذا الديوان . ودفعت به الى المطبعة . وصفت المقدمة . ثم وقع بينى وبين المطبعة خلاف . اقول للرجل لقد اتفقت معك على التشكيل . فيقول . تشكيل ايه يااستاذ مطبعتى مافيهاش تشكيل .. ثم الشعر المشكول بقى موده قديمة . قلت انا اريد ديوان القط يخرج كديوان تذكار ايناس . شعرا عمودياً مشكولا . وقد اتفقنا على هذا .. فلا داعى لتغيير الاتفاق . وسحبت الكتاب من المطبعة . وذهبت الى المطبعة التى اخرجت فى اناقة ديوان ايناس . ولكن الرجل غالى فى الثمن . فتوقفت عن الطبع . واخذت انحين الفرصـة لطبع الديوان .

وفجأة تذكرت هذا الكتاب . « مؤلف لويس عوض » . وهالتنى الفكرة .

انها ضربة بارعة . فلنعقد محاكمة لهذا الرجل الذى استبد برأيه فى الفن والأدب . لقد اجرى تجربة ثم حكم عليها بينه وبين نفسه وأصدر حكمه فيها بالاعدام . لم يشرك فى حكمه أحدا من الادباء أو النقاد . اذن لابد من محاكمة هذا الرجل امام الرأى العام واثارة قضية هذا الكتاب الحبيس والمعارضة فى امر حبسه والمطالبة له بالافراج .

واعددت العدة للطبع . ولم أعلن السر الا لصديق واحد . الناقد السكندرى نبيل فرج . ثم خشيت من ثرثرة هذا الاديب الشاب . وزادت خشيتى عندما تذكرت أن شقيقه الفريد فرج على صلة وثيقة بمؤلف هذا الكتاب الذى ازمع طرح قضيته على القراء . قلت أرجوك يانبيل احفظ على هذا السر لاتذعه لألفريد .. انى اخشى أن يوقفنى عن النشر لويس عوض بخطاب موصى عليه ... او بانذار على يد محضر .. انذركم بعدم التعرض لى وعدم نشر كتابى والا فساحملكم كافة المسئوليات .. وارتعدت خلجاتى . أعوذ بالله . ياساتراستر ... يارب .. ارجوك يانبيل .

وبعد يومين جاءنى نبيل : صديق شيبوب (١) بيقول لويس عوض يمكن يرفع عليك قضية ... قلت هوه ده السر اللى قلت لك عليه .. يخرب بيتك حتخرب بيتى ياشيخ . وطلبت من نبيل أن يقسم على الانجيل الا يعود الى اذاعة السر .. حتى افرغ من طباعة الكتاب .. ولكنه راوغنى فى القسم .. اقسم يانبيل قال مش لاقى الانجيل ..

اما الشخص الثانى الذى كان يعرف هذا السر فهو زوجتى .. وذهبت المرأة لزيارة اخيها كامل حمادة المحامى وعادت الى ببشارة .. اخى يحذرك من التعرض لهذا الكتاب والا عرضت نفسك لقضية جديدة يرفعها عليك المؤلف . أعوذ بالله .. مافيش حد يجيب لى بشارة خير ... ولكنى مع ذلك مضيت فى النشر . وانتهى الكتاب بالصورة التى أردتها .

على أنه اذا كان استهتارى بحق التاليف وبمايجره على من متاعب واشكالات لا احصل فيها على البراءة الا بعد دفع غرامة يقبضها منى المحامون . الا انى لست مستهترا بسمعتى الادبية وذوقى الفنى .. فماذا يكون موقفى فى قضية ادبية موضوعها الدفاع عن كتاب لايستحق القراءة.. هذه هى المشكلة الحقيقية .. اما حقوق التاليف فهى مثار خلاف وجدال .

ونزلت الى الناس فى المصنع . فى المكتب . فى البيت . فى المدرسة اعطيهم صفحات من الكتاب واضع وجوههم وخلجاتهم تحت المراقبة اثناء القراءة . قراء من جميع المستويات اطلعتهم على ثلاث صفحات فقط من صدر الكتاب .. خريج

---

(١) الاستاذ صديق شيبوب كان أحد دعائم الحياة الادبية فى الاسكندرية زهاء خمسين عاما .. وقد فقده الأدب يوم ٢٢ ابريل سنة ١٩٦٥ ..

الآداب ·· وخريج الحقوق ·· والعامل الذى لايكاد يفك الخط الا بالجهدالجهيد ··· وربة البيت التى لايتسع وقتها لتصفح كتاب · وتلميذ المرحلةالابتدائية ··· لقد اجريت على تلك الصفحات هذا المسح الاجتماعى العريض · وكلهم اجمع على الرغبة فى قراءة كل الكتابومتابعة الرواية ·· وعندئذ شعرتبانى كسبت القضية الاولى ··· وهى اهمالقضيتين · وخرج الكتاب·· كانيتضمن اثنتين وعشرينصفحة فقط من المخطوط · وأرسلته الى المؤلف · وعليهانيصور

لنا بقية القصة من جانبه · اما بقية القصة من جانبى ··· فان الكتابكان يلتهمه القــراء وتابعت كثيرين منهم وضعتهم تحت الملاحظة فكانوا كلهم بلا استثناء يقرءون هذه الفصول القليلة فى جلسة واحدة ··· ثمبدأ يتصلبى القراء ·· انهم يريدون ان يعرفوا هل ادرك صاحبنا الباخرة أم بقى تائهـــا فى شوارع جنوه يسأل ـ بالانجليزيةتارة ، وبالفرنسية تارة أخرى ولايتلقى على اسئلته سوى « ابتسامة » اجابه بالطلياني · ثم انصراف » ·

وبعد ايام جاءنى نبيل فرج ليقول الفريد عاوز الكتاب · قلت وما شـــأن الفريد ·· انا لا أسلم الكتاب الا الى كاتبه ··· ودارت بينى وبين نبيـــل محاورات ··وتلقى نبيل علىالاقل اربع أو خمسمكالماتتليفونية منالقاهرة · وهو يتردد بينى وبين التليفون كل يوم مرتين اوثلاث مرات · الى ان جاءنى يوم يقول · لويس عوض سيكلمك الليلة ···

ودق التليفون فى بيت نبيل ··· وقالت الســنترال · نبيل فرج يكـلم لويس عوض ··وكانت هذه اول مرة يكلم فيها نبيل الدكتور لويس ·وسأل

لويس عن كنارى · فقال نبيل لسه ماوصلش يادكتور · وقبل ان تثورثائرة المؤلف الذى يتحرق شوقا لرؤية الكتاب · دخلتالهث لقد عطلتنىالمواصلات ·· هالو كنارى ·· انا عاوز اشـــوفك ·· طبيــعى يادكتـــور ·· امتى · ··· انا حابعت اطلب استمارة سفر من ادارة المطبوعات ··· لا ·· لا ·· دى مسألة تطول ·· انا جاى يوم الخميس ··

وانتهت المكالمة ·· وغادرت دار نبيل لأعود الى بيتى ·· وبدات أحسبشىء من الضيق ·· بعد يوم واحد لن أصبح مالكا لهذا الكتاب ·· بعد يومواحد سيغادر بيتى هذا الصاحب العزيز الذى صاحبنى عشرين عاما أو تزيد ·

وحل الخميس · ودق جرس الباب ·· ودخل الضيوف ·· نبيل فرج يصاحبه شقيقه الفريد و ·· الدكتور لويس · ودخلوا الصالون · ولعلهمشعروا أول ماشعروا بخيبة امل فى « دار النشر للجميــع » التى ليس فيهـا مكتب ولا سكرتير ولا حتى فراش ··· ودخلت وبدأ الحديث · وتناولنا كلالظروفالتى احاطت بهذاالموضوع من ساعة أن وقع فى يدى الكتاب حتىخروجه منالمطبعة وكلما انتهينا من القصة عدت أسردها من جديد والدكتور لايستقر فى مقعده الا بجهد ظاهر ·· انه يريد ان يرى كتابه بعد غيبة ثلاثة وعشرين عاما ··· وكنارى يتلكاويراوغ ·· لقد كان الدكتور لويس يتوقع ان يرى كتابهبمجرد رؤية كنارى ·· ولكن كنارى لم يكن عند حسن ظن الدكتور ··· فلا مناص للدكتور من التصريح ·· وسأل عن الكتاب · وقال كنارى · الكتاب مشعندى

... هو عند ناس .. وانا استاذنتهم فى نقل بعض نصـوص منه ... قال الدكتور . ومن هم هؤلاء الناس .. قلت هذا مصدر صحفى . وانت بلاشك تعرف واجب الصحفى فى المحافظة على سر مصادره . وثار الدكتور . وتغيرت لهجته .. لقد ادرك انه اصطدم بمشكلة .. وان عملية تسلمه الكتاب أصبحت مسالة تحتاج الى صراع .. صراع فى اقسام البوليس .. فى المحاكم .. فى نقابة الصحفيين .. لانه لابد له من طلب اذن النقابة فى مخاصمة زميل ... مسالة شرحها يطول ..

وقال لويس وقد علت طبقة صوته خمس درجات . انا قبل ماآجى استشرت محامين . كنت فاكر فيها غرامة .. قالوا الحبس واجب .. وقلت له . على ايه يادكتور . دى مسالة عندى بيها انذار . ومعمول لها الف حساب ... قال لا .. يمكن انت ماتعرفش القانون .. قلت لقد سبقنى الى هـذا العمل محمد طلعت حرب .. عندما اخرج قاسم امين كتابه تحرير المراة .. فلم يجد محمد طلعت حرب ردا على دعوة قاسـم امين الا اعادة نشر كتاب لقاسم امين يدعو فيه الى الحجاب . وجحظت عين الدكتور لويس . وتبادل مع الفريد النظرات وضحكت انا .. لقد اطلعتهم على امر لم يكونوا عارفيه .. وقال الفريد عجيبه طلعت حرب كان ضد حرية المراة .. مع انه فى آخر ايامه كان بيوظف البنات فى بنك مصر .. اما الدكتور لويس فقال فى اشمئزاز .. لا ده بقى كان لازم قبل قانون حماية حقوق المؤلفين .. وعندئذ تعرض لاخطر مراحله . هذا الكتاب مرحلة الصراع بين الأب الشرعى والأب المتبنى .. لقد تعرض الولد فى هذه المرحلة للموت .. ان لويس عوض لم يحكم أعصابه فهددنى بالحبس وثارت فى نفسى ثائرة التحدى وثورة التحطيم ... لقد راودتنى آنئذ فـكرة حرق الكتاب .

ولكن لم يكن فى نيتى ان افتت قلبى حزنا وان احطم قلب لويس عوض أسفا على كتابه .. فانا مؤلف واعرف مكانة الكتاب فى نفس صاحبه .. ولكنه كان احساسا عجيبا اشعر به وسلوكا أسلكه بلا ارادة .. سلوك يعانيه أى رجل التقط طفلا من الشارع . فتبناه وصاحبه نصف عمره . ثم اذا به يفاجأ بالاب الشرعى وجها لوجه يطالبه بضم الولد .. وهانذا اليوم الأب المتبنى أواجه بالأب الشرعى يطالب بالولد ... وانا اريد ان ادخل مع الوالد الشرعى فى نزاع امام المحكمة ... اريد ان ادفع بسقوط حقه فى حضانة الكتاب لانه أب مهمل مقصر فى حق اولاده ، والا لما ضاع منه كتابه وأصبح عرضه لأن يتناثر بين ايدى المشترين كل صـــفحة منه تتحول الى قرطاس يعبأ فيها اللب والترمس والفول .. ثم ... يلقى بها على الاسفلت لتدوسها الاقدام .

قلت للدكتور لويس انى ذاهب لاحضر الكتاب . ولكن فلنتناول طعام الغداء .. قال لا . انا عاوز الكتاب ... لقمة خفيفة يادكتور الساعة اتنين ونص وانا مافطرتش .. لا . انا عاوز الكتاب ، وكانت الـكلمات تخرج من فم لويس بغضب ممزوج بقلق وشوق يشوبها شىء من الارتياب غير قليل ... وخرجت

لاتناول الكتاب من يد زوجتي واسرع به الى الشارع كأنما يطاردني شبح يريد ان يخطف مني الكتاب ·· أين أذهب ·· وماذا أريد ·· لااعـرف · سرت أحتضن الكتاب ·· شعور عجيب لاأستطيع تصويره للقراء ·· سرت عـلى قدمي ·· ثم ركبت الاتوبيس الى جهة الرمل ·· ثم ·· نزلت · وعدت اسير في الطريق ·· ثم ·· ركبت الترام ·· ثم · نزلت من الترام وعدت اسير في الطريق·· ثم ·· ركبت الترام ·· ثم · نزلت من الترام وعدت اســير في الطريق ·· ثم ··ركبت الاتوبيس لأعود الى البيت · شعور عجيب ··وتصرف أعجب ·· والكتاب أمسكه بشدة اضمه الى صدري ··اينا احق به ياناس·· أنا ··· الذي حافظت عليه عشرين عاما لاافرط فيه ···· ام هذا الذي كتبه لمنساه في الترام ·· في القطار ·· في المطعم ·· في أي مكان والسلام ···

« كناري »

الكتاب الذهبى

مجلس التحرير

أحمد فؤاد

أحمد حمروش

حسن فؤاد

جمال كامل

فتحى غانم

مدير التحرير :

إلهام سيف النصر

سكرتير التحرير :

محمد سليم

الاشتراكات

مصر : ١٢٠ قرشا عن سنة ـ ٦٠ قرشا عن نصف سنة

الخارج : ١٨٠ قرشا عن سنة ـ ٩٠ قرشا عن نصف سنة

أسعار بيع الكتاب الذهبى فى البلاد العربية

سوريا ـ ١٢٥ ق٠س ، الكويت ـ ١٩٠ فلسا ، لبنان ـ ١٢٥ ق٠ل الدوحة ـ ٢٠٠ نيابيزا ، الاردن ـ ١٣٠ فلسا ، طرابلس وبنغازى ١٤٠ مليما العراق ـ ١٣٠ فلسا،عدن ـ ٢٨٠ سنتا ، السودان ـ ١١٠ مليما الجزائر ـ ١٧٠ فرنكا ، البحرين ـ ٣٢ آنة ٠٠

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة ٨٩ (أ) شارع القصر العينى

جميع الحوالات ترسل باسم « روز اليوسف » بريد مجلس الامة



الثمن ٢٠ قرشا

طبعت بمطابع روز اليوسف